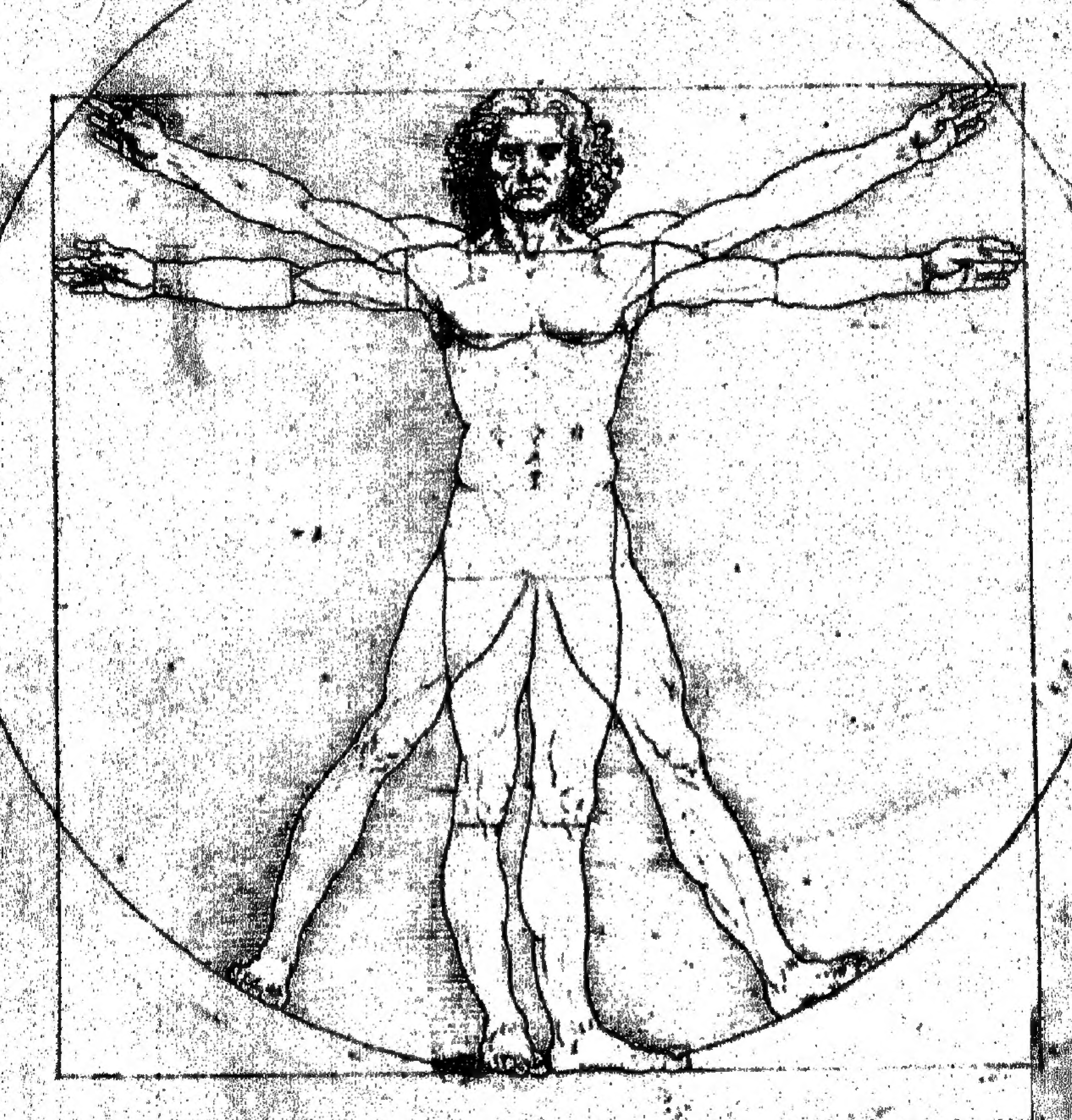
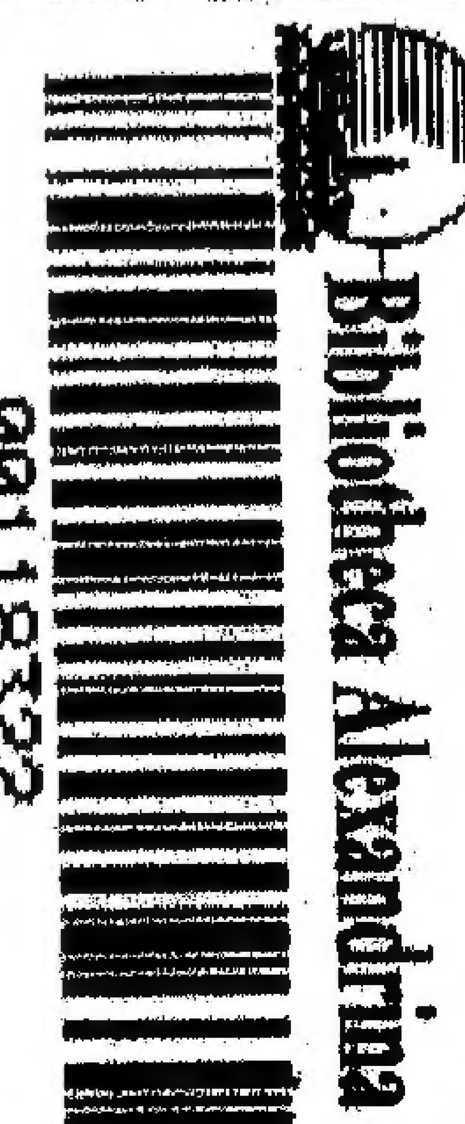
دكتور أحمد عبدالحليم عطية

جالينوس





دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع
عبده غريب

جَالِينُوس

فِي الفِكْرِ القَدِيمِ وَالمعَاصِر

جالينوس

في الفكر القديم والمعاصر

دكتور أحمد عبد الحليم عطية

القاهرة

١٩٩٩

الناشر

دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)

أحمد غريب

الكتـــــاب : جالينوس فى الفكر القديم والمعاصر

المؤلـــــف : دكتور / أحمد عبد الحليم عطية

تاريخ النشر : ١٩٩٩م

الناشـــــر : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع

عبده غريب

شركة مساهمة مصرية

الإدارة : ٥٨ شارع الحجاز - عمارة برج آمون

الدور الأول - شقة ٦

ف : ٢٤٧٤٠٣٨ ت : ٢٤٦٢٥٦٢

التـــــوزيـــع : ١٠ شارع كامل صدقى الفجالة (القاهرة)

ت : ٥٩١٧٥٣٢ ص. ب : ١٢٢ (الفجالة)

المركز الرئيسى : مدينة العاشر من رمضان

المنطقة الصناعية (C1)

ت: ٠١٥/٣٦٢٧٧٧

رقـم الإيـــداع : ٩٨/١٩٧٦

الترقيـــم الـدولـى : I S B N

977-303-077-6

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــداء

إلى الدكتور أحمـد عتمـان باحثـاً كلاسيكياً متفـرداً.
جمـع بيـن اللغـة والفكـر، وبيـن الأدب والفلسـفة، وبيـن الكلاسيكية والحداثة والذى انتقلت دراساته من اليونانيـة إلـى اللاتينيـة عبر العربيـة، ومـن سـوفوكليس وهرقـل وسينيكا وشكسبير إلى أحمد شوقى، وتوفيق الحكيم.

أهدى هذا العمل...

أحمد عبد الحليم عطية

تقـــديم

تمتعت بالاطلاع على كتاب "جالينوس" للدكتور أحمد عبدالحليم عطية. ويطيب لى أن أهنئه بهذا الإنجاز كما يسرنى أن أقدمه للقارئ العربى. ذلك أن هذا الكتاب ومؤلفه قد تجشما عبء الولوج إلى مجال مهم فى الدراسات المقارنة. فمن المعروف أن جالينوس إغريقى تنقّل من برجامون إلى الإسكندرية وروما وغيرها من مراكز الحضارة الإغريقية الرومانية. إنه إذن نتاج فريد من نوعه لحضارة البحر المتوسط آنذاك.

ويمكن القول إن جالينوس ابن الإسكندرية ومكتبة الإسكندرية والموسيون أو معبد ربات الفنون الملحق بها أو بالأحرى الملحقة هى به لأنه كان بمثابة جامعة بحثية شاملة، وأنشئت المكتبة لتوفير المراجع اللازمة للبحث فى كل الفنون والآداب. وعبّ جالينوس من تراث هذه المدرسة ما عبّ علماً وأدباً وفلسفة. ولذا كان ذا ثقافة موسوعية وعالمية لأن تراث الإسكندرية يجمع بين حضارة مصر القديمة وحضارات الشرق كله من جهة، وحضارة الإغريق والرومان من جهة أخرى وليس من المبالغة فى شىء القول إن المصادر التراثية لجالينوس تغطى هذه المناطق الشاسعة حول حوض البحر المتوسط.

ولأن جالينوس عاش فى فترة متأخرة بالنسبة إلى الحضارة الإغريقية، فبينه وبين القرن الخامس الذهبى قبل الميلاد نحو سبعة قرون. وبينه وبين الأطباء والعلماء والفلاسفة القدامى مسافة زمنية طويلة. نقول ذلك ونحن نضع فى الاعتبار هيبوكراتيس أو أبقراط مؤسس الطب اليونانى وكذا كلاً من سقراط وأفلاطون وأرسطو الثلاثى الفلسفى الخالد. بل ونضع فى الاعتبار كذلك المدرسة الرواقية والأبيقورية وجميع المدارس الفلسفية الهيللينستية. فكل ذلك يمثل الخلفية التراثية الإغريقية. أو بالأحرى المصادر التى نهل منها جالينوس.

وبناءً على ما تقدم فإن كتابات جالينوس تعد إلى حد ما بمثابة الرحيق الذى اعتصره هذا الفيلسوف العالم من قراءاته الواسعة فى التراث الإغريقى الأسبق. ومن هنا يبرز جانب مهم فى كتابات جالينوس ألا وهو أنه يلقى ضوءًا ساطعاً على الفكر الإغريقى برمته منذ بداياته إلى القرن الثانى الميلادى.

هذا ويعرف جالينوس فى أوروبا بأنه "جالينوس العربى" Galenus Arabus ذلك أن جالينوس كان معروفا ومتداولا فى دنيا العرب قبل أن يعرفه الأوروبيون بعدة قرون. لقد ترجموه عدة ترجمات وشرحوه وفسروه ونقدوه وحفظوا نصوصه من الاندثار. وسيد المترجمين العرب جميعا حنين بن إسحق الذى عرف لجالينوس ١٢٩ عملاً ترجم منها حوالى المائة.

وحتى الآن هناك ترجمات عربية هى نقل لنصوص إغريقية من تأليف جالينوس، ضاعت لأصول الإغريقية وبقيت الترجمات العربية. وهناك نصوص لجالينوس مهلهلة فى أصلها الإغريقى فجاءت الترجمة العربية لتصلح ما أفسده الدهر. ناهيك عن الشروح والنقول التى لا حصر لها. فكيف لا يكون جالينوس عربياً؟

وهذه النقطة بالغة الأهمية لأن معنى ذلك أن دراسة الترجمات العربية أصبحت ضرورة لاغنى عنها ليس فقط للمهتمين بالحضارة العربية الإسلامية ومنجزاتها، وإنما أيضا وبصفة رئيسة لدارسى التراث الإغريقى نفسه. وأبسط مثل على ذلك وأوقعه فى آن هو أن محققى النصوص الإغريقية بحاجة ماسة الآن للرجوع إلى الترجمات العربية. وقد أدرك الأوروبيون ذلك منذ وقت مبكر وحاولوا استدراك الأمر بعقد صلة تعاون وثيقة بين المستشرقين ودارسى التراث الإغريقى الرومانى أى الكلاسيكيين ولكن فالتسر Walzer يقول إن النتيجة لم تكن مشجعة. وهو يرى أن البحث فى هذا المجال يتطلب ما يسميه المنهج ذا المهارة المزدوجة

ambi - dexterrous approach ويعنى أن يكون الباحث ضليعا فى اللغة العربية وتراثها من جهة، وفى اللغة الإغريقية واللاتينية من جهة أخرى.

وإذا كان لنا أن نضيف إلى ما قاله فالتسر فإننا نعتقد أن الباحث فى جالينوس عليه أن يلم ليس فقط بتلك اللغات سالفة الذكر بل أيضا بالعقلية الفلسفية الناقدة وبقدر كبير من المعرفة الطبية. ولذلك فنحن نشجع الدارسين فى جالينوس سواء أكانوا من قسم الدراسات اليونانية واللاتينية أم قسم اللغة العربية أو قسم الفلسفة ويا حبذا لو وجدنا طبيبا عربيا متفلسفا يعرف اللغات القديمة وينغمس فى دراسة حول جالينوس.

نقول ذلك ونحن ندرك مدى الصعوبات التى واجهها د. أحمد عبدالحليم عطية وهو يصارع من أجل إتمام هذا الكتاب وفقه الله فى دراساته، وإلى المزيد من العمل والمثابرة.

هذا وبالله التوفيق ،

أحمد عتمان

القاهرة فى ١٩٩٤/٨/٢٨

تصدير

يعد جالينوس (حوالى ١٢٩-١٩٩) من الشخصيات ذات التأثير الكبير فى تاريخ العلم والفلسفة. مما دعا مؤرخ العلم المعروف جورج سارتون لأن يخصص له فصلا كاملا ضمن المجلد الأول من سفره الضخم "مقدمة فى تاريخ العلم".(١) لقد ولد جالينوس فى برجامون Pergaman فى آسيا الصغرى. وعاش فى زمن الانطونينيين، حيث ولد فى عصر هادريان، ودخل روما فى عهد انطونينوس بيوس، وخدم فى بلاط ماركوس أورليوس الملك الفيلسوف.(٢) ومن المعروف عنه جهوده الطبية المختلفة، أبدى اهتماماً كبيراً للفحص الإكلينيكى مستندا قبل كل شىء على الوقائع الملموسة غير أن ثقافته الفلسفية كانت تغلب عليه مما ربط بينه وبين مدرسة الاسكندرية(٣) حيث يمكننا التأكيد على خاصية مميزة لجهود جالينوس العلمية، وهى الارتباط الوثيق فى دراساته بين الطب والفلسفة، بين طابع الدراسة العلمية (التشريحية والفسيولوجية) والمبادئ الفلسفية الميتافزيقية، مما دعا صاحب كتاب "تمهيد لتاريخ مدرسة الإسكندرية وفلسفتها" إلى التأكيد على أن "الفلسفة والطب اجتمعا واتحدا عند جالينوس"(٤).

لم تقتصر دراسته على : الطب والعلوم والفنون المتصلة به فحسب، بل جمع بينها وبين الفلسفة، بل إنه درس الأدب والبلاغة، يتضح لنا ذلك إذا ما رجعنا إلى فهرست كتبه الذى دونه بنفسه، والذى نجده بصورة غير مباشرة فى رسالة حنين بن إسحق، فيما ترجم من كتب جالينوس بعلمه ومالم

---

(1) G. Sarton : Introduction to the History of Science, Time of Galen pp. 288-313.

(٢) د. محمد سليم سالم : مقدمة تحقيق كتاب جالينوس في فرق الطب للمتعلمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٨، ص٣.

(٣) د. الأب جورج شحاته قنواتي : تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩، ص١١٢-١١٣.

(٤) د. نجيب بلدى: تمهيد لتاريخ مدرسة الإسكندرية وفلسفتها، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٢، ص٤٧.

يترجم"[٥] بدأ تأليفه لا بالطب، بل بالفلسفة فكتب فى البرهان (المنطق) وفى انفعالات النفس وطرق ضبطها (الأخلاق). وكان تأليفه فى ميدان الطب مرتبطا أشد الارتباط بالفلسفة والمنطق.[٦]

والهدف من هذه الدراسة هو بيان صورة جالينوس الفيلسوف إضافة إلى ما عرف عنه باعتباره طبيباً، والتأكيد على أهمية ومكانة الفلسفة فى كتاباته المختلفة، والعلاقة بين الأسس الفلسفية والأفكار الميتافيزيقية من جانب والنظريات العلمية والطبية من جانب آخر. وإلى أى مدى كان الاتحاد بين هذين المجالين من العوامل المهمة التى ساعدت على قبول أعماله وكانت مصدر اهتمام الفلاسفة اللاحقين بهذه الأعمال، سواء لدى الإسكندرانيين أم السريان أو العرب المسلمين، ويهمنا بالإضافة إلى ما ذكرناه بيان المؤثرات المختلفة التى ساهمت فى تكوين جالينوس العلمى والفلسفى والتأثيرات المتعددة التى أثرت وأثرت جهود اللاحقين عليه .

وسوف تنقسم دراستنا الحالية – التى تسعى إلى بيان صورة جالينوس بين الفلسفة والطب فى الفكر القديم والمعاصر – إلى مقدمة وستة فصول، نتناول فى المقدمة شخصية جالينوس العلمية، ونتوقف فى الفصل الأول أمام "جالينوس الطبيب" وهو الجانب الأكثر شهرة لجالينوس سواء فى العربية أم غيرها، ثم نعرض لأعماله الطبية كما عرفت سواء على مستوى الترجمة أم النقل والعرض والتلخيص والشرح أم النقد والتعقيب، وما يهمنا هنا هو كيف تعامل الأطباء اللاحقين مع هذه الاعمال مما جعلها جزءاً اساسياً حياً فى تاريخ الطب، وعنصراً مهماً فى تطوره واستمراره[٧].

---

(٥) حنين بن إسحق : رسالة إلى يحيى بن على فيما ترجم من كتب جالينوس بعلمه وما لم يترجم "في كتاب بدوى : دراسات ونصوص في الفلسفة وتاريخ العلوم عند العرب. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١.

(٦) د. نجيب بلدى : المصدر السابق، ص ٤٧.

(٧) لم يدرس دور جالينوس وأثره فى تطور الطب العربى منذ الرصد الببليوجرافى الشامل الذى قدمه حنين بن إسحق عما ترجم من كتب جالينوس إلى العربية، وماذكر عنه في كتب تاريخ العلم العربي، ولاتوجد سوى جهود ينبغى التأكيد على أهميتها من بعض الباحثين والهيئات العلمية لتحقيق ونشر كتب جالينوس الطبية نشرا علميا، نخص بالذكر منها جهود الدكتور محمد سليم سالم، ومركز تحقيق التراث بالهيئة المصرية العامة للكتاب وما كتبه عنه د. ماهر عبدالقادر في كتابه : حنين بن إسحق، العصر الذهبى للترجمة، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.

ونجتهد فى الفصل الثانى من أجل بيـان صـورة أخرى مهمـة تـوارت أمام صورة جالينوس الطبيب وهى صـورة الفيلسـوف، الـذى لـم يكتـف فقـط بالطب بل تعمـق العلـوم المختلفـة .إن صـورة جـالينوس الحقيقيـة لـن تكتمـل بقولنا فقط إنه أحيا طب أبقراط ، وقـدم الكتابـات الكثيـرة فـى شـتى مجـالات الطب تشخيصاً وتشريحاً وعلاجاً وتأليفاً، بل بالتأكيد على تعمقه فى الفلسـفة وإلمامه بالمذاهب المختلفة للفلاسفة اليونان: أفلاطون، وأرسـطو، والرواقيـة، والسفسـطائية. وذلـك عـن طريـق بيـان مصـادر تكوينـه الفلسـفى، وكتاباتـه المختلفة فى الفلسفة، وأهم القضايا التى شغل بهـا، وموقـف الفلاسـفة اللاحقيـن عليه فى هذه القضايا. إن هذا الجانب قد أسهم إلى أقصى حد فى إبراز سـمة مهمة فى أعمال جالينوس " سـواء مـن خـلال مناقشـته لآراء المعلـم الأول أم من خلال ردود شراح أرسطو اليونان والعرب عليه، وهو جانب يحتاج إلـى تأكيده وتوضيحه حتى تكتمل الصورة.

ويطرح علينا هذا الجانب الفلسفى من صورة جالينوس الذى أكده عليـه الباحثون ومؤرخو جالينوس(٨)، أسئلة عديـدة عن إسـهاماته الفلسـفية ، وهـى إسهامات يغلب عليها الطابع العلمى المنهجى تظهر فى أعمـال قائمـة بنفسـها أو فى ثنايا أعماله الطبية بشكل واضح، وقد كان المنطق لدى جـالينوس يعـد أساس منهجـه فـى الطـب ، وجـالينوس المنطقـى يكـاد يكـون مجهـولا عنـد الكثيرين(٩). على رغم أهمية هذا الجانب فى بيان صورته؛ لذا جعلناه محـور الفصل الثالث من دراستنا.

---

(٨) بعد أن ذكر حنين بن إسحق كتب الطب فيما ترجم من كتب جـالينوس بعلمـه وبعض مالم يترجم، يعرض لكتبه في البرهان، ثم كتبه فى الأخلاق، حيث عرض للكتب التى نحا فيها نحو فلسفة أفلاطون ويعدد لنا ثلاثة كتب بيلما التـى نحـا فيهـا نحـو فلسـفة أرسطوطاليس يذكر كتاب فى أن المحـرك الأول لايتحـرك " راجـع تحقيـق د. بـدوي لهذه الرسالة في كتابه: دراسات ونصوص فى الفلسفة والعلوم عند العرب، المؤسسـة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٨١ خاصة ص ١٧٦ - ١٧٨.

(٩) اشار نيقولا ريشر فى كتابه تطور المنطق العربى ترجمة د . محمد مهران رشـوان إلى العلاقة الوثيقة بين الطب والمنطق، وخصص جـيرار جهامى بعض الصفحـات القليلة فى مقدمة تحقيقه لتلخيص ابن رشد منطق أرسطو للحديث عن شـراح أرسـطو مـن اليونـان ومنهـم جـالينوس، منشورات الجامعـة اللبنانيـة , المجلد الاول بـيروت ١٩٨٢ ص ٧٠ - ٧٢، وترجـم الزميـل د. إسـماعيل عبد العزيـز دراسـة ريشـر : جالينوس والقياس دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩١.

وتكتمل هذه الدراسة بتقديمنا صورة جالينوس الأخلاقى أو عالم الأخلاق، الذى قدم عدداً من الدراسات أوجدت تياراً مهما فى الدراسات الأخلاقية التى ربطت بين الطب (علم الأبدان) والأخلاق (طب النفوس) . بل يمكن القول دون أدنى مبالغة - إن جهود جالينوس الأخلاقية أسهمت فى ظهور كتابات فى التحليل النفسى - الطبى للأخلاق(١٠)، مما جعل من أعماله، وتأثيرها لدى اللاحقين عليه من الفلاسفة، منطلقا لاتجاه فيزيولوجى متميز فى الدراسات الأخلاقية العربية ظهر بوضوح لدى: الرازى ومسكويه وأبى سعيد عبيد الله بن بختشيوع وغيرهما وذلك هو موضوع الفصل الرابع.

والفصل الخامس يعرض لجالينوس فى الدراسات الحديثة فى الفكر المعاصر. ونتناول فيه الجهود العملية مختلفة فى نشر وتحقيق أعمال جالنيوس والاهتمام باعماله الطبية وثالثا الدراسات المعاصرة فى فكره الفلسفى والأخلاقى خاصة والدراسات الإنسانية عامة.

ونناقش فى الفصل السادس والأخير قضية العلاقة بين الفلسفة والعلم عند جالينوس تحت عنوان الميتافيزيقا وطب جالينوس، متوقفين أمام سؤال أساسى حول دور الأفكار والأسس الفلسفية الميتافيزيقية فى صياغة نظريات جالينوس الطبية.

وقد الحقنا بالعمل الحالى دراسة ريتشارد فالتزر عن فلسفة جالينوس الأخلاقية من مصدر عربى مكثف حديثاً.

---

(١٠) راجع رسالة أبوسعيد عبيد الله بن جبريل بن بختشيوع: فى الطب والأحداث النفسانية, تحقيق فليكس كلاين فرانكة، دار المشرق, بيروت ١٩٨٦.

مدخل
مصادر معرفتنا بجالينوس

إن المتتبع لكتب التراث العلمي يوافقنا على القول، إنه لايخلو مصدر من هذه المصادر التى تناولت: أصوله، ونشأته وتطوره ورجاله وطبقاته من بيان أثر جالينوس وأهميته، وكتاباتـه، وترجماتـه، وتأثيرها والردود عليها، والرد على هذه الردود. وعلى الرغم من أن بعض هذه المصادر مفقود، فإن ماتبقى لدينا من مصادر متاحة حتى الآن يمكننا من تقديم تلك الصورة التى عرف بها جالينوس، وهى -كما سيتضح لنا- صورة مهمة ومؤثرة[1].

---

(١) راجع كتاب حنين بن إسحق : تاريخ الأطباء والفلاسفة، تحقيق فؤاد سيد مع كتاب ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، مؤسسة الرسالة ط ٢، ١٩٨٥، ويلى ذلك كتاب، حنين نوادر الأطباء، وهو مجموعة مقتطفات من آداب وأقوال الفلاسفة والحكماء اليونانيين جمعها مؤلف مجهول من أقوال حنين، توجد منه نسخة مخطوطة بمكتبة الاسكوريال تحت رقم ٧٥٦. وأدب الطبيب لإسحاق بن على الرهاوي (ق٣هـ) الذى لم يصلنا بدوره، وسيرة الحكماء لأبى بكر الرازى، وهو ايضا لم يصلنا، وأخبار المتطببين وأخبار المنجمين لأحمد بن يوسف (ابن الداية) مفقود، ويشير إليه ابن أبى أصيبعة، ص٧٥. وإذا كانت هذه المصادر مفقودة، فإن معظم مصادر القرن الرابع ومابعده متوفرة وفى مقدمتها "الفهرست" لابن النديم (حوالى ٣٧٧هـ) انظر التحقيق العلمى الدقيق له، الذى قام به الدكتور شعبان خليفة وزميله فى مجلدين ، العربي للنشر والتوزيع القاهرة ١٩٩١. وكتاب صوان الحكمة للسجستانى (ق٤هـ) وقد حققه د. عبد الرحمن بدوى، طهران ١٩٧٤، وطبقات الاطباء والحكماء لابن جلجل، ومناقب الاطباء لعبد الله بن جبرييل بن عبد الله بن بختشيوع، الذى ألفه عام ٤٢٢هـ، وإن كان لم يصل إلينا ، وطبقات الأمم للقاضي صاعد الأندلسي، تحقيق حياة العيد بوعلوان، دار الطليعة، بيروت، لبنان ١٩٨٥، وبستان الأطباء وروضة الألباء لموفق الدين أسعد بن الياس بن المطران (ت٥٨٧هـ) وهو مخطوط برقم ٨ مكتبة الجيش في كليفلند بأمريكا، ومنه نسخة مصورة بمكتبة دير الآباء الدومنيكان بالقاهرة. وكتاب المبشر بن فاتك : مختار الحكم ومحاسن الكلم، تحقيق د . عبد الرحمن بدوى، مدريد ١٩٥٨، وظهير الدين البهيقي : تاريخ حكماء الإسلام، تحقيق محمد كردعلى، مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق، ط ٢ ١٩٧٦ ثم كتاب القفطى : أخبار العلما بأخبار الحكماء، دار الآثار للطباعة والنشر بيروت د . ت. ثم تجمعت تلك الكتابات وكانت مصدراً للعمل الضخم لابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، نشرة نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

وتنقسم هذه المصادر إلى ثلاثة أنواع : المصادر القديمة اليونانية والسكندرية ثم السريانية والعربية، ثم المصادر الحديثة عربية أو غربية. وسنعرض لكل منها لبيان ملامح صورة جالينوس ليس فقط كطبيب بل أيضاً كفيلسوف.

والهدف الأساسى من تناول هذه المصادر ليس بيان ما ذكرته عن جالينوس فقط بل تأكيدها على ناحية مُهمة وهى تكوينه العلمى والفلسفى، وبيان اهتماماته الأولى بالمنطق والرياضيات والفلسفة والبلاغة وكتاباته في هذه المجالات المختلفة.

وأول هذه المصادر القديمة هو كتاب يحيى النحوى "تاريخ الأطباء". ويحيى النحوى شخصية مهمة فى التراث العلمى والفلسفى السكندرى، ترجع أهميته إلى كونه فيلسوفا وطبيبا تتلمذ على كتابات جالينوس، وفسر بعضها، وأسهم في تصنيف جوامع جالينوس الستة عشر، وربما يرجع سبب اهتمام يحيى بجالينوس، أن كلا منهما لم يكن طبيبا فحسب، فقد كان يحيى النحوى قويا في علم النحو والمنطق والفلسفة، ولقوته فى الفلسفة الحق بالفلسفة لأنه أحد الفلاسفة المذكورين فى وقته"[٢]

ويأتى بعد ذلك "الفهرست" لابن النديم، الذى خصص فصلاً كاملاً لعصر جالينوس، وهذا الجهد الذي قدمه صاحب الفهرست ظل مسيطراً على تصنيفات كتب تاريخ العلم العربية، فالباب الخامس من كتابه الذى جعله فى الأطباء الذين كانوا في زمن جالينوس وقريباً منه[٣]، يجعل من جالينوس نقطة مرجعية يحدد من خلالها تواريخ الفلاسفة والأطباء[٤].

---

(٢) يحتاج يحيى النحوي إلى دراسة مستفيضة توضح أهميته ودوره فى شرح التراث الفلسفى اليونانى وتأثيره فى العربية راجع إشارات د. عبد الرحمن بدوى إليه فى الأفلاطونية المحدثة عند العرب، صفحات ٣٠ -٣٦. وكذلك ما جاء عنه في تحقيق د. أبو ريان لكتاب الشهرزورى: تواريخ الحكماء ص٤٧٩. وليحيى النحوى لقب آخر هو فيلوبينوس أى المجتهد . وهو من جملة السبعة حكماء (السكندريين) المصنفين للجوامع الستة عشر . انظر ابن أبى أصيبعة ص١٥٣.

(٣) ابن النديم : الفهرست ، ص ٣٤٧ وما بعدها .

(٤) المرجع نفسه ص ٣١٣، ٣١٤، ٣٥١.

ويذكر لنا ابن جلجل في " طبقات الأطباء والحكماء " مصدر مايقدمه لنا من معلومات عن جالينوس من خلال كتب جالينوس نفسها(٥)، ويقدم لنا صاحب "طبقات الأطباء والحكماء "ترجمة لجالينوس ضمن الطبقة الرابعة من "حكماء اليونان" يهمنا منها تأكيده على صورة جالينوس الفيلسوف(٦)، ويبرز لنا الجانب المنطقي لديه سواء عند ذكر ترتيب كتب أرسطو المنطقية - حين يخبرنا في" الكلام على باري ارميناس - "أن لجالينوس تفسيرا له، أم حين يتناول كتب جالينوس(٧). يوضح أيضا الجانب الأخلاقي الذي عرفه العرب عن جالينوس؛ فقد ترجموا كتاباته المختلفة في الأخلاق مثل : كتاب في أن الطبيب الفاضل فيلسوف ، وكتاب تعرف المرء عيوب نفسه(٨) وكتاب الأخلاق نقل حبيش، وكتاب انتقاع الأخيار بأعدائهم(٩)

---

(٥) مثل : الأمراض العسرة البرء (ص٤٣)، قاطاجانس (ص٤٣) كتاب ينبغي للطبيب ان يكون فيلسوفاً (ص١٧)، الادوية الطبية (٤٢)، وهو يستعين في حديثه عن اسقليبيوس بماذكره جالينوس عنه في الحث على الطب، وفي المقالة الاولى من كتابه إلى أغلوقن الفيلسوف ، وفي صدر حيلة البرء (ص١١) ويتناول قوله في كتابه : ينبغي للطبيب أن يكون فيلسوفا " إن من طلب علم أبقراط فلتحتذوا حذوه في الفضل والرغبة في الفضيلة وتجنب الرذيلة (ص١٩). ابن جلجل : طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥.

(٦) يقول فيها : "برع في الطب والفلسفة وجميع العلوم الرياضية وهو ابن سبع عشر سنة، وله تواليف كثيرة العدد في فنون من العلوم، وكان جالينوس هذا عالما بطريق البرهان خطيباً" (ص٤١-٤٢)، كان في أيامه قوم ينسبون إلى علم أرسطوطاليس وهم المشائون، والمعروفون بأصحاب المظلة وهم الرواقيون، ألف فيهم كتابا في الأسباب الماسكة ورد على كثير من القدماء، وناقض السوفسطائية، وألف في المنطق كتاب البرهان.. ولم يكن في زمانه أدأب منه على قراء ة كتاب فيما ذكره عن نفسه وكان يأخذ نفسه كل يوم بدراسة جزءً من الحكمة "، المرجع السابق، ص٤١-٥٠.

(٧) ومنها كتاب البرهان "وهذا جعله في خمسة عشرة مقالة و "كتاب المدخل الى المنطق" نقل حبيش مقالة، كتاب التفسير الثاني (التحليلات الثانية) نقل إسحق بن حنين ثلاث مقالات.

(٨) عرف هذا الموضوع لدى الفلاسفة المسلمين وقد تناوله ابن سينا في كتاب السياسة، في كتاب لويس شيخو، مقالات فلسفية، مطبعة البستاني، القاهرة.

(٩) اعتمد عليه مسكويه اعتمادا كبيراً، ولخصه في تهذيب الأخلاق .

وتتضح معرفتنا بمكانة جالينوس العلمية، ليس فقط فى الطب بل أيضاً فى مجمل العلم الطبيعى والبرهان (المنطق) مما أورده القاضى صاعد الأندلسى فى "طبقات الأمم " الذى يرى أنه : "إمام الأطباء في وقته، ورئيس الطبيعيين فى عصره، مؤلف الكتب الجليلة فى صناعة الطب وغيرها من علوم الطبيعة وعلوم البرهان. وهو عالى المكانة والمنزلة بين العلماء، يمثل مع أبقراط القمة التى وصل إليها علم الطبيعة بعد أرسطو. يقول: " لا أعلم بعد أرسطو من "أعلم بعلم الطبيعة من هذين الفاضلين، أعنى أبقراط وجالينوس، والطبيعون سوى هذين.. أكثرهم ضعيف النظر، بعيد عن الصواب،" وقد نبه أرسطوطاليس وجالينوس فى كتبهما إلى خطئهم وردا عليهم آراءهم بالحجج الصحيحة والبراهين الواضحة(١٠).

وقريب من هذه الصورة مانجده لدى المبشر بن فاتك (أواخر القرن الخامس الهجرى) الذى اعتمد على نوادر الفلاسفة والحكماء القدماء لحنين بن إسحق، والذى ترجع أهميته إلى اعتماد كثير من المؤرخين التاليين له عليه مثل الشهرستاني والشهرزورى(١١)، وجالينوس عنده هو خاتم الأطباء الكبار، لم يجىء بعده من الأطباء إلا من هو دونه منزلة ومتعلم منه.. كان حريصاً على التعلم وطلب العلم فى العلوم المختلفة. فقد سافر إلى أثينا وروما والإسكندرية وغيرها من البلاد فى طلب العلم ، وتعلم من أرمنيس الطب وتعلم من جماعة مهندسين ونحاة وخطباء الهندسة واللغة والنحو(١٢)" وكان من صغره متهيئا للعلم البرهانى، طالبا له شديد الحرص عليه والاجتهاد فيه والقبول له، ويبين أنه كان على دراية بمعظم الفرق والتيارات

---

(١٠) صاعد الأندلسى : طبقات الأمم، تحقيق حياة العيد بوعلوان، ص ٨٤-٨٥.

(١١) مثل الشهرستانى (٤٧٩-٥٤٨هـ) فى الملل والنحل، القسم الخاص بحكماء اليونان، والشهرزورى (ت٦٤٨هـ) الذي ينقل معظم الفصول بحروفها فى" نزهة الأرواح وروضة الأفراح" بحيث يمكن أن نعد العملين عملاً واحداً، انظر: الشهرزورى: نزهة الأرواح وروضة الأفراح ، تحقيق د. محمد على أبو ريان: دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٣ صفحات ٤٦١-٤٨٨، والمبشر بن فاتك نشرة بدوى، ص٢٨٨-٢٩٦.

(١٢) انظر : المبشر بن فاتك، ص٢٨٩- الشهرزورى، ص٤٦٣.

الفلسفية المعروفة حتى عصره، كما يتضح لنا ذلك من حياته ورحلاته ودروسه وكتاباته.

فقد سافر إلى رومية وشرح برومية أمام بؤثيوس ، وكان يحضر دروسه أوذيموس Eudemos الفيلسوف من فرقة المشائين ، والإسكندر الأفروديسى[١٣]. ويحيي الدمشقي، الذى قد أهل فى ذلك الوقت ليعلم الناس فى اثينا فى مجلس عام علوم الحكمة على رأى المشائين ، وقد كان يحضرهم الذي كان يتولي فى مدينة رومية وهو سرجيوس بن بولوس، المقصود هو [مارقس اورليوس][١٤] ومما يوضح اهتمامه الكبير بالفلسفة ماذكره المبشر بن فاتك من رواية احتراق كتبه – التى يبالغ فيها مبالغة لاندرى حقيقتها في كون هذه الكتب بخط أرسطوطاليس وانكساجوراس– فقد احترق له فى الخزانة التى كانت للملك كتب كثيرة واثاث له قدره، وكانت بعض النسخ المحترقة بخط أرسطوطاليس وبعضها بخط انكسا جوارس واندرماخوس صحح قراءتها على معلميه الثقاة وعلى مارواه من أفلاطون[١٥]، تلك هى صورة الفيلسوف الموسوعى الذى ألم بالطب والمنطق ودرس الفلسفة وناقش الفلاسفة ورد عليهم.

ويؤكد القفطى على هذه الصورة لجالينوس فى "أخبار العلماء بأخبار الحكماء" فهو " الحكيم الفيلسوف الطبيعى اليونانى"[١٦]، وينقل لنا ماجاء فى " طبقات الأمم " لصاعد الأندلسى من تعمقه فى علم الطبيعة والبرهان ومثابرته على دراسة الفلسفة وجميع العلوم الرياضية[١٧]

ويستعين ابن أبى أصيبعة فى حديثه عن وجود صناعة الطب وأول حدوثها فى الباب الأول من كتابه بما ذكره جالينوس في تفسيره لكتاب الإيمان لأبقراط، لبيان صعوبة البحث فى هذا الموضوع، ذلك محور القضية

---

(١٣) يذكر القدماء أن الاسكندر الأفردويسى رأى جالينوس واجتمع معه، وأن بينهما مشاغبات ومخاصمات ، وأن للافردويسى عدة كتب فى الرد على جالينوس.

(١٤) ابن فاتك ص٢٩، الشهرزورى، ص٤٦٦.

(١٥) ابن فاتك، ص٢٩٢.

(١٦) هذا هو تعريف القفطى لجالينوس في أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٥٨-٨٦.

(١٧) المصدر السابق، ص ٨٦.

الأساسية التي تهمنا في بحثنا هذا حيث يرد جالينوس نشأة الطب إلى الوحى الإلهي هنا تتدخل الميتافيزيقا والدين لتفسيرمصدر وأساس علم الطب[١٨]، ويذكر أقساماً مبدئية في هذه الصناعة [يقصد آراءًا مختلفة فى بيان نشأتها] كثيرمنها مستمد من جالنيوس صراحة أو ضمنا.

ويبين اهتمام العرب بنقل ما كتب جالينوس أو شرح أو فسر من كتب أبقراط . ويصحح معرفتنا بكتابات أبقراط عن طريق ما عرف فى العربية من كتب جالينوس عنه[١٩]، فهو حجة من الثقات فى كتب أبقراط؛ لذا فإن ابن أبى أصيبعة حين يذكر كتب "أبيذيميا" أبقراط وفيها، يستشهد برأى جالينوس.[٢٠]

ويخصص الباب الخامس كلية للحديث عن جالينوس ، يناقش فيه اسمه وحياته، والاختلاف حول مولده ، وذلك بناء على ماذكره جالينوس فى كتابه "مراتب قراءة كتبه " وفيه نجد العناصر المختلفة التى كونت ثقافة جالينوس والتى تتضح فيها ملامح صورته الفلسفية ، يقول: " إن أبى لم يزل يؤدبنى بما كان يحسنه من علم الهندسة والحساب والرياضيات التى تؤدب بها

---

(١٨) فقد ذكر جالينوس أن البحث فيما بين القدماء عن أول من أوجد صناعة الطب، لم يكن بحثا يسيراً (ص١١) ويثبت رأى جالينوس فى هذه القضية، وهو أن الله تعالى خلق صناعة الطب فلايمكن فى هذا العلم الجليل أن يستخرجه عقل إنسان : ويذكر لنا نص ماذكره جالينوس (ص١٣) ويضيف موقف ابن المطران من هذا الرأى، الذى يقول " هكذا كلام مشوش، كله مضطرب، وان كان جالينوس قال فى تفسير " العهد " إن هذه الصناعة وحييه إلهامية " ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق لزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ص١٤.

(١٩) حيث يدعي البعض أن جالينوس فسر " الخمس والعشرين قضية فى الموت التى لايعلم العلة فيها " وهذا مايستبعده ابن أبي أصيبعة؛ لان ذلك غير حقيقى إذ " لوكان حقا ووجد تفسير جالينوس لنقل إلى العربية، فكل كتب أبقراط التى فسرها جالينوس نقلت بأسرها للعربية . نفس المصدر ص٤٩.

(٢٠) الذى يقول : إنى وغيرى من المفسرين نعلم أن المقالة الرابعة والخامسة والسابعة من هذا الكتاب مدلسه [منحولة] ليست من كلام أبقراط (ص٥٥) كذلك كتاب قاطيطرون (اى حانوت الطبيب) الذى من الأفضل ترجمته – كما يرى جالينوس – كتاب الأشياء التى تعمل فى حانوت الطبيب (ص٥٥).

الأحداث حتى انتهيت فى السن إلى خمس عشرة سنة ، ثم إنه أسلمنى في تعليم المنطق، وقصد بى حينئذ فى تعليم الفلسفة وحدها فرأى رؤيا دعته إلى تعليمى الطب"(ص١١٠)

وتتضح أهمية هذا المصدر فيما يورده لنا ابن أبى أصيبعة مما ذكره جالينوس في فينكس كتبه عن تكوينه الفلسفى مما يساعدنا على بيان دور الفلسفة في تكوينه يقول جالينوس: " ففى هذا الزمان جمعت كل ماجمعته عن المعلمين وماكنت استنبطته ، وفحصت عن أشياء كثيرة، ووضعت كتبا كثيرة لأروح بها عن نفسى فى معان كثيرة فى الطب والفلسفة" (ص١١٤) ويذكر لنا ابن أبى أصيبعه كتابه فى الأخلاق ويستشهد به (ص١١٤..١١٦) ويبين شغفه بعلم المنطق، "فقد كان جالينوس منذ صغره متهيئا للعلم البرهانى طالبا له" (ص ١٢٥) ويفيض فى بيان سيرته اعتماداً على ماجاء فى كتبه[٢١]. ثم يحدثنا عن جالينوس وأخلاقه (١٢٩،١٣٤) ويعرض لنا بالتفصيل مصنفات جالينوس "خاصة ماوجده متتشرا فى ايدى الناس" وأغراض جالينوس فى كل كتاب وهو يعتمد على رسالة حنين فيما ترجم من كتب جالينوس وماترجمه غيره بمعرفته (ص١٣٤-١٤٨)[٢٢] ثم يضيف إلى ذلك ماهو منسوب إليه بنقل حنين بن إسحق وغيره، وليس له ذكرا أصلا فى رسالة حنين السابقة (ص١٤٩) ويعددها لنا،[٢٣] ويبين أن لجالينوس كتبا أخرى كثيرة مما لم يجده الناقلون منها ، ومما قد اندرس على طول الزمان ،

---

(٢١) "فينكس كتبه"، "فى محنة الطبيب الفاضل ص١٢٧، ١٢٨، "الأخيار من الناس ينتفعون بأعدائهم"، ابن أبى أصيبعة ص١٢٨، ١٢٩.

(٢٢) راجع هذه الرسالة فى بدوى : دراسات ونصوص فى الفلسفة وتاريخ العلوم عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١.

(٢٣) يقال إن حنين وضع مقالة صغيرة بالسريانية يكمل بها عمل جالينوس، ويذكر ماترك الأخير مستدركا عليه (ابن أبى أصيبعة ص١٤٩) والرازى أيضا، يذكر ابن النديم أن له فهرساً فى استدراك مابقى من كتب جالينوس ، انظر د . أحمد عبدالحليم عطية : علم البيلويوجرافيا عند العرب، دار الثقافة للنشروالتوزيع، القاهرة، د.ت، ص ٢٤- الفارابى : فى الرد على جالينوس فيما ناقض فيه ارسطوطاليس لأعضاء الإنسان ، فى بدوي، رسائل فلسفية، ص٣٨-١٠٧.

وخصوصاً ما فى المقالة الثانية مما ذكره فى فهرست كتبه" ولذلك فمن كانت له رغبة في النظر في أسمائها، وفى أغراض كل واحد منها فعليه بالنظر في ذلك الكتاب (ص١٤٩).

ويعرض فى الباب السادس " طبقات الأطباء الاسكندرانيين ومن كان فى أزمنتهم من الأطباء النصارى وغيرهم" انطلاقاً من جهودهم فى تفسير وترتيب كتب جالينوس.

ويذكر فى الباب الثامن علاقة السريان بجالينوس (ص٢٠١). ويشير إلى الأطباء العرب الذين تتلمذوا وكتبوا وشرحوا كتب جالينوس فى الباب العاشر من كتابه عن "طبقات الأطباء العراقيين وأطباء الجزيرة وديار بكر" وكذلك يفعل مع الأطباء الذين ظهروا فى بلاد العجم فى الباب الحادى عشر، والأمر نفسه مع الأطباء الذين ظهروا فى بلاد المغرب أو أقاموا بها في الباب الثالث عشر، حيث يعرض لمن صنفوا وشرحوا ولخصوا كتب جالينوس.

تلك هى الملامح الرئيسة لصورة جالينوس فى مصادر تاريخ العلم العربى وهناك نوعية أخرى من المصادر المتخصصة التى تعرضت لجالينوس فى الفترة نفسها ونقلت عنه أوردت عليه في مجالات محددة فى الفلسفة، الفارابى. وفى الأخلاق العامرى "السعادة والإسعاد فى السيرة الإنسانية"[٢٤]. ومسكويه "تهذيب الأخلاق"[٢٥] وفى المنطق بعض رسائل يحيى بن عدى[٢٦] بالاضافة إلى كثير من الردود عليه من: الرازى، وابن ميمون وغيرهما، ولن نتوقف أمام هذه الكتابات فى سياقنا الحالى، الذى يعرض لصورة جالينوس كما تحددت في كتب تاريخ العلم مرجئين تناولها

---

(٢٤) العامرى: السعادة والإسعاد فى السيرة الإنسانية ، تحقيق د. احمد عبد الحليم عطية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩١ صفحات ٢٢، ٤٩، ٥٩، ٦٠، ٦٥، ٦٥، ٩٩، ١٣٧، ١٤٥، ١٩١، ١٩٤، ١١٢، ٣٦١.

(٢٥) مسكويه تهذيب الأخلاق ، تحقيق د. قسطنطين زريق، نشر الجامعة الأمريكية بيروت. وراجع دراسة د. عبد العريز عزت : مسكويه وفلسفته الأخلاقية، القاهرة ١٩٤٧.

(٢٦) راجع كتاب مقالات يحيى بن عدى، دراسة وتحقيق د . سحبان خليفات، منشورات الجامعة الأردنية ، عمان ١٩٨٨، صفحات ٦٦ ، ٩٧، ٩٨، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٨.

حتى نعرض لها في موضعها عند الحديث عن الجوانب الفلسفية والمنطقية والأخلاقية التى عرفها العرب من جالينوس.

أما بالنسبة إلى المصادر الحديثة فهى مصادر عربية وغربية، تتمثل المصادر العربية في كتب تاريخ العلوم العربية؛ خاصة الطب والصيدلة والعقاقير أو التأريخ لمدرسة الإسكندرية، أما بالنسبة للمصادر الغربية فقد تنبه عدد كبير من الباحثين إلى أهمية دور العرب في حفظ مؤلفات جالينوس واستمرارية التراث الجالينى بفضلهم، نذكر من جهود هؤلاء ماكتبه:ماكس سيمون M. Simon عن "جالينوس عند العرب" [٢٧] و دونالد كامبل Campel عن "جالينوس وازدهار مدرسة الاسكندرية"[٢٨] وخصص ماكس مايرهوف عدة دراسات تعرض لمقتطفات من "السيرة الذاتية لجالينوس فى المصادر العربية"[٢٩] "والمصادر الأصلية والمزيفة لجالينوس تبعا للمصادر العربية[٣٠] " والصيغة السريانية والعربية لكتب جالينوس،[٣١] و"الصيغة العربية لرسالة مفقودة لجالينوس"[٣٢]، وأيضا واينبرج ؛تشريح الدماغ فى

---

(27) cf. Max Simon: Zum arabischen Galen p.741-749

أعمال تاريخ العلوم عند العرب، إشراف فؤاد سيزكين .

(٢٨) د. دونالد كامبل : جالينوس وازدهار مدرسة الإسكندرية ، مع مراجع خاصة لكتاباته التى ترجمت إلى العربية واليونانية واللاتينية والعبرية ، ص٢٠٢-٢٠٥ المصدر السابق المجلد الخامس

(٢٩) ماكس مايرهوف : مقتطفات من السيرة الذاتية لجالينوس فى المصادر العربية ، المصدر السابق المجلد السادس، ص١١٨-١٣٢.

(٣٠) ماكس مايرهوف "وحول مصادر اصيلة ومزيفة لجالينوس تبعاً للمصادر العربية"، المجلد الخامس ص ٤٧٥-٤٩٠.

(٣١) وله أيضا : ؛الصيغة السريانية والعربية لكتب جالينوس " المرجع السابق ص٢٨٣-٣٠١.

(٣٢) والصيغة العربية لرسالة مفقودة لجالينوس" الموضع نفسه ص٣٠٣-٣٣٢، بالإضافة إلى عدة دراسات اخرى حول نفس الموضوع، مثل : ؛حول كتب أصيلة لجالينوس كانت لاتزال متداولة عند العرب"، المرجع نفسه ص٤٧١-٤٧٤. "وابن ميمون ينتقد جالينوس"، المجلد السابع ص ٣٦٧-٣٧٢، " حول قطعة بقيت من كتاب جالينوس فى الأسماء الطبية" نفس المصدر، المجلد الخامس ٤٩١-٥١٤ وله بالاشتراك مع د. شاخت : كتاب الأسماء الطبية لجالينوس، المجلد السادس ص ١-٦٦.

أعمال جالينوس وعلى ابن عباس المجوسى[٣٣] و.ج. أروسل :"تشريح العين: ابن الهيثم وتقاليد جالينوس"[٣٤]. إضافة إلى ما كتب عنه من مواد مختلفة في دوائر المعارف الإسلامية، ودائرة معارف القرن العشرين، والفصول المختلفة فيما كتب عن مدرسة الإسكندرية الفلسفية[٣٥].

---

(٣٣) ويتبرج : تشريح الدماغ فى أعمال جالينوس وعلى بن عباس المجوسى، أعمال تاريخ العلوم عند العرب، المجلد الرابع ص١٩٥-٢٣٣. وبالنسبة لحياة على بن عباس المجوسى فنحن لانعرف سوى الخطوط العامة عنها وهو فى كتابه المعروف بالكتاب الملكى، وفيه ينتقد التآليف التى سبقته، ويناقش الاطباء اليونان خاصة جالينوس . انظر أ . بروان : الطب العربى ترجمة دواد سليمان على، مطبعة العانى بغداد ١٩٦٤ ص٥٦-٥٧.

(٣٤) و.ج.أ. روسل : تشريح العين : ابن الهيثم وتقاليد جالينوس . حيث تبين أن جهود ابن الهيثم في ربط فيزياء الضوء بتشريح العين التى خلقت فسيولوجيا البصريات تمت داخل نطاق نظريات جالينوس : أبحاث المؤ تمر العلمى الثانى عن الطب الإسلامى ، المجلد الثالث، مؤسسة الكويت للتقدم العلمى ١٩٨٢، ص٢٢١.

(٣٥) أنظر كل من د. نجيب بلدي: تاريخ مدرسة الاسكندرية وفلسفتها، دار المعارف القاهرة ١٩٦٢، ود. حربي عطيتو: ملامح الفكر الفلسفى والديني في مدرسة الاسكندرية القديمة، دار العلوم العربية، بيروت، ١٩٩٢، وكذلك مادة جالينوس في موسوعة اعلام الفلسفة، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٢ الجزء الأول ص ٣٧١-٣٧٢. ومادة جالينوس فى جورج طرابيشى [معد] معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٧، ص٢٣١.

الفصل الأول

جاليوس الطبيب

تمهيد :[1]

عرف جالينوس بوصفه طبيبا أساسا، بل ربما أهم شخصية طبية فى تاريخ الطب، وعادة مايقرن بأبقراط على الرغم من القرون العديدة التى تفصل بينهما، أبقراط باعتباره أبا الطب وجالينوس أشهر من أحيا طب أبقراط[2]، فقد شرح كتبه، وطبب، وعالج، وحل معضلات كثير من الأمراض التى حار فيها غيره من الأطباء وصنف عدداً كبيراً من الكتب فى جميع تخصصات الطب.

هو كلوديوس جالينوس بن نكون، يونانى عاش فى العصر الروماني، يعد الشخصية الطبية الثانية بعد أبقراط فى الأهمية، ولا يقربهما طبيب ثالث فى تسلسل عظماء الطب فى العصور اليونانية والرومانية. وقد وضع تفسيرات لبعض كتب أبقراط فهو اعرف بمؤلفاته الحقيقية والمنحولة. كتب

---

(١) اعتمدنا فى كتابة هذا الفصل على بحثين لنا: الأول عن "جالينوس وحنين ابن إسحق" قدم فى المؤتمر الدولى للأدب المقارن الذى عقد بكلية الآداب جامعة القاهرة فى الفترة من ٢٠ إلى ٢٢ ديسمبر ١٩٩٥، والثانى عن "موقف الأطباء العرب، من جالينوس" قدم فى الندوة الدولية السادسة لتاريخ العلوم عند العرب التى عقدت برأس الخيمة، دولة الإمارات العربية المتحدة، فى الفترة من ١٦-٢٠ ديسمبر ١٩٩٦.

(٢) يخبرنا جورج سارتون فى الفصل الرابع عشر من الجزء الثانى من كتابه تاريخ العلم عن الشروح الأولى لـ "مجموع المصنفات الأبقراطية"، إن أهم الشراح القدماء وأوسعهم عملا هو جالينوس فقد وضع من الشروح على مؤلفات أبقراط ما قرب بين الاسمين حتى غدا الكثيرون من العلماء (غير الواقفين على تاريخ الطب) يتحدثون عنها معا كما لو كانا أخوين توأمين وكأنهما يمثلان عصرا واحدا ومدرسة واحدة، وهذا أمر غير صحيح لأنه يفصل بين الرجلين ستة قرون من الزمان. ومن المؤلفات التى وضعها جالينوس كتاب يبحث فى الصحيح والمنحول من كتب أبقراط De geniunis Soiptis hippacratis وقد فقد، وأشار إليه حنين بن إسحق فى رسالته المشار إليها. أنظر سارتون: تاريخ العلم، المجلد الثانى، دار المعارف القاهرة ط٣ عام ١٩٧٨، ص٢٤٩.

عن "أعمال أبقراط الصحيحة وغير الصحيحة"، وكانت تفسيراته بديلاً عن كتب أبقراط.

ولد في برغامون، وكان أبوه رياضيا ومهندسا، ويحلم أن يكون ابنه طبيبا فتعلم أولاً الهندسة والرياضيات ثم درس التشريح على يد كل من بيلبوس Pelpos وتمسياس Nemisios وبعد ترحاله في اسيا الصغرى وسوريا وفلسطين دخل الاسكندرية حيث اكمل دراسة التشريح على الحيوانات، ثم عاد إلى برجامون بعد غياب تسع سنوات، وعمل بها طبيباً في معتقل الأسرى ولحرجي المصارعين. سافر إلى روما مرتين في الأولى رحل بعد اشتهاره ونجاحه إلى الشرق حيث ضاق زملاؤه به، والثانية كان في خدمة الملك الفيلسوف ماركوس أوريليوس لمكافحة وباء الطاعون الذى داهم بلاده.

تفرغ جالينوس في روما بعد ذلك للتأليف والبحث العلمي وترك ممارسة الطب لانداده من الأطباء، تابع جهود الأطباء القدامى خاصة كتب: أبقراط، وايراستر ابوس وهيروفلس وديوسقريدس وروفس وسورانس، فشرح آراءهم وزاد عليها من أعماله.

كان أكثر اهتماما بالتجربة حيث كانت معلوماته التشريحية حصيلة أعماله المختبريه على الحيوانات، على عكس أرسطو الذى كان يميل إلى الاستدلال النظرى. فهو ثاني طبيب بعد أيراستراتوس له جهود تجريبية واسعة في التشريح والفسيولوجيا. وإليه يرجع الفضل في بيان أن الجانب الأيسر من القلب وما يتصل به من أوعية مملوء بالدم لا بالهواء كما كان يعتقد العلماء الذين سبقوه، وأن عمل القلب لتوليد حرارة الجسم من احتراق الدم الذى فيه، وأن الدم الرئوى أكثر احمرارا من دم الجسم لاختلاطه بالهواء.. وأجاد في وصف صمامات القلب والأوعية الكبيرة المتصلة به إلى حد كبير[٣] وجالينوس ليس أول من عمل بالتشريح المقارن فقد بدأ به قبله

---

(٣) د. كمال السامرائى: مختصر تاريخ الطب العربي، الجزء الأول، دائرة الشئون الثقافية والنشر، بغداد، ١٩٨٤، ص١٧٢-١٧٤.

أنبادوقليس (ق الخامس ق.م) ثم أناكساجوارس المعاصر لأوائل حياة أبقراط وأرسطو الذى يعد أهم العلماء فى هذا المجال، وأيرستراتوس الذى عاش قبل جالينوس بأكثر من ثلاثة قرون. فجالينوس أعاد التشريح المقارن إلى الحياة كما بعث فيه روحاً جديداً فى دقة العمل وسعة البحث.

وقد امتاز تأليفه فى الطب بالجمع بين مختلف المذاهب السائدة فى جميع المدارس الطبية اليونانية منذ أبقراط حتى عصره[٤]. وقد ارتبط الطب عنده بالفلسفة وقد جمع فى تأثره بالفلسفة بين أفلاطون وأرسطو والرواقية، لكنه كما يرى نجيب بلدى لم يكن ملفقا بل كان رابطا مركباً ومبتكراً فى ربطه هذا لمذهب متكامل فى الطب. كان يعمل بوجه عام على معارضة التفسيرات الميكانيكية لأحوال البدن من صحة ومرض فيلجأ إلى العلل الغائية، كما كان يعارض منكرى وجود الله والعناية الربانية ولعل هذه المعارضة المزدوجة كانت من أسباب اعتماد الفكر الإسلامى والفكر المسيحى الوسيط على مواقفه فى العلم. وإن كان بلدى يرى أن هذه الصفة الفلسفية المنطقية نفسها هى ما أدت به فى بعض الأحيان إلى مناقضة التجربة والمنهج التجريبى الدقيق. ومهمتنافى هذه الدراسة بيان الحدود والعلاقات بين الأسس الفلسفية والنظريات العلمية لطب جالينوس، لذا فإننا نخصص هذا الفصل الأول لبيان صورة جالينوس الطبيب، وهو الجانب المعروف عنه، على أن نخصص الفصول التالية للجوانب الفلسفية له.

وسوف نتناول ثلاثة مواقف متمايزة من طب جالينوس وهى على التوالى :

- موقف النقل والترجمة، ويقوم فى الأساس على التعامل الببليوجرافى
- موقف التأييد، ويغلب عليه الطابع الطبى التعليمى.
- موقف نقدى يغلب عليه التعامل الفلسفى.

---

(٤) يتضح ذلك بصورة جلية فى كتابه فرق الطب للمتعلمين، الذى يعرض فيها لمواقف الفرق المختلفة بأفاضه وكأنه يقدم كتاب فى مناهج البحث الطبية. حيث جعل لممثل كل من المدارس الثلاث نصيب فى الحوار. ويذكر طرق أصحاب القياس وأصحاب الحيل. راجع جالينوس : كتاب جالينوس فى فرق الطب للمتعلمين، نقل حنين بن إسحق تحقيق د. محمد سليم سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٨، ص٣٤، ص٤٠.

أولا : النقـــل والترجمة وتطورات الدراسات الجالينوسية :

يقدم لنا حنين بن إسحق (١٩٤-٢٦٤هـ) نمـوذج ا للتعـامل الحضـارى بين الثقافة العربية الإسلامية من جهة، والحضارة اليونانية من جهـة أخـرى فى العلوم المختلفة، ليس على مستوى الترجمة فقط بـل أيضـا علـى مسـتوى الشرح والتعليق والتحليل والإضافة[٥]، فقد قـدم للعقل العربـى أرقـى صـورة لإنجازات العلم فى هذا العصر، وقد كـان حنيـن واعيا بهـذه المهمـة، وهـذا الـدور الـذى يقـوم بـه، فهـو صـاحب أشـمل مشـروع للترجمـة فـى الحضـارة العربية، وقد قام بمفرده بما تعجز عن القيام به الهيئات والمنظمات والمعاهد العلمية الحالية على الرغم من إمكاناتها المتطورة.

"كان فـاضـلاً فـى صـناعـة الطـب فصيحـا باللغـة اليونـانيـة والسـريـانية والعربية، زار البلاد فى جمع الكتب القديمة"[٦] و نفس الوصـف نجده لدى كل ما تناوله بالدرس فهو" إمام وقته فى صناعة الطب، وأنه يجيد لغة اليونــانيين إجادة تامة . وكان أشد الجماعة اعتناء بتعريب "كتب اليونان" .ولايوجد بعـده فى الأزمنة بعد الإسكندر أعلم منه باللغة العربية واليونانية[٧]. فقـد أصبـح - على مايقول مايرهوف فى مقدمة تحقيقه لكتاب العشر مقالات من العيـن - زعيـم المـترجمين العـرب والسـريان بلامنـازع[٨] "وهـو أحـد أئمـة الترجمـــة

---

(٥) لقد سبق حنين فى ترجمـة جـالنيوس سـرجيوس الرأسـعينى وقـد أشـار حنيـن نفسـه إلـى ستة وعشرين كتابا لجالينوس قام بترجمتها سرجيوس إلـى السريانية، الـذى كـان حسـب شـهادة حنين أول من ترجم كتب جالينوس الشـهيرة فـى الطـب والتشـريح. وتعـدد لنـا ترجماتـه نينـا بيغوليفسكايا فى كتابها: ثقافـة السـريان فـى القـرون الوسـطى، ترجمـة د. خلـف الجـراد، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق ١٩٩٠ ص ٢٣١،٢٣٥ ، تقول: "لقد صاغ سرجيوس نظريته الطبية التى اقتبسها من جالينوس بصورة واضحة ودقيقة الأمر الذى جعلها تتميز جذريا عن الآراء والأساليب الكيميائية الغامضة التى انتشرت فى العهد المتأخر من العصـر الوسـيط، المصدر نفسه، ص٢٤١، وأدوار بروان ، الطب العربى، ص ٢٥.

(٦) ابن النديم : الفهرست، ص ٥٨٩.

(٧) ابن خلكـان : وفيـات الأعيـان وأنبـاء الزمـان، تحقيـق د. إحسـان عبـاس، الجـزء الثـانى، دار الثقافة، بيروت د. ت. ص ٢١٧.

(٨) ماكس مايرهوف : مقدمة تحقيق كتاب حنين بن إسحق، العشر مقـالات فـى العين، المطبعـة الأميرية ، القاهرة ١٩٢٨، ص٢٩.

بالاسلام[٩]. وإذا عدنا إلى رسائل حنين، خاصة رسالته فيما ترجم من كتب جالينوس نجد مبلغ عنايته الشديدة بالبحث عن كتب الرجل، مثل بحثه عن كتاب " البرهان " فى المنطق، وكان يسعد بالحصول على أحد كتب جالينوس النادرة مثل " الأدوية التى يسهل وجودها"، التى لم يستطع أحد من الناس أن يحصل عليها[١٠]" ويوضح لنا المنهج الدقيق الذى يلزم به نفسه فى الترجمة ليقدم لنا نسخة دقيقة من كتب جالينوس كما فعل فى كتاب " الفرق إلى المتعلمين[١١] ومن المهم هنا أن نضيف إلى سعى حنين الدائب للحصول على أصول الكتب ودقته فى ترجمته لها، منهج حنين فى التحقق من صحة نسبة كتب جالينوس إليه، حتى يتضح لنا مقدار العناية العلمية والدقة المنهجية التى يوليها حنين لعمله.[١٢] ويمكننا القول إن ما قام به حنين من تقديم لجالينوس فى العربية، وهو عمل من أهم الأعمال التى قام بها يعتبر المرحلة الثالثة المهمة من مراحل الدراسات الجالينوسية . وتتمثل المرحلة الأولى فى كتابات جالينوس نفسها التى حددها لنا فى "فينكس كتبه" و"مراتب قراءة كتبه".

وتتمثل المرحلة الثانية فى تطور الدراسات الجالينوسية فى جهود الاسكندرانيين" الذين قاموا بالعمل على شرح وتفسير وترتيب كتابات

---

(٩) صاعد الأندلسى : طبقات الامم ، ص ٥٥ .

(١٠) روزنتال: مناهج العلماءالمسلمين فى البحث العلمى ترجمة د. أنيس فريحة، ط٤، الدار العربية للكتب، تونس ١٩٨٣، ص٥١.

(١١) المرجع السابق، ص٧٣. ونود أن نشير إلى أن هذه الدقة فى الترجمة ليست مقصورة على عمل حنين بن إسحق ، فابن أبى أصيبعة يقدم لنا مثالا لهذه الدقة بأستاذه يعقوب بن سقلاب ، الذى كان يفوق معاصريه وذلك لدقته وأمانته فى النقل عن جالينوس، وكان ابن أبى أصيبعة متيقنا من دقته فقد كان يقول : "هذا ذكره جالينوس فى كذا وكذا ورقه من المقالة الفلانية من كتاب جالينوس ويسميه ويعلى به النسخة التى عنده، وذلك لكثرة مطالعته إياها، انظر روزنتال، المرجع السابق، ص١٠٦-١٠٧.

(١٢) ويمكن أن نعطى مثالاً على ذلك بمحاولة تحقق حنين من صحة نسب كتاب النبض الكبير لجالينوس، الذى ذكره صاحبه فى فينكس كتبه، حيث ثبت لدى حنين أن الناحية اللغوية وبعض محتويات الكتاب منحولة، فما عثر عليه من مخطوطات الكتاب لا تدل على تأليف من المستوى الرفيع، ولذا حكم عليه بأنه لا يمكن أن يكون لجالينوس، وإزاء ما ذكره المؤلف يفترض حنين أن جالينوس ذكر ذلك فى حديث شفوى قبل أن يؤلف الكتاب، ثم بدل رأيه فيما بعد وتخلى عن مشروعه هذا، أو أن ما ذكره جالينوس يمكن تعليله بشكل آخر، فقد يكون جالينوس ألف الكتاب الكبير فى النبض فعلاً ولكنه فقد فيما بعد، والكتاب الذى تحدر إلينا كتب لكى يحل محل النسخة التى فقدت.

جالينوس، وتوسيع نطاق قراءتها وتدريسها، وهى تلك الجهود التى عرفت من خلال كتابات يحيى النحوى، والتى قدم لنا على بن رضوان صورة واضحة عنها هى أقرب إلى دستور دراسة الطب، وذلك من خلال ترتيبه كتب جالينوس. ثم المرحلة الثالثة والتى لا تبالغ أن قلنا إنها تتساوى فى القيمة والأهمية مع المرحلة الأولى، وهى مرحلة نقل وتقديم جالينوس إلى الحضارة العربية، تلك التى نهض بها حنين والتى يحق أن تسمى مرحلة حنين، ويمكن فيها أن يقارن عمل حنين بالنسبة إلى جالينوس بجهد جالينوس نفسه فى شرح كتابات أبقراط وإحيائها، فلاشك أن الترجمة العربية إحياء للعلم اليونانى[١٣] ومن هنا يمكن أن نضع أسماء أبقراط وجالينوس وحنين على نفس المستوى، والسؤال الآن ماذا قدم حنين حتى يجعلنا نضعه على هذا المستوى مع جالينوس؟ هل يرجع ذلك إلى قيامه بترجمة الطب اليونانى إلى العربية، وشرح وتلخيص كتب جالينوس حيث لم يكن مترجما فقط بل أيضًا طبيبًا ممارساً، أو أن جهد حنين يتعدى ذلك إلى تأسيس عصر جديد للعلم العربى بتدشين عهد الترجمة لكل العلوم والفلسفات والمدارس والاتجاهات مما جعل العقل العربى متفتحا أمام الحضارات المختلفة مستوعباً لها، فى البداية، ثم مطوراً مبدعاً بعد ذلك؟

---

(١٣) والحقيقة أن العودة للتراث العلمى والفلسفى العربى، والكشف عن الترجمات والشروح العربية يعطى صورة واضحة، ليس فقط للتراث العربى ولكن للتراث الإنسانى، فقد حفظت لنا هذه الترجمات النصوص اليونانية بعد ان فقدت اصولها بحيث يمكن الحديث عن أثر العرب فى التراث اليونانى، انظر العنوان ذا الدلالة الذى أعطاه بدوى لأحد كتبه " شروح على أرسطو مفقودة فى اليونانية " بيروت ١٩٧١، يقول بدوى فى موضع آخر: "إن أهمية هذه الشروح لخطيرة لأن أصولها اليونانية مفقودة ولم يبق إلا هذه الترجمات العربية لها أو ماسيقام عليها من ترجمات إلى لغات أخرى مثل العبرية واللاتينية . وهذا من شأنه أن يزيد فى أهمية البحث فى التراث العربى بوصفه مصدراً مزدوجاً أعنى للفكر العربى واليونانى معا "بدوى : أرسطو عند العرب، القاهرة ١٩٤٧ ص ٧ ، ٨. وعن هذا العصر انظر كتابات الدكتور رشيد الجميلى: حركة الترجمة والنقل فى الشرق الإسلامى فى القرنين الأول والثانى للهجرة منشورات جامعة قاريونس، ليبيا. د. ت. وحركة الترجمة فى الشرق الإسلامى فى القرنين الثالث والرابع للهجرة.، دار الشئون الثقافية بغداد ١٩٨٦، ود. أحمد عتمان : من اليونانية إلى اللاتينية عبر اللغة العربية، مجلة أوراق كلاسيكية، العدد الثانى، القاهرة ١٩٩٢ ص-٣٥.

لقد أراد حنين تعلم الطب، فدرس اليونانية وتمهر فيها، ونقل عنها أمهات كتب الطب، وصنف عدة مؤلفات خاصة به تظهر فيها آثار أبقراط وجالينوس، والحقيقة أن اهتمام حنين بجالينوس يرجع فى جانب كبير منه - بالإضافة إلى طبيعة العصر وتطلع الدولة الإسلامية لنقل العلم اليونانى - إلى تشابه اهتمامات كل منهما "فقد كان اهتمام حنين ونشاطه وكتاباته وترجماته تدور حول الطب والفلسفة والمنطق والنحو بوجه عام[١٤] وهى المجالات نفسها التى صنف فيها جالينوس . وتعد رسالة حنين فيما ترجم من كتب جالينوس بعلمه وماترجم غيره، وثيقة مهمة توضح الدور الذى قام به المترجم الأول فى تعريب جالينوس.

ويقدم لنا أبوريان - وزملاؤه - فى تحقيق كتاب حنين " المسائل فى الطب " بياناً شاملاً إحصائيًا لترجمات حنين عن جالينوس مصححا قائمة ماكس مايرهوف . فقد ترجم حنين من مؤلفات جالينوس إلى السريانية وحدها ثمانية وخمسين مصنفا، وإلى العربية وحدها اثنى عشر مصنفا، وإلى السريانية ثم العربية اثنين وعشرين مصنفاً، وبذلك يصير مجموع ماترجمه من مصنفات جالينوس وتفسيراته باللغتين السريانية والعربية اثنين وتسعين مصنفا.

يذكر لنا محققو كتاب " المسائل فى الطب "آثار حنين الطبية، التى يتضح منها مقدار تأثره وأخذ ه عن جالينوس[١٥].

لقد ترجم وشرح ولخص حنين كتابات جالينوس، واعتمد عليه فى كثير من الآراء والنظريات التى نادى بها.

والعلاقة وثيقة بين أعمال حنين وبين طب جالينوس حيث نجد التشابه الشديد بين كتاب العشر مقالات فى العين المنسوب إلى حنين وجالينوس. فقد اشار هيرشبرج أستاذ طب العيون فى جامعة برلين فى كتابه "تاريخ طب العيون" إلى أن هذا الكتاب يوجد تحت اسم مستعار فى ترجمتين لاتينيتين احدهما باسم "كتاب جالينوس فى العين" Galeni liber de Oculis Translatus a

---

(١٤) ابن أبى اصيبعه : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ص ٢٥٧.

(١٥) أبو ريان : المصدر السابق، ص ١٩.

demetria liber ويشير ماكس مايرهوف فى سياق حديثه عن المصنفات العربية الأولى فى أمراض العيون إلى أن كتاب جوامع كتاب جالينوس فى الأمراض الحادثة فى العين ربما كان تلخيصا لكتاب جالينوس "فى تشخيص أمراض العين" الذى فقد، وما يؤكد هذه العلاقة هو إن عنوان النسخة الأصلية للكتاب جاء على النحو التالى "كتاب حنين بن إسحق فى تركيب العين وعللها وعلاجها على رأى أبقراط وجالينوس، وهو عشر مقالات". ومن هنا يمكن لنا أن نعتمد على ما جاء فى هذا الكتاب باعتباره مصدراً من مصادر معرفتنا بآراء جالينوس. ويمكننا أن نشير إلى اعتماد حنين بن إسحق (صاحب كتاب العين) فى موضوع الإبصار على رأى جالينوس لبيان مدى تأثره به، على الرغم من معرفته برأى أرسطو فى الضوء والإبصار. فشرح حنين لعملية الإبصار شرح فلسفى محض، وقد تطرق حنين فى هذا الشرح الفلسفى إلى المفاهيم الرياضية البصرية المعروفة آنذاك، والتى كان جالينوس قد قال بها (ص١٦)، وقد اجتهد فى أن يقرب رأى جالينوس فى الإبصار (ص١٧)، وسوف نتناول هذه العلاقة بالتفصيل فى الفصل الخامس لبيان أثر الأفكار الفلسفية على نظريات جالينوس الطبية فى الإبصار.

هذا عن الموقف الأول. موقف التأسيس والنقل والترجمة، والذى تبعه تبنى آراء جالينوس، كما يظهر فى الموقف الثانى الذى نجده لدى العديد من الأطباء الذين أخذوا بنظريات جالينوس الطبية وأسسوا عليها آراءهم ودافعوا عنها ضد خصوم جالينوس كما يظهر ذلك لدى رئيس أطباء مصر على بن رضوان، الذى اتخذناه مثالا لهذا الموقف.

ثانيا : مرحلة التأييد والدفاع عن جالينوس :

يمثل هذه المرحلة الثانية أصدق تمثيل الطبيب العربى المصرى على بن رضوان[(١٦)] (٣٧٦-٤٦٠هـ/٩٨٦-١٠٦٧م) الذى تحمس تحمساً شديدًا لطب جالينوس. وكان من أكبر الداعين له، المدافعين عنه، الناشرين لكتبه،

---

(١٦) انظر عنه دراسة الدكتور سلمان قطاية : الطبيب العربى على بن رضوان : رئيس أطباء مصر، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٤.

المفندين شكوك منتقديه، تعلم على كتاباته واعتمد عليها وكانت بالنسبة له أساس تعليم الطب، أكد على شرف صناعة الطب اعتمادا على أقوال جالينوس فى تفسير عهد أبقراط[١٧]، شرح له سبعة عشر كتابا نجد قائمة بها لدى ابن أبى أصيبعة نقلها عنه ماكس مايرهوف وأشار إليها سلمان قطاية بين تعاليم جالينوس فى عدد كبير من مؤلفاته. والمتتبع لثقافة الطبيب العربى يجدها تتشابه مع ثقافة جالينوس الموسوعية؛ فقد أهتم كل منهما بالإضافة إلى الطب بالفلسفة والأخلاق والمنطق.[١٨]

يتضح ذلك من مؤلفات ابن رضوان فى الفلسفة والأخلاق والمنطق مثل: كتاب الانتصار لأرسطو، وهو كتاب التوسط بينه وبين خصومه المناهضين له فى السماع الطبيعى، فى تسع وثلاثين مقالة، ورد عليه موفق الدين عبداللطيف البغدادى فى اختلاف جالينوس عن أرسطو، مقالة فى فضيلة الفلسفة. وفى المنطق كتب : كتاب المستعمل من المنطق فى العلوم والصناعات (ثلاث مقالات)" وقد حققه ونشره مع دراسة لفكر ابن رضوان المنطقى الدكتور أحمد عرفات القاضى فى الذكرى الألفية للفيلسوف وصدر بالقاهرة عن دار النهضة المصرية، ١٩٩٨ وتعليق فوائد مدخل فرفريوس" وفى الأخلاق: تفسير مقالة الحكيم فيثاغورس فى الفضيلة، رسالة فى التطرق بالطب إلى السعادة،" مقالة فى سبيل السعادة وهى السيرة التى اختارها لنفسه"، رسالة فى بقاء النفس بعد الموت"، مقالة فى الفرق بين الفاضل من الناس والسديد والعطب"، مقالة فى السعادة، تذكرته المسماه بـ "الكمال الكامل والسعادة القصوى غير كاملة. "

وقد أوضح ابن رضوان مثل جالينوس العلاقة الوثيقة بين المنطق والطب[١٩]، تعلم بقراءة كتب الطب حيث عول على أن يقرأ بنفسه كتب جالينوس فوقع فى يده كتاب فى "آراء أبقراط وأفلاطون" فوجد أنه لايفهم

---

(١٧) المرجع السابق، ص ١١٥.

(١٨) راجع قائمة مؤلفاته فى سلمان قطاية، ص ٣٤-٤١.

(١٩) يشير نيقولا ريشر فى كتابه تطور المنطق العربى إلى العلاقة الوثيقة بين المنطق والطب، وتلك مسألة سوف نتوقف أمامها بالتحليل فى الفصل الرابع.

كلامه (أى كلام أبقراط) إلا من تدرب فى الهندسة أوالمنطق[٢٠] ويفسر أهمية علم المنطق لأن من عرف المنطق أمكنه فهم ما فى كتب جالينوس، وأن يضع من تلقاء نفسه لكتب جالينوس جوامع وشروح . ويخبرنا سلمان قطاية، أن ابن رضوان يضع كتب أبقراط وجالينوس فى المقام الاول، ويعتقد أن من ارتاض على المنطق تمكن من فهم كتبهما[٢١]. وقد أكد فى "مقالة فى شرف الطب " مثلما فعل جالينوس أن على الطبيب الفاضل أن يكون فيلسوف[٢٢].

مثل جالينوس البؤرة المرجعية لجميع كتابات ابن رضوان، فهو بالنسبة له المصدر الأساسى، والحجة القوية، والسلطة العليا لكل أمور الطب، شرح مؤلفاته، ورجع إليه فى جميع أعماله بحيث لايكاد يوجد كتاب من كتبه إلا اعتمد فيه على جالينوس وأشار فيه إليه، ويأتى فى مقدمه هذه الأعمال "الكتاب النافع فى صناعة الطب " الذى نجد فيه إشارات عديدة إلى طريقة كل من أبقراط وجالينوس وحكماء مدرسة الإسكندرية فى تعليم الطب[٢٣].

وينتقد ابن رضوان فى كتابه، الكنانيش والكتب المختصرة ويعتبرها لاتصلح للتعليم، ومفسدة للمتعلمين، وينصح بالاعتماد على مؤلفات أبقراط وجالينوس[٢٤]، وفى هذا الكتاب يبدو ابن رضوان - كما فى كتبه الاخرى - متأثرا بأفكار جالينوس إلى حد كبير، وهو يُعدّ هذا الطبيب سيد الأطباء علما وسلوكا، ومؤلفاته مثالية لانقص فيها ولانقض عليها، ومن فرط إعجابه واعتماده على أفكار جالينوس فى الطب أنه كان يرجع إليه حتى فى أحلامه[٢٥].

---

(٢٠) د . سلمان قطاية : المصدر السابق، ص٤٧.

(٢١) المرجع السابق، ص٥٠.

(٢٢) المرجع السابق، ص١١٥.

(٢٣) وقد حقق الدكتور كمال السامرائى كتاب على بن رضوان : النافع فى كيفية تعليم صناعة الطب ، مركز إحياء التراث العلمى العربى، جامعة بغداد، ١٩٨٦، ص١١.

(٢٤) مقدمة تحقيق د . كمال السامرائى ، المرجع السابق، ص١٩.

(٢٥) وقد استشاره ذات ليلة فى علاج صداع أزمن عليه وأفقده الراحة فنصحه جالينوس فى تلك الرؤيا أن يفصل القمحدوة (الجزء الخلفى الناتىء من عظم الرأس) ليبرأ من شكواه ففصدها حين أصبح وبرأ".

ويخصص الباب الخامس من كتاب "النافع في كيفية تعليم صناعة الطب" لبيان كيفية تعليم جالينوس " والثامن " في اقتصار الإسكندرانيين على عشرين كتاباً أربعة من كتب أبقراط، وستة عشر من كتب جالينوس. ويلاحظ أنه على الرغم من أن ابن رضوان قد شرح كتب جالينوس فهو لاينصح الطالب بالعودة إلى شروحه، بل يصر على العودة إلى كتب أبقراط وجالينوس، ويذكر لنا ترتيب قراءة كتب جالينوس[٢٦]، وينتقد حنين بن إسحق، ويرجع دوما في هذا النقد إلى كتب جالينوس ويعدها مصدرا[٢٧] ويدافع عن جالينوس دفاعا مجيدا ضد أرسطوطاليس وغيره، وينصح باتباع آرائه وتعاليمه دوما[٢٨]

ويعتمد ابن رضوان على جالينوس اعتمادا كبيرا في " شرف الطب وآداب الطبيب " ويسرد مقطعا له من كتاب " حيلة البرء " يقول فيه لاشيء أقبح ولا أشنع من أن تكون قادرا على فعل الخير فتتوانى عنه"[٢٩]. ويذكر في كتاب "مقاله في شرف الطب " ما قاله جالينوس في هذا الموضوع من أنه على الطبيب الفاضل أن يكون فيلسوفا.

ويربط الطب بالأخلاق في كتاب " التطرق بالطب إلى السعادة "، ثم يقول إن صناعة الطب هي فعل الخير. ويذم من يعرف ذلك ولايقوم به مستشهدا بأقوال اليونان وعلى رأسهم جالينوس"[٣٠]. وفي الفصل الثالث عشر في كتابه " دفع مضار الابدان بأرض مصر "يرى أن نصائح أبقراط وجالينوس هي مايدفع ضرر الأمراض الوافدة بأرض مصر[٣١]. ويشير في

---

(٢٦) المصدر نفسه ص١٠٢، وقد أورد ماهر عبد القادر في كتابه عن حنين بن إسحق ترتيب علي بن رضوان لقراءة كتب جالينوس ، ص١١٥-١١٨.

(٢٧) كتاب النافع في كيفية صناعة الطب، ص١٠٢.

(٢٨) المصدر السابق، ص١٠١.

(٢٩) د. سلمان قطاية، ص٦٤.

(٣٠) المرجع السابق، ص ١٢١.

(٣١) علي بن رضوان : رسالة في الحيلة في دفع مضار الأبدان بأرض مصر، تحقيق رمزية الأطرقجي، مركز إحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد د . ت . الفصل الثالث عشر، ص ٧٦ ومابعدها .

مقالته فى "التنبيه" على ما فى كلام المختار بن الحسن الطبيب البغدادى من الأغاليط " مبينا خطأ المختار فى قوله ان الفروج أحر من الفرخ معتمدا على تمييزا جالينوس بين الطبيب والمتطبب وهو تمييز يؤكد فرضيتنا الأساسية التى تمثل محور هذا البحث، وهى الارتباط الوثيق بين الفلسفة والعلم فى أفكار جالينوس وكتاباته، فالطبيب فيلسوف كامل وأنه من قصر عن ذلك فهو متطبب لاطبيب، والفيلسوف الكامل هو الذى قد حصل له العلم التعليمى والطبيعى والإلهى والمنطقى(٣٢).

ويقدم لنا سلمان قطاية فى تحقيقه كتاب "الكفاية فى الطب "المنسوب إلى على بن رضوان عدة نصوص منها، فوائد علقها من كتاب حيلة البرء وفوائد علقها من كتاب تدبير الصحة، وفوائد علقها من كتاب الأدوية المفردة وكلها لجالينوس(٣٣).

ويتضح موقف ابن رضوان المؤيد لجالينوس فى أنه – على الرغم من انتقاده اللاذع لغيره من الأطباء – لايقبل أن ينتقد أحدهم جالينوس(٣٤)، وعلى سبيل المثال نجده على الرغم من احترامه وتقديره للرازى كان يختلف معه فى بعض الأمور، وخاصة حينما كان الرازى ينتقد رأى جالينوس ومن المعروف أن الرازى الذى لقب بجالينوس العرب وضع كتابا فى الشكوك على جالينوس، بينما نجد ابن رضوان مخلصا أشد الإخلاص لآراء جالينوس، فحين يقدم الرازى آراء تيساليوس Thesalus على آراء جالينوس نجد ابن رضوان يهاجم الرازى بعنف(٣٥)، ويستمر فى الهجوم على الرازى مقارنا بين كتابه "الحاوى" وكتاب جالينوس ويتبنى موقف جالينوس ضد تيساليوس وأصحاب القياس(٣٦).

---

(٣٢) د. سلمان قطاية، ص ١٣٠.

(٣٣) كتاب الكفاية فى الطب، المنسوب إلى على بن رضوان، تحقيق د. سلمان قطاية، دار الرشيد للنشر، العراق ١٩٨١.

(٣٤) سلمان قطاية : على بن رضوان، ص٧٩.

(٣٥) المرجع السابق.

(٣٦) المرجع نفسه، ص ١٠٤.

ويمكننا أن نشير بإيجاز إلى موقف الرازى المتميز من نظريات جالينوس[٣٧]. فالرازى كما أشرنا ألف فى الشكوك على جالينوس رسالة مهمة أثارت كثيرا من الردود على الرغم من أنه لقب بجالينوس العرب، فأنه نقد جالينوس فى كتابه الذى ضمنه ثمانية وعشرين خطأ علميا وقع فيها جالينوس، كما نقد ما فى كتاب البرهان لجالينوس من عمل العين فى الإبصار وتكيف حدقتها فى حالتى النور والظلمة[٣٨] لقد اعتمد الرازى على التشريح المحدود لجالينوس وأضاف إليه من خبرته فى تشريح الحيوانات[٣٩] وهو ينقض – كما يرى سلمان قطايه –كلام جالينوس بجرأة معتمدا على خبرته وعلى المنطق، كما يتضح فى الجزء ١٩ من الحاوى[٤٠] يعرض الرازى لأقوال جالينوس فى كتابه الحاوى، ويعلق عليها، ويعرف القولنج فى كتابه الذى يحمل نفس الاسم بشكل أكثر تحديدا من تعريف جالينوس الذى فشل فى تشخيص ألمه " إن تشخيص القولنج ليس دوما بالأمر السهل، فجالينوس نفسه قد أخطأ فيه"[٤١] والرازى خلافا لجالينوس لايخلط بين الأعراض والأمراض، بل يحاول إثبات خاصيات واستقلال كل مرض على الرغم من تشابه الأعراض ،وذلك فى دراسته التفريقية بين الجدرى والحصبة[٤٢].

والموقف نفسه وإن يكن بغير هذا الحسم والوضوح نجده لدى ابن سينا الذى يعد من أهم أطباء المسلمين، كما يتضح خاصة من كتابه القانون فى

---

(٣٧) د . محمد منصف المرزوقى : الطب الإسلامى وجالينوس، أعمال المؤتمر العالمى الأول عن الطب الإسلامى، نشره الطب الإسلامى، العدد الأول ط ٢، الكويت ١٩٨١، ص١٠٥.

(٣٨) الرازى: الشكوك على جالينوس تحقيق د. مهدى محقق، ص٩ وأيضاً أبو بكر الرازى وأثره فى الطب العربى (كتاب تذكارى) مركز إحياء التراث العلمى العربى جامعة بغداد، ١٩٨٨، ص١٩.

(٣٩) المرجع السابق أبوبكر الرازى وأثره، ص٣٠.

(٤٠) الرازى ، الفروق بين الأمراض، تحقيق د. سلمان قطاية ، معهد التراث العلمى العربى بجامعة حلب ١٩٧٨، المقدمة ، ص ٢٩٠.

(٤١) الرازى : كتاب القولنج، تحقيق د . صبحى محمود حمامى، منشورات معهد التراث العلمى العربى بجامعة حلب، ومعهد المخطوطات العربية، ١٩٨٣، ص٣٦، ص٨١.

(٤٢) د . محمد منصف المرزوقى، مصدر سابق، ص ١٠٥.

الطب، والذى عده البعض قرين جالينوس فى الطب وأنه اعلى منه كعباً فى الفلسفة[٤٣].

ويتضح موقف ابن سينا من جالينوس فى رسائله الطبيه، فهو فى كتاب الحيوان من طبيعات الشفاء الذى شاء فيه أن يحاكى كتاب الحيوان لأرسطو يقدم لنا دراسة مستقلة صاغها على نحو خاص، وتأثر فيها بمؤثرات مختلفة. والذى لانزاع فيه أنه أفاد كثيرا من دراسته الطبيه ومن آراء جالينوس وبحوثه البيولوجيه، وقارب كل المقاربة بين الطب وعلم الحيوان وفيها إفادة كبيرة من بحوث جالينوس فى التشريح[٤٤]. يستشهد فى الفصل الثانى الفقرة (ب) "فى الأعضاء الكلية" بتحديد جالينوس للأعضاء . ويخالف آراء فاضل الأطباء جالينوس، ويعرض لآرائه الشخصية معقباً إن هذا القول يخالف قليلا بل كثيرا جالينوس (ص١٦). ويرى فى المقالة الثالثة من الفن الثامن من جملة الطبيعيات الفصل الأول : فى تشريح الأعضاء الباطنة والخلاف بين الفلاسفة والأطباء : "أن مبعث كل القوى النفسانية القلب، ويرفض قول جالينوس الذى بالغ فى البرهان على أن مبادئ العروق والعصب ليست من القلب" (ص٤٠).. وفى موضع آخر يبين أن شيئا مما يقوله فاضل الأطباء ليس بضرورى (ص٤٣) وأحيانا ينتصر لأرسطو ضد نقد جالينوس له وذلك فى الفصل الثانى من المقالة التاسعة : فصل فى احتجاج جالينوس على الفيلسوف ونقض ذلك الاحتجاج وتسخيفه (ص١٤٧-١٥٧).

لقد أخذ عن جالينوس كثيراً إلا أن علاقته بنظريات هذا الأخير تحددت عبر موقفه من نظريات أرسطو حيث نجد لديه ميلا مع تردد إلى قبول آراء جالينوس مع الإضافة إليها والتعديل فيها، فهو يكرر كثيراً عبارة "يقول

---

(٤٣) دى بور : تاريخ الفلسفة فى الإسلام، ترجمة محمد عبدالهادى أبوزيدة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ص ١٨٧.

(٤٤) ابن سينا : الشفاءالطبيعيات ٨- الحيوان تحقيق د. عبد الحليم منتصر، سعيد زايد، عبد الله إسماعيل، وتصدير الدكتور إبراهيم مدكور، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهر: ١٩٧٠، المقدمة.

جالينوس وأقول..."[٤٥] يتضح هذا الموقف السينوى ليس فى الطب فقط بل أيضاً فى مجال المنطق والأخلاق[٤٦] والفلسفة [٤٧].

ثالثا : مرحلة النقد والتعقيب على جالينوس

إذا تحدثنا عن الانتقال من مرحلة الترجمة والنقل إلى مرحلة الإضافة والإبداع، وعرضنا للموقف الثالث الذى لا يكتفى بالشرح والتلخيص بل يمتاز بالنقد والتفنيد لآراء جالينوس، فإن أفضل من يمثله هو الوليد بن رشد فهو وإن كان قد تأثر بجالينوس فقد عارضه، ورسائله الطبيه التى نشرت أخيرا خير شاهد على ذلك[٤٨]. والحقيقة أن هذا الموقف النقدى ينبع من ثقافة فلسفية عميقة.

ويهمنا أن نقف عند ابن رشد الطبيب لتناول أعماله وبيان موقفه من طب جالينوس. وأول هذه الأعمال واهمها هو كتاب الكليات [٤٩]. وقد سبق أن نشر خرستوف بورجل Burgel السويسرى إحدى فصول الصحة بكتاب الكليات (الكتاب الثانى) بعنوان "القول فى آلات التنفس "ويحتوى هذا الفصل

---

(٤٥) الموضع السابق.

(٤٦) راجع فى الفصول القادمة حديثنا عن موقف ابن سنيا من منطق جالينوس ، وكذلك من كتابات جالينوس الأخلاقية وراجع أيضا الأخلاق، ابن سينا، معرفة الأخلاق وسياستها فى تيسير شيخ الأرض : المدخل إلى فلسفة ابن سينا، دار الأنوار، بيروت، د.ت.ص٣٣٧، ٣٤١، سياسة الرجل نفسه، ص ٥٠٥ – ٥٠٧.

(٤٧) فيما يتعلق بالنفس وحدوثها عند ابن سينا وكيفية هذا الحدوث يخبرنا الألوسى أن فى كتب ابن سينا حلا أشبه مايكون بموقف جالينوس، انظر حسام الدين الألوسى: حوار بين الفلاسفة والمتكلمين، دار الشوئن الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦ ص١٩٦.

(٤٨) د. سعيد شيبان، د. عمار الطالبى محققا كتاب ابن رشد : الكليات، المجلس الأعلى للثقافة بالتعاون مع الاتحاد الدولى للأكاديميات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٩ ص٣.

(٤٩) صدرت لكتاب الكليات أربعة طبعات هى على التوالى : طبعة نيودلهى١٩٨٤، وطبعة القاهرة ١٩٨٩ وطبعة ثالثة بتحقيق خ.م. فورتياس، ك. الباريث دى موراليس فى جزئين المجلس الأعلى للبحوث العلمية فى مدريد عام ١٩٨٧. وطبعة محمد عابد الجابرى، مشروع نشر اعمال ابن رشد مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٨.

على نقد لجالينوس كإسهام في بيان مكانة جالينوس عند العرب، فالكتاب مليء بنصوص رشدية تنتقد جالينوس. ومما يوضح موقف ابن رشد النقدى أن بورجل تناول فى مقدمته النقاط التالية :

- نقد جالينوس فى العالم الاسلامى فى العصر الوسيط.

- نقاط الاختلاف بين ابن رشد وجالينوس فى الكتاب الثانى من الكليات.

- مصادر الفصل الخاص بالتنفس، أى الاخبار العربية الخاصة بكتب أرسطو وجالينوس فى التنفس(٥٠).

وقد قدم لنا جورج قنواتى فى كتابه "مؤلفات ابن رشد" ١٩٧٨ حصرا بالأعمال التى تتناول رسائل جالينوس الطبية المختلفة وهى: تلخيص الأسطقسات، تلخيص كتاب المزاج، تلخيص القوى الطبيعية، تلخيص كتاب الحميات، كلام فى اختصار العلل والأمراض، مقالة فى أصناف المزاج، مقالة الترياق، مقالة فى حفظ الصحة، فى حيلة البرء(٥١). وبعد تسع سنوات نشر قنواتى هذه الرسائل بالاشتراك مع سعيد زايد تحت عنوان " رسائل ابن رشد الطبية(٥٢).

وقد سبق أن قام م. كونثبيثون بانكيث دى بنينيو بتحقيق هذه الرسائل وحرر نصها العربى المستشرق الأسبانى سالبادور غوميث نوغاليس وصدرت بعنوان " تلخيصات ابن رشد إلى جالينوس " فى مدريد ١٩٨٤.

توضح لنا هذه الرسائل والكتابات الطبية المشروع العلمى لابن رشد، وتبرز فى الوقت نفسه مكانة جالينوس لدى الفيلسوف العربى وموقفه النقدى منه. لقد كان لجالينوس منزلة خاصة عند ابن رشد قد تفوق منزلة غيره ممن كان له تأثير ما أو إسهام فى تشكل مشروعه العلمى الفلسفى فى

---

(٥٠) الأب جورج شحاته قنواتى : مؤلفات ابن رشد، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ١٩٧٨، ص٢٣٩.

(٥١) المصدر السابق، ص٣٠.

(٥٢) الأب قنواتى، سعيد زايد محققا رسائل ابن رشد الطبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٧.

صورته الأولى. لقد اتجه ابن رشد عند نهاية مشروعه الفلسفى - كما يخبرنا جمال الدين العلوى - إلى إنجاز مشروع علمى آخر تجلى فى تلخيص بعض مؤلفات جالينوس فى الطب ،وهذا المشروع ليس منفصلا عن المشروع الفلسفى وإنما هو نتيجة من نتائجه، أعنى أنه لما كان الطب صناعة علمية ترجع فى أصولها إلى العلم الطبيعى كان لابد من مراجعة الطب الجالينوسى على ضوء ماانتهى إليه ابن رشد بصدد الأصول الطبيعية التى تؤسس القول الطبى.

إن ابن رشد قد أفصح فى غير موضع من تلاخيصه الطبية هذه أنه يريد من تأليفها أن تقوم مقام كتب جالينوس; وذلك إما لأن فى هذه الكتب طولا ربما يكسل المهتمين بصناعة الطب، وإما لتصحيح بعض ماورد فيها مخالفا للأصول الطبيعية، وإما للتنبيه أن كثيرا مما استعمل فيها من أقاويل لايرقى إلى مستوى القول البرهانى العلمى. وأبو الوليد لايكتفى بتلخيص معانى مؤلفات جالينوس بل يحرص فى كثير من المواضع على بيان فساد ماذهب إليه أو بيان تعارضه والأصول الطبيعية المقررة، أو تعارضه مع الأصول التى قررها جالينوس نفسه(٥٣).

حرص ابن رشد فى تلخيص كتاب القوى الطبيعية على بيان الأسباب التى دعته إلى هذا التلخيص فأكد على سوء فهم جالينوس لمذهب أرسطو فى الكيفيات الأربعة. وتفصح خاتمة التلخيص عن المنزلة التى ينزل فيها مؤلفات جالينوس على الرغم من تأكيده أن تعلم الطب على المجرى الصناعى إنما هو فى كتب هذا الرجل. وكما جاء فى الخاتمة " فهذا كله مما ينبغى أن يفرد الفحص عنه ويتقصى النظر فيه إلى أن يبلغ مرتبة البرهان. وأما الأقاويل المثبتة فى هذا الكتاب فهى إقناعية لاتتجاوز فى الإقناع رتبة الأقاويل الجدلية، وربما ساد فى بعضها الأقاويل البلاغية(٥٤).

---

(٥٣) جمال الدين العلوى : المتن الرشدى . مدخل لقراءة جديدة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ١٩٨٦، ص١١١.

(٥٤) المرجع السابق، ص ١١٤.

واختتم ابن رشد تلخيص كتاب الحميات باستدراك طويل على جالينوس كما جرت بذلك عادته فى التلاخيص الأخرى، لكنه أوضح حدود هذا الاستدراك الطويل بقول ينم عن موقف آخر يضاف إلى ما سبق قال : "وهذا كله على الأصول التى يقررها جالينوس، لكن ليس بمنكر على الناظر أن يؤصل أصولا فى علم ثم يسهو عن تلك الأصول فى موضع من المواضع ولذلك ينبغى أن يتطرق إلى العلماء فى أمثال هذا المواضع، وخاصة إذا كانوا هم الذين أفادونا الأصول التى بها وقفنا على سهوهم فى هذه المواضع"(٥٥)

ومن هنا يتبين أن أبا الوليد لا يرفض الأصول التى يقررها جالينوس فى صناعة الطب، ولكن شريطة الأ تكون مناقضة للأصول الطبيعية التى يقررها جالينوس أو ما يراه هو أصولا فى العلم الطبيعى نظراً لما هنالك من صلة بين الطبيعيات من حيث هى علم نظرى وصناعة الطب من حيث هى صناعة عملية.

يتبع ابن رشد طب جالينوس، ولكنه كان يتبع أرسطو حينما يخالف جالينوس، وإذا اختلفا الاثنين فهو يختار الانحياز لأرسطو(٥٦) ويوضح سعيد شيبان وعمار الطالبى موقفين لابن رشد تجاه جالينوس فهو – أولا – يعترف بفضل جالينوس فى علم الطب وتفوقه على جميع الأطباء، كما يتضح فى قوله عن الأدوية " والأشهر ما شهد به جالينوس فإنه الرجل الموثوق والمجرب فى هذه الصناعة ". وهو – ثانيا – لا يذهب فى الغلو فى تفضيل جالينوس على جميع الأطباء إلى أن يكون ذلك فى كل زمان بل جعله محدوداً بعصره وبمن جاء بعده من الأطباء(٥٧).

---

(٥٥) ابن رشد : تلخيص كتاب الحميات ، طبعة مدريد، ص ١٩٩.

(٥٦) مقدمة تحقيق الطبعة الأوردية لكتاب ابن رشد الكليات، وحدة البحث العلمى لكنهو، المجلس المركزى للبحوث فى الطب اليونانى، نيودلهى١٩٨٤ ص :ح .

(٥٧) د. سعيد شيبان، ود. عمار الطالبى، المصدر السابق، ص١١. وانظر أيضاً بحثنا ابن رشد طبيباً، ندوة الطب والصيدلة عند العرب، مركز تحقيق التراث، جامعة الاسكندرية. ١-٢ ابريل ١٩٩٨ و "تشريح النص الطبى الرشدى" وهو بحث القى فى الندوة الدولية عن "ابن رشد واشكالية المنهج" بقسم الفلسفة بجامعة تونس الأولى فى ٣-٥ ديسمبر ١٩٩٨.

ويخبرنا ابن رشد فى مقالته فى " المزاج " أن الذى حركه إلى هذا البحث هو جالينوس، ويرفض أن يوجد المزاج المعتدل فى الأطراف المتضادة وهو ما يجوزه جالينوس فى الطب(٥٨). وقد رد عليه فى ذلك فى تفسير ما بعد الطبيعة(٥٩) كذلك يشير إليه عدة مرات فى "تهافت التهافت" وهى إشارات لن نتوقف أمامها هنا لأنها أقرب إلى الفلسفة منها إلى الطب(٦٠)، إلا أن ما يهمنا هنا هو الإشارة إلى دفعه لابن زهر أبو مروان عبد الملك بن زهر (ت٥٥٧هـ) إلى تأليف كتاب "التسيير فى المداوة والتدبير" ليكون تفصيلاً لما جاء فى كتابه الكليات فى الطب.

ويبدو أن ابن زهر لم يؤلف كتابه هذا إلا بعد أن نضج علمه واكتملت اختباراته" ولذا عد أفضل كتبه وأشهرها ؛ومع أنه كان جالينوسى المذهب، إلا أنه كانت له شخصيته المستقله، وتجرأ على الانحراف عن كثير من أساليب التشخيص والمعالجة التى وضعها جالينوس"(٦١). ويخبرنا منصف المرزوقى فى دراسته عن الطب الإسلامى وجالينوس عن الاستقلال والمنهجية العلمية عند ابن زهر الذى كان يشرح الموتى غير مقتنع بتشريح جالينوس للحيوان. وقد أكد مراراً على أهمية التجربة والملاحظة وتفوقها على الآراء الدوجماطيقية التى ترتكز على حديث جالينوس (ص١٠٥-١٠٦) وكتابه هذا بالإضافه إلى ما كتبه ابن رشد يمثل الموقف النقدى من طب جالينوس.

ويوضح لنا روزنتال "أن الأطباء المسلمين كثيرا ما كانوا يرفضون الأخذ بنظريات أبقراط وجالينوس الطبية لخطأ يجدونه فيها، إما بناء على

---

(٥٨) ابن رشد : فى المزاج، ضمن كتاب جمال الدين العلوى : رسائل فلسفية : مقالات فى المنطق والعلم الطبيعى، دار النشر المغربية، الدار البيضاء ١٩٨٣، ص ٢٤٥.

(٥٩) ابن رشد : تفسير ما بعد الطبيعة، تحقيق الأب بويج، دار المشرق، بيروت، ١٩٧٦ صفحات ٨٨٤، ١٣٦١.

(٦٠) ابن رشد : تهافت التهافت، تحقيق الأب بويج، دار المشرق، بيروت ط ٢، ١٩٨٦ صفحات ١٢٧، ١٥٥، ٢١٢.

(٦١) أبو مروان عبد الملك بن زهر : كتاب التيسير فى المداوة والتدبير، تحقيق ميشيل الخورى . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دمشق ، سوريا، ١٩٨٣ ص٢٤٧.

اختياراتهم الشخصية أو بناء على تفكير منطقى. ويقدم لنا أمثلة عديدة لذلك بكثرة النقد الذى قدمه الأطباء المسلمون يقول: "لو أردنا أن نذكر جميع الأمثلة المتوفرة لدينا لاقتضى ذلك كتابة تاريخ الطب العربى من أوله إلى أخره[٦٢].

ونضيف إلى ذلك موقف ابن النفيس من جالينوس. فقد كان الطبيب العربى يغض من كلام جالينوس ويصفه بالعى والإسهاب الذى ليس تحته طائل[٦٣] وقد رفض ابن النفيس قبول نظرية جالينوس الخاطئة فى الدور الذى تلعبه الرئتان فى نقل الدم من تجويفة القلب الواحدة إلى الأخرى"[٦٤]

ويشير د. يوسف زيدان إلى نظرية جالينوس فى العلاج موضحا أن الأطباء العرب هم أول من تناولوا مؤلفات جالينوس بالنقد والمخالفة القائمة على المشاهده والتجريب[٦٥] ويوضح ان ابن النفيس كان كثير الهجوم على جالينوس ويستشهد بقوله فى شرح فصول أبقراط "هذا ظاهر كلام جالينوس وما ذكرناه أكثر فائدة" وبقوله فى "شرح تشريح القانون" إذ يشتد ابن النفيس على جالينوس عند تناوله لمسألة تشريح الأسنان قائلا : "وقد شنع جالينوس على من يجعلها عظاما وجعلهم سوفسطائية واستدل هو على أنها عظام بما هو عين السفسطة"[٦٦].

وقد أكد البغدادى (حوالى ١١٦٢-١٢٣١) على أهمية التجربة والملاحظة ضد سلطة جالينوس بقوله : "ومن العجيب ما شاهدناه أن جماعة

---

(٦٢) ويقدم لنا مثالا لذلك بنقد ابن ميمون لنظرية جالينوس المتعلقة ببويضة الأنثى يقول ابن ميمون "لست أدرى كيف وقع جالينوس على هذه النظرية، هل كان ذلك وحيًا هبط عليه أو أنه حصل له ذلك عن طريق القياس المنطقى؟ أما إذا كان قد توصل إلى هذه المعرفة عن طريق القياس المنطقى فإنه أمر لا شك يدعو إلى الدهشة. روزنتال : المصدر السابق، ص ١٥١-١٥٢.

(٦٣) على القيم : ابن النفيس الدمشقى ، دار دمشق ١٩٨٨ ص٢٢٩.

(٦٤) روزنتال : المرجع السابق ص١٥٣.

(٦٥) د. يوسف زيدان : مقدمة تحقيق كتاب ابن النفيس : المختار من الاغذية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٢، ص٣٣.

(٦٦) د. يوسف زيدان مقدمة تحقيق كتاب ابن النفيس، رسالة الأعضاء، الدار المصرية اللبنانية القاهرة، ١٩٩١، ص٥٣-٥٤.

ممن يتعاطون الطب وصلوا إلى كتاب التشريح لجالينوس فكان يعسر إفهامهم لقصور القول عن العيان فأخبرنا أن فى المقطم تلاً عليه رمم كثيرة فخرجنا إليه فشاهدنا من شكل العظام ومفاصلها وكيفية اتصالها وتناسقها وأوضاعها ما أفادنا علماً لا نستفيده من الكتب، أما إنها سكتت عنها أو لا يفى لقطعها بالدلالة عليه أو يكون ما شاهدناه مخالفاً لما فيها، والحس أقوى دليلاً من السمع، فإن جالينوس وإن كان فى الدرجة العليا من التحرى والتحفظ فيما يباشره ويحكيه فإن الحس أصدق منه". إن هذه الثقة بالملاحظة التى نجدها فى كتابه الإفادة والاعتبار، هى التى مكنت عبد اللطيف البغدادى من إثبات بعض أخطاء جالينوس كالقول بأن عظم الفك الاسفل عظمان جمعا بمفصل وثيق. فالبغدادى لا يخشى من نقد المعلم فاضل الأطباء فأن الحس أصدق منه كما نرى فى قوله : "والذى شاهدناه من حال هذا العظم أنه عظم واحد ليس فيه مفصل ولا درز أصلاً اعتبرناه ما شاء الله من المرات فى أشخاص كثيرين تزيد على الفى جمجمة بأصناف من الاعتبارات فلم نجد إلا عظما واحداً فى كل ما شاهدناه منه وما حكيناه"(٦٧).

والأمثلة كثيرة لا تحصى عن موقف الأطباء العرب من جالينوس، فهى جديرة كما يقول فالترز Walzer بأن تشكل بابا عظيما فى أى تاريخ يكتب مستقبلا عن الطب، وبين لنا أن الدراسات التى كتبت عن جالينوس فى أوربا فى القرون الوسطى وعصر النهضة تدين بالكثير إلى ما قام به العرب وإلى ما ترجم من جالينوس إلى العربية. ويضيف أن الدراسة المفصلة لكتاب الطب العربى سوف تكشف عن نصوص أخرى لجالينوس وتيسر السبيل إلى كتابة تاريخ مهم جدا عن أثره فى تطور الطب العربى(٦٨).

---

(٦٧) راجع كتاب عبداللطيف البغدادى: الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، المنشور ضمن كتاب بول غليونجى عن البغدادى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥، ص١٤٩-١٥٠.

(٦٨) ريتشارد فالترز : مادة جالينوس، دائرة المعارف الإسلامية، طبعة دار الشعب، القاهرة، المجلد العاشر، ص ٤٢٢-٤٢٥.

تعقيب :

فى ختام الفصل الأول عن جالينوس الطبيب نود أن نقدم بعض الملاحظات المتعلقة بتوجهات جالينوس الطبية، يأتى فى مقدمتها أن الطب الذى كان الشغل الشاغل له بحثا وممارسة أرتبط بكل من الفلسفة والعلم الطبيعى والبرهان. كما أن جهد جالينوس الطبي، خاصة فى مجال التأليف والكتابة دار حول تفسير وشرح كتابات أبقراط. وأن أهمية جالينوس التاريخية والعلمية فى مجال الطب تأتى من كونه الشارح والمفسر لكتب أهم شخصية فى الطب وهو أبقراط.

والملاحظة الثانية هى فهم جالينوس العميق لجهود الأطباء السابقين عليه وعرضه لمختلف نظرياتهم وتحليله لهذه الأعمال ونقده لعدد كبير منهم، لكن اللافت للنظر هو تحديده لمواقف المدارس الطبية المختلفة ومناهجهم فى التشخيص والعلاج كما يتضح.ذلك جليا فى كتابه "فرق الطب للمتعلمين"، الذى يعرض فيه لآراء كل فرقة من هذه الفرق مما يوضح السمة التعليمية التى تغلب على كتاباته وتحديده الدقيق للفرق بين الفرق.

والملاحظة الثالثة هو تصنيفه لأعماله وترتيبه لكتبه؛ تيسيرا لطلاب الطب وقد اجتهد الاسكندرانيون فى هذا المجال خاصة فى كتبه الستة عشر، وترتيبها وقد اتبع الأطباء العرب هذا الترتيب.

لقد عرف العرب وترجموا كتاباته الطبية وغيرها فى أكثر من ترجمة واعتنوا بذلك عناية بالغة بحيث حفظوا التراث الجالينى بصورة شبه كاملة يعز أن توجد فى أية لغة أخرى حتى اليونانية، التى فقدت معظم أعماله منها ولم توجد إلا فى ترجماتها العربية. وأن هذا لايصدق على أعماله الطبية فقط بل وغير الطبية مما يؤكد فضل العرب على هذا التراث الإنسانى إلهام ومما يجعل تسمية "جالينوس العربى" Golenus Arabus تسمية صحيحة. وهذه الصورة لجالينوس تتسع لتشمل إلى جانب الطب الفلسفة والمنطق والأخلاق وهم موضوع الفصول القادمة.

الفصل الثانى

جالنيوس الفيلسوف

تمهيد :

قد يثور السؤال حول مشروعية الحديث عن جالينوس الفيلسوف. وقد يبدى البعض دهشته أمام تناول الطبيب الفاضل فى إطار الفلسفة، ومن ثم التساؤل حول أصالته الفلسفية، أو ما قدمه من أفكار تجعلنا نعرض له ولدوره الفلسفى وتأثير هذا الدور، وقد سبق أن أشرنا فى سياق حديثنا عن مصادر معرفتنا بجالينوس عن تكوينه الفلسفى والمنابع التى نهل عنها علوم الفلسفة المختلفة كذلك معرفة القدماء بأعمال جالينوس الفلسفية وتأثيرها على علمه بالطب، واختلافهم فى تقييم هذا الأثر. مما يجعلنا نتوقف أمام جهوده فى هذا المجال، تمهيدا لمناقشة علاقة الفلسفة بالطب عنده.

إن الحديث عن جالينوس الفيلسوف يتأسس على مقدمتين : الأولى هى أن الفلسفة فى العصور القديمة وربما حتى ديكارت كانت تضم فروع العلم المختلفة، فهى تبحث حسب تعريفها فى الوجود ككل، وبالتالى فإن كل إسهام فى علم من العلوم هو إسهام فلسفى، والمقدمة الثانية هى أن الطب يرتبط بالعلم الطبيعى، وهو أحد العلوم الرئيسية الثلاثة التى تبحثها الفلسفة، والطبيب الذى يتعمق الأسس النظرية للطب هو عالم طبيعى، وهذا ما كانه جالينوس من خلال إسهاماته. كما يؤكد على ذلك فالتزر فى دراسته عن فلسفة جالينوس الأخلاقيه.

لقد عرف جالينوس لدى العرب بفاضل الأطباء وذلك لأنه ربط الطب والفلسفة وأكد فى واحدة من أبرز كتاباته على أنه: ينبغى على الطبيب الفاضل أن يكون فيلسوفا. وعرض له ثقات مؤرخيه باعتباره فيلسوفا، فهو بالإضافة إلى كونه مشرحا، وعالما، وطبيباً ممارسا، وجراحا. وصيدلانيا، عرف أيضا بأنه فيلسوف له أثره، وإن لم يكن من أئمة الفلاسفة[1]. وذلك

---

(١) فالتزر: جالينوس، دائرة المعارف الإسلامية، دار الشعب، القاهرة، الجزء العاشر، ص٤٢٢.

هو حكم ريتشارد فالتزر R. Walzer عليه فيما كتبه عنه في دائرة المعارف الإسلامية، والذى أكد عليه أيضا في دراسته" أضواء جديدة على فلسفة جالينوس الأخلاقية"، حيث يقول: "لقد عرف جالينوس أعظم أطباء العصر القديم كفيلسوف، وقد حظى فى نهاية حياته بنجاح كبير فى هذا المجال، وإن كان اللاحقين عليه لم يقدروا أعماله الفلسفية نفس التقدير الذى أسبغوه على إنجازاته الطبية"(٢)

وتلك هى الصورة نفسها التى يقدمها لنا أبو سليمان المنطقى السجستانى فى "صوان الحكمة" حين يقول: "لقد تعرض جالينوس في زمانه حين كثرت تصنيفاته لأن يوصف بالحكمة، أعنى أن ينقل عن لقب الطبيب إلى لقب الحكيم" فهزأوا به وقالوا: عليك بالمراهم والمسهلات وعلاج القروح والحميات فإن من شهد على نفسه بأنه شاك فى العالم أقديم هو أم محدث؟ وفي المعاد أحق هو أم باطل؟ وفى النفس أجوهر هى أم عرض؟ لمتضع الدرجة عن أن يسمى حكيما"(٣). ومن الواضح أن للرجل آراءه الفلسفية التى عرفت عنه، والتى أكد عليها السجستاني، فلم ينف أحد من السابقين أن للرجل فلسفة، وإن كان البعض أنكر عليه ما قدمه من آراء مخالفة لغيره من الفلاسفة، فهذا الموقف النقدى هو موقف مخالفيه كما يتضح من الفقرة السابقة فى "صوان الحكمة"، فما أورده السجستانى ينسب للأفرديوسى شارح أرسطو، الذى يرى أن جالينوس تعب بصناعته المأخوذة من القياسات والتجارب المأخوذة من الحس وعمل منها أشياء ينتفع الناس بها انتفاعا كبيرا، حتى إنه ليس فى المعمورة أحد ليس لجالينوس عليه منة. ولكنه لم يَرمْ مع تحققه بصناعته، وبراعته فيها بلوغ الدرجة العليا من الحكمة والنظر فى العلوم الشريفة التى تسمى الحكمة على الإطلاق(٤). لم ينكر أحد على جالينوس إنجازاته الطبية ولا إسهاماته الفلسفية، فهو حكيم وإن لم يبلغ

---

(2) R. Walzer, New light on Galent';s Moral philosophy. The Classical Quarterly XLIII, 1949, PP. 82-96, in his, Greek into Arabic, Oxford, 1962, 1962, P. 142-163.

(٣) أبو سليمان المنطقى السجستاني: صوان الحكمة وثلاث رسائل، حققه وقدم له الدكتور عبدالرحمن بدوى، طهران، ١٩٧٤ ص٨٥.

(٤) المصدر السابق ص ٨٦.

الدرجة العليا من الحكمة. وذلك الرأى الذى يؤكد على الجوانب الفلسفية لدى فاضل الأطباء له أهميته لأنه يأتى من معارضيه، لا من تابعيه، وهو يتفق مع رأى فالتزر كما قدمنا" الذى ينهى دراسته السابقة بالتأكيد على أن جالينوس قد حافظ على روح العلوم والطب وكان ممثلا له على مدى ألف سنة من الحضارة الأوروبية، وقد ظهرت أصالته فى أنشطة أخرى للروح بقصد الفلسفة" وإن كان لم يحظ أبدا بتقدير كفيلسوف من الدرجة الأولى مثل أفلاطون، وأرسطو، وأفلوطين"[٥].

وقد اهتم الباحثون المحدثون بالجوانب المختلفة من فلسفته كما فعل ديلاسى أوليرى فى "تأثير جالينوس فى الفلسفة العربية"[٦]. ونيقولاريشر الذى اهتم بالجوانب المنطقية لديه[٧] وفالتزر الذى درس ونشر كثير من أعماله خاصة فيما يتعلق بجوامع أفلاطون[٨] كما خصص عدة دراسات عن فلسفته الأخلاقية. فقد كتب عنه فى دائرة المعارف الإسلامية، وأشار إليه عدة مرات فيما كتبه عن الأخلاق فى هذه الموسوعة[٩] بالإضافة إلى تعليقه على النص العربى لمختصر الأخلاق[١٠] وعاد إلى هذا الموضوع فى دراسة ثانية عن جالينوس.[١١]

والمتتبع لكتابات جالينوس التى أوردها لنا فى فهرست كتبه، ونقلها عنه حنين بن إسحق، يستطيع ان يدرك إسهام جالينوس الفلسفى، والذى يتسم بالتنوع والكثرة ويضم مؤلفات فى العلم الإلهى والطبيعى والمنطق والأخلاق. وسوف نخصص الفصلين التاليين للإسهام الذى قدمه فى المنطق

---

(5) R. Walzer, Ibid., P. 163.

(6) Delacy O. Leary: the influence of Galen on Arabic philosophy, Journal of Indian History Vol. 2, 1922-1923 Pp. 233-338.

(٧) نيقولا ريشر: جالينوس والقياس، ترجمة د. إسماعيل عبدالعزيز، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩١.

(8) . Walzer, P. Kraus: Galeni Compedium Timaei platonis warburg, London 1951.

(٩) فالتزر. الأخلاق، دائرة المعارف الإسلامية، الجزء الثانى.

(10) R. Walzer, Greek into Arabic. PP. 142-163.

(11) R. Walzer: A diatribe on Galen "Haeward theological Review, XLvii, 1954, pp. 243-54, and Greek into Arabic P. 164-174; Walzer: Galen On JEWS and Christians, Galen on Oxford Uni., Press, 1949 Medical Experience, Oxford Uni., Press 1944.

والأخلاق، بينما يدور هذا الفصل حول إسهام جالينوس الفلسفى فى مجال العلم الطبيعى والإلهى.

وقد عرف جالينوس فيلسوفا كما عرفت كتاباته الفلسفية، وهذه المعرفة مهمة للغاية وتحتاج إلى بحث ودراسة لبيان أثره من جهة، وكيفية تعامل الفلاسفة اللاحقين عليه مع كتاباته من جهة أخرى؛ تلك الكتابات التى ساعدت على تأكيد المعرفة بفلسفة أفلاطون وتدعيم نفوذه فى الفلسفة الإسلامية مما جعله يزاحم المعلم الأول أرسطو – الذى كانت له السيطرة فى مجال المنطق والطبيعيات – بتلخيصه لجوامع أفلاطون وهجومه على طبيعيات أرسطو، وكما عرف العرب كتابات جالينوس الفلسفية عرفوا كذلك موقف شراح أرسطو منه، وردهم عليه، خاصة الاسكندر الأفردويسى الذى قدم ردودا عديدة عليه والذى تبعه كثير من فلاسفة المشائية العربية.

إن الدراسة التفصيلية عن تأثير جالينوس على الفلسفة العربية الإسلامية مهمة وضرورية. وقد سبق أن قدم ديلاسى اوليرى بحثا حول هذا الموضوع بعنوان أن تأثير جالينوس على الفلسفة العربية.(١٢)

أولاً : مؤلفات جالينوس الفلسفية :

عرف إسهام جالينوس الفلسفى من خلال مؤلفاته التى أوردها لنا فى الجزء الأخير من فهرست كتبه، وهى تشمل كل ماعدا المؤلفات الطبية، مثل الفلسفة، والأخلاق، والمنطق. وهذه المؤلفات الفلسفية هى :

- كتاب فى أن الطبيب الفاضل يجب أن يكون فيلسوفا، مقالة واحدة.
- كتاب فى أن المتحرك الأول لايتحرك مقالة واحدة(١٣). وفيه ينحو منحى أرسطو، وقد رد عليه الإسكندر الأفردويسى.

---

(12) Delecy O'leary: The influence of Galen on Arabic philosoply, journal of indian History Vol. 2,1922 - 1923, pp. 233-338.

(١٣) ذكره حنين فيما ترجم من كتب جالينوس، ص١٧٨، وابن أبى أصيبعة، ص١٤٧ وقد رد عليه الإسكندر الأفردويسي. وقد نشر كل من نيقولا ريشر وميشيل مرنجر مع ترجمة إنجليزية ومقدمة وتعليقات تحت عنوان The Refuta by Alexander of Aphrodisias of galen's بمعهد الدراسات الإسلامية، آسلام اباد، باكستان د.ت.

- كتاب فى العادات،[١٤] مقالة واحدة، وغرضه فيه أن يبين أن العادة أحد الأعراض التى ينبغى أن ينظر فيها ،وبه تفسير ماأتى به جالنيوس من الشهادات من قول أفلاطون بشرح أبرقلس.
- كتاب فى آراء أبقراط وأفلاطون، عشر مقالات، وغرضه فيه أن يبين أن أفلاطون فى أكثر أقاويله موافق لابقراط من قبل أنه أخذها عنه، وأن أرسطو فيما خالفهما فيه قد أخطأ. ويبين فيه جميع مايحتاج إليه من أمر قوة النفس المدبرة التى بها يكون الفكر والتوهم والذكر. ومن أمر الأصول الثلاثة التى فيها تنبعث القوى التى بها يكون تدبير البدن، وغير ذلك من فنون شتى.
- جوامع كتب أفلاطون[١٥] فى ثمانى مقالات، يخبرنا حنين انه وجد منه أربع مقالات : فى المقالة الأولى منها جوامع خمسة من كتب أفلاطون. وهى كتاب أقراطليس فى الأسماء، وكتاب سوفطيس فى القسمة، وكتاب بوليطيقوس فى المدبر، وكتاب برمنيدس فى الصور وكتاب أوثيذيمس. وفى المقالة الثانية جوامع الست مقالات الباقية من كتاب السياسة، وجوامع الكتاب المعروف بطيماوس فى العلم الطبيعى، وفى المقالة الرابعة جمل معانى الاثنى عشر مقالة فى"السنن"[١٦] لأفلاطون.
- كتاب فيما ذكره أفلاطون فى كتابه المعروف بطيماوس من علم الطب وهذا الكتاب جعله فى أربع مقالات ترجمه حنين إلى السريانية، وترجم المقالة الأولى منه إلى العربية واكمل إسحق المقالات الباقية العربية، وهو يختلف – فيما يبدو – عن جوامع كتاب طيماوس.

---

(١٤) وقد نشر F. Klein Frnake النص العربى لمقالة جالينوس في العادات، راجع J.S.A.I.المجلد الأول ١٩٧٩ ص١٢٥-١٥٠.

(١٥) انظر رسالة حنين بن إسحق فيما ترجم من كتب جالينوس في بدوي: دراسات ونصوص. ص١٧٧-٧٨. وقد نشر كراوس وفالتزر مختارات من هذه الجوامع فى Plato Arabus, فسبادن د.ت

(١٦) فى النص الذى أورده بدوى (السير) والصواب ما أوردناه.

- كتاب فى أن قوى النفس تابعة لمزاج البدن هذا الكتاب مقالة، واحدة وقد نشره بدوى.

- كتاب جالينوس فيما يعتقده رأيا . مقالة واحدة يصف فيها، ما علم وما لم يعلم. والذى يظهر فيه موقفه الشاك فى وجود العالم، وقد رد عليه الرازى فى القضايا التى وردت فيه.

وفيما يتعلق بكتابات جالينوس الفلسفية التى يظهر فيها أثر الرواقية والسفسطائية فلم تعرف فى العربية ويخبرنا حنين أنه لم يقع على شىء منها. وبالتالى لم تترجم إلى العربية أو السريانية. أما بخصوص كتاباته المنطقية فسوف نعرض لها بالتفصيل فى الفصل القادم.

لقد درس جالينوس الفلسفة، والمنطق، والرياضيات، وألم بفلسفة أفلاطون، وأرسطو، والرواقية، والسفسطائية فقد برع فى الطب والفلسفة وجميع العلوم الرياضية وهو ابن سبع عشر سنة، وله تواليف كثيرة العدد فى فنون من العلوم.. وكان عالما بطريق البرهان خطيبا.. كان فى أيامه قوم ينسبون إلى علم أرسطو وهم المشاءون، و اصحاب المظلة وهم الرواقيون، ألف فيهم كتابا فى الأسباب الماسكة، ورد على كثير من القدماء وناقض السوفسطائية، وألف فى المنطق كتاب البرهان .. ولم يكن فى زمانه أدأب منه على قراءة الكتب فيما ذكره عن نفسه، وكان يأخذ نفسه كل يوم بدراسة جزء من الحكمة[17] يقول عن نفسه – كما يخبرنا ابن أبى أصيبعة – فى هذا الزمان جمعت كل ماجمعته عن المعلمين وماكنت استنبطته، وفحصت عن أشياء كثيرة، ووضعت كتب كثيرة لأروح بها عن نفسى فى معان كثيرة فى الطب والفلسفة.[18]

وكما يتضح مما سبق فقد كان جالينوس على دراية عميقة باتجاهات الفلسفة ومذاهبها المختلفة دراسة وتدريسا وتأليفا، فبعد مرحلة الدراسة

---

(١٧) ابن جلجل : طبقات الأطباء والحكماء، ص٤١-٤٢.

(١٨) ابن أبي أصيبعة، ص ١١٤.

والتلقى طاف بكثير من البلدان يعلم الفلسفة، يخبرنا صاحب "مختار الحكم ومحاسن الكلم" أنه شرح فى روما أمام بؤثيوس وكان يحضر دروسه عديد من الفلاسفة مثل دانيالوديموس، والإسكندر الأفرديسى ويحيى الدمشقى"[١٩] فهو "الحكيم الفيلسوف الطبيعى اليونانى إمام الأطباء فى وقته ورئيس الطبيعين فى عصره، مؤلف الكتب الجليلة فى صناعة الطب وغيرها من علوم الطبيعة"[٢٠]

نستنتج من ذلك أن صورة جالينوس الفيلسوف، صورة مهمه وهى تنبثق من جالينوس الطبيب وأورد مؤرخى العلم ملامح هذه الصورة، ففاضل الأطباء جمع بين الطب والفلسفه، بل إنه أثار العديد من القضايا حول هذه العلاقه فى الثقافة والفكر العربى، فالمجتمع الذى نشأ فى القرن التاسع، الثالث الهجرى كما أوضح دى بور فى "تاريخ الفلسفة فى الإسلام" يوجب على الطبيب معرفة الفلسفة.. وكان عليه (الطبيب) أن يمارس فنه طبقا لمناهج رياضية، منطقية.. يقول: "ولم يكن انصار الثقافة فى القرن التاسع (الثالث الهجرى) يقنعون بأن يسير الإنسان فى لغته وعقيدته وأفعاله طبقا للقياس المبنى على المنطق الصحيح، بل يجب عليه أيضا فى رأيهم أن يتداوى بمقتضى القياس وكانت أصول الطب تبحث فى مجالس العلم بقصر الواثق (٢٢٧-٢٣٢هـ) إلى جانب مسائل الكلام والفقه .وقام بحث بمناسبة كتاب جالينوس عما إذا كان الطب يستند إلى السنة المأثورة عن القدماء، أو إلى التجربة، أو يدرك بأوائل العقل، أو هو يؤخذ من قضايا الرياضيات والعلم الطبيعى بطريق القياس المنطقى".[٢١]

---

(١٩) المبشر بن فاتك : مختار الحكم ومحاسن الكلم، ص٢ ٢٩١.

(٢٠) صاعد الأندلسى، طبقات الأمم، ص ٨٤-٨٥.

(٢١) دى بور: تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة محمد عبدالهادى أبو ريدة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة (١٩٣٨) ص٨٩. ولعل دى بور يقصد هنا كتاب فرق الطب للمتعلمين" الذى يناقش فيه جالينوس أساليب ومناهج الفرق الطبية المختلفة في التشخيص والعلاج، والذى ترجمة حنين بن إسحق، انظر تحقيق د. محمد سليم سالم لهذا العمل، الذى صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٨.

ثانياً : مصادر فلسفة جالينوس :

علينا إذن إن نعرض للنواحى الفلسفية عند جالينوس موضحين السمات العامة التى تميز تفكيره الفلسفى، والمشكلات التى أهتم بها سواء ما يتعلق بالكون والفساد وطبيعة الوجود، العالم قديم أم محدث، حقيقة الزمان، المعرفة والإدراك.

وسنشير الآن بإيجاز للعناصر المكونة لفكره أو مصادر فلسفته، وهى عناصر أفلاطونية، رواقية، أرسطية وغيرها. فقد نهل جالينوس من مصادر العلم المتاحة فى عصره والمذاهب الفلسفية المختلفة. وكان أقرب إلى الفلسفة الأفلاطونية، بل ربما أمكننا القول أن تأثيره اللاحق يرجع فى أحد جوانبه لأفلاطونيته.

المصدر الأفلاطونى :

إن جالينوس فيلسوف أفلاطونى شرح وفحص كتب أفلاطون. وله كتب عديدة تنحو هذا المنحى، عرفها العرب باسم جوامع أفلاطون وترجموها وقد أورد بدوى عددا من النصوص المتفرقة لجالينوس مأخوذة من: السياسة، النواميس، فيدون، وأقريطون[٢٢]. ويتناول فالتزر فلسفة جالينوس ومصادرها ويؤكد على كونه فيلسوفا أفلاطونيا وإن كان ليس فى مرتبة أفلاطون وأرسطو.

ونحن نعلم من حنين أنه ترجم إلى العربية جوامع جالينوس للكتب العشرة للجمهورية. وقد اعتمد ابن رشد فيما كتبه عن السياسة كما نعلم على أفلاطون، ويبدو أنه مصدره فى ذلك هو تلخيص جالينوس للجمهورية.

---

(٢٢) د. عبدالرحمن بدوى : أفلاطون في الإسلام. دار الأندلس ط٣ ١٩٨٢ويتناول فيها جوامع جالينوس لكتاب طيماوس في العلم الطبيعى ص٨٥-١١٩ وقد سبق لكل من كرواس وفالتزر أن نشراه في المجلد الأول منGaleni Compendium timaei platonis: Plato Arabus 14. G. Bergstrasser: Humain Ibn Ishaq al Berdie Syrichen und arabrschen Galen Ubr Setz ugem, leipzig 1925, 50 Aralic text. نقلا عن عبدالرحمن بدوى أفلاطون في الإسلام ص١٩٧.

وكذلك شرح جالينوس طيماوس لأفلاطون، هذا الشرح الذى لم يبق إلا بالعربية " يقول فى المقالة الثامنة من كتاب "آراء أبقراط وأفلاطون" أن كتاب "طيماوس" قد شرحه كثير من المفسرين وأطنبوا فى ذلك حتى جازوا المقدار الذى ينبغى ماخلا الأقاويل الطبية التى فيه فإنه كل من رام شرحها لم يحسن فيما كتب فيها ومن هنا مصدر اهتمام جالينوس بطيماوس ويظهر لنا جالينوس فى مقدمة جوامع كتاب طيماوس فى العلم الطبيعى تفضيله أفلاطون على أرسطو وبيان وضوح فلسفة أفلاطون وغموض وضيق معانى أرسطو فى كتاباته إلا أن أفلاطون فى هذا الكتاب فى غاية الانجاز وبعيد من ضيق أرسطوطاليس وأغماضه"[٢٣]

وتظهر النزعة الأفلاطونية واضحة فى كتاباته الأخلاقية خاصة كتاب أن قوى النفس تابعة لمزاج البدن وكتاب الأخلاق.

والحقيقة أن اهتمام جالينوس بأفلاطون وشرحه لطيماوس قد وجد قبولاً لدى الفلاسفة اصحاب الاتجاه الأفلاطونى فى الاسلام، وفى مقدمة هؤلاء الرازى الذى لقب بجالينوس العرب فى مجال الطب وعرف عنه نزعته الأفلاطونية فى مجال الفلسفة[٢٤]، ولانكون مخطئين إذا افترضنا أن المصدر الأول فى معرفة الرازى بمذهب أفلاطون هوكتاب طيماوس، ويؤيد هذا الافتراض اسم كتاب الرازى "كتاب العلم الإلهى على رأى افلاطون: وكتاب تفسير أفلوطرخس فى كتاب طيماوس". وكثير مايذكر الرازى فى كتبه الطبية شرح جالينوس على طيماوس[٢٥].

---

(٢٣) جالينوس : جوامع كتاب طيماوس فى العلم الطبيعى، نشره رينتشارد فالتزر، ص٣.

(٢٤) يوضح. د. ناجى التكريتى في مقدمة دراسته: الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكرى الإسلام معالم تيار أفلاطوني في الفلسفة الإسلامية أشار إليه من القدماء الشهرستانى، ومن المعاصرين المستشرق الألماني بينس والعربي محمود الخضيرى يقول: إن المسلمين عرفوا أفلاطون كما عرفوا أرسطو، وإن أفلاطون نفذ في معظم المدارس الإسلامية الفلسفية وأثر فيها، على الرغم أن هناك مدارس كانت أفلاطونية خالصة كمدرسة أبى بكر الرازى، ومدرسة السهروردى الإشراقية من الذين كانوا يرون أفلاطون رئيسهم وإمامهم، ص٦.

(٢٥) بنيس : مذهب الذرة عند المسلمين وعلاقته بمذاهب اليونان والهنود، نقله محمد عبدالهادى أبو ريدة, مكتبة النهضة المصرية, القاهرة ١٩٤٦، ص٧١

ويربط يحيى بن عدى بين جالينوس وأفلاطون ويجعلهما مصدرا لفلسفة الرازى فى قوله : إن الزمان له طبيعة موجودة وهو جوهر قائم بنفسه، وإنما الحركة تمسحه أو تقدره، كما يمسح الماسح الأرض. فإن جالينوس حكى عن الإسكندر فى المقالة التى ناقضه فيها فى أمر المكان والزمان. أنه يرى هذا الرأى ورد ذلك عليه الإسكندر. وذلك أن جالينوس يرى ان الزمان قديم بنفسه وليس يحتاج فى وجوده إلى الحركة ويقول إن أفلاطون حكى مثل رأيه فى ذلك، أعنى انه كان يرى أن الزمان جوهر، لايريد بذلك المدة وإنما الحركة بمسحها وتقديرها.(٢٦)

أفلاطون كما يظهر هو مصدر أفكار جالينوس عن الزمان يقترب منه بقدر ما يبتعد عن أرسطو فى مفهومه عن الزمان، وفيما يتعلق بالرأى الذى كان يذهب إليه جالينوس فى أمر تعريف أرسطو للزمان يرجعنا س. بينس إلى شرح ثامسطيوس على طبيعة أرسطو، وكتاب الطبيعة لسمبليكوس(٢٧). لقد حاول جالينوس كما ذكر كل من إلى ثامسطيوس.وسمبليكوس أن يثبت أن التفكير المتصل حتى بشىء لايتحرك بالكلية لايمكن أن يتم دون حركة لأن كل فعل للعقل فهو من حيث هو حركة، هذا الدليل الذى ذكره ابن رشد أيضا باسم جالينوس فى الشرح الكبير على الطبيعة، ويضيف بينس أنه مما قد يكون لافتا للنظر أن مذهب الرازى فى المكان متأثر أيضا بجالينوس(٢٨).

وإذا كان تأثير جالينوس الإيجابى يبدو واضحا لدى الرازى من الفلاسفة ذوى الاتجاه الأفلاطوني، فإن تأثيرات عديدة لفلسفة جالينوس تظهر لدى عدد من الفلاسفة المسلمين ومنهم مسكويه، وعلى الرغم من أن التأثير الأكبر لجالينوس يبدو بوضوح فى اعمال مسكويه الأخلاقية فيمكن أن نرى هذا التأثير فى أعماله الفلسفية المختلفة نذكر منها كتابه الفوز الأصغر، الذى يذكر فيه جالينوس فى سياق تناوله إثبات الصانع فى أنه تعالى أبدع الأشياء كلها لا من شىء، لظنه أنه لايكون شىء إلا من شىء " يقول:" ظن قوم لادرية لهم بالنظر أنه لايكون شىء إلا من شىء .. ولجالينوس الطبيب

---

(٢٦) المرجع السابق، ص٧٢.
(٢٧) المرجع السابق، ص ١٤٤-١٤٩.
(٢٨) المرجع السابق، ص٧٣.

فيه كلام"[٢٩]، ويشير لنا مسكويه فى الفصل السادس من المسألة الثانية فى اقتصاص مذاهب الحكماء والوحدة التى أثبتوا منها أن النفس لاتبطل ولاتموت أنه شرح واختصر كلام جالينوس فى ذلك"[٣٠]. هذا بالإضافة إلى تأثر به فى مجال الأخلاق على ما سيأتى فى الفصل الرابع.

المصدر الرواقى :

يرتبط بالمصدر الأفلاطونى الذى أشرنا إليه التأثيرات الرواقية المختلفة التى نجدها سارية فى كتابات جالينوس الفلسفية، والتى تظهر بوضوح عند تحليلنا أعماله المنطقية والأخلاقية، خاصة كتابه عن الأخلاق، المقالة الرابعة الذى يوضح فيها أن الشر والفضائل الأخلاقية تكون عادة نتيجة الميل الأخلاقى. حيث يقدم عرضا موجزا لسيكولوجيا العقل تأثر فيه إلى حد كبير بالرواقية[٣١]. وإذا تساءلنا عن أى من الرواقيين أخذ جالينوس؟ لوجدنا الإجابة فيما يقدمه لنا فالتزر الذى يشير مرات عديدة إلى بوزيدنيوس[٣٢]. الذى يظهر تأثر الطبيب الفاضل به فى كتابه عن الأخلاق، كذلك فى كتاب "أراء أبقراط وأفلاطون" الذى يعد أهم مصادرنا للفلسفة الأخلاقية عند بوزيدنيوس [٣٣]. ويرى فالتزر أننا يمكن أن نعيد صياغة أراء بوزيدنيوس من خلال ما جاء فى كتاب جالينوس الأخلاق. ويؤكد إن كتاب الأخير عن المسرات Deplacitis عرض اقتباسات واضحة وصريحة من بوزيدنيوس[٣٤] وإن ما يشير إليه جالينوس عن الأختلافات الفطرية الطبيعية تتفاوت بين البشر يعد صدى لأخلاق يؤنيطيوس أستاذ بوزيدونيوس[٣٥]

---

(٢٩) مسكويه : الفوز الأصغر، حققه وقدم له د. صالح عضيمة، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨٧، ص٥٨.

(٣٠) المرجع السابق، ص٨٣.

(31) Walzer. p

(٣٢) راجع فالتزر المصدر السابق، صفحات ١٤٤-١٤٨-١٤٩.

(33) Ibid, p. 144.

(34)Ibdi, p. 151.

(٣٥) المصدر السابق وكذلك في دراسته "موعظة جالينوس" ١٦٤، ١٧١.

إن مجمل نظرية الأخلاق واستنتاجاتها مبنى على التجديد الذى قام به بوزيدونيوس لسيكولوجيا أفلاطون فى مواجهة أفكار كروسبوس عن الجانب اللاعقلى فى الإنسان، والدليل على ذلك كتاب جالينوس : عن المسرات" خاصة ما يتعلق بسيكولوجيا الأطفال المبكرة فى الثلاثة أعوام الأولى.

ومن هنا يمكن القول إن كل من جالينوس وبوزيدونيوس فيلسوفين متقاربين إلى حد كبير. والفرق بين بوزيدونيوس الذى يعد رائد الأفلاطونية الحديثة وجالينوس العالم الشاك فى الميتافيزيقا، إن الأول كان من طراز. Cleombrotus the lacedacemonion بينما جالينوس كان متأثرا بقدرته على الإستقصاء فى القضايا. وعلى ذلك فإن أفلاطونية جالينوس فى الأخلاق قد تأثرت بقوة ببوزيدونيوس(٣٦)

المصدر الأرسطى :

إن تأثر جالينوس بأرسطو يتخذ شكلا أكثر تعقيدا ، ويحتاج إلى دراسة مستفيضة، فالأول وإن كان أكثر ميلا إلى آراء أفلاطون الطبيعية، ألا إنه تعمق فلسفة أرسطو سواء فى المنطق أم الطبيعة أم ما بعد الطبيعة. لقد شرح عدد من أعمال أرسطو المنطقية، وأضاف إليها وفصل فيها. نشير إليها بالتفصيل فى الفصل الخاص بالمنطق، وكذلك نجد فى دراسته عن الأخلاق أشارات إلى المعلم الأول. ويذكر لنا حنين بن إسحق الكتب المختلفة التى نحا فيها جالينوس منحى أرسطى، حيث جمع فى كتاباته كما أوضح أكثر الباحثين فى فلسفته بين أفلاطون وأرسطو والرواقية. ويمكننا أن نجد تأثير أرسطو واضحا عليه فى كتاب الأسطقسات على رأى أبقراط حيث ينتقد موقف الطبيعيين الأوائل مما يكشف عن معرفة فلسفية عميقة بآرائهم لعلها مستمدة من كتابات المعلم الأول خاصة السماع الطبيعى". فقد كان أرسطوطاليس أيضا قد استعمل فى كلامه ذلك المذهب الذى سلكه

---

(36) Ibid., p. 162

أبقراط"[٣٧]. وهو يشير إلى نقد أرسطو لكل من ميليسوس وبرمنيدس فى قولهم أن الوجود واحد. وذلك أن أبقراط قد بين أنه من زعم أن أسطقس الأشياء وأصلها واحد يبطل صناعة الطب أصلا . يقول : "إن من ادعى أن الموجود شيء واحد يبطل أصول العلم بالطبائع كما ذكر أرسطوطاليس وأصول الطب كما ذكر أبقراط"[٣٨]. وربما يرجع سبب استشهاده بأرسطو هنا، هو أنه يرى أن كل من أرسطو وأبقراط يذهبان فى قولهما مذهبا واحدا[٣٩].

ومع هذا فإن جالينوس وجه بعض الانتقادات إلى فلسفة أرسطو وشراحه، لذا فإننا نجد أن مواقف الفلاسفة ذوى الاتجاه المشائى الأرسطى تنتقد جالينوس أنتصارا للمعلم الأول. ويرجع هذا الموقف إلى الإسكندر الأفرديوسى الذى عاصر جالينوس وكانت بينهما مجادلات " مشاغبات ومخاصمات " وقد قدم لنا الأفرديوسى عدة مؤلفات فى الرد على جالينوس فيماخالف فيه أرسطو، هذه المؤلفات وهى:

- مقالة فى الرد على جالينوس فى المقالة الثامنة من كتاب البرهان.
- مقالة فى الرد على جالينوس فى مادة الممكن.
- مقالة فى الرد على جالينوس فيما طعن على قول أرسطو أن كل مايتحرك فإنما يتحرك عن محرك.[٤٠]

هذا الموقف الذى بدأ بشارح أرسطو الأول استمر ساريا فى الفلسفة بحيث نجد تياراً فلسفياً قويا يمثل اتجاها نقديا لجالينوس، لدى الفلاسفة: الفارابي، وابن رشد، وابن ميمون. وسوف نعرض لموقف كل من الأول والأخير بعد أن تناولنا موقف ابن رشد منه فى الفصل السابق.

---

(٣٧) جالينوس : كتاب جالينوس في الإسطقسات على رأى أبقراط، نقله إلى العربية حنين ابن إسحق، تحقيق د. محمد سليم سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧ ص٦١.
(٣٨) المصدر نفسه ص٦٢.
(٣٩) المصدر نفسه ص٦٥.
(٤٠) ابن أبى أصيبعة ص١٠٧.

فقد كتب الأول "فى الرد علي جالينوس فيما ناقض فيه أرسطو طـاليس لاعضاء الإنسـان"[٤١] وهـى مقالـة مهمـة ينحـاز فيهـا المعلـم الثـانى للفلسـفة والعلم الطبيعى ضد الطب. فقد ألفـ جالينوس كما تشير فهارس مؤلفاته كتابـا "فى منفعـة الأعضـاء " ترجـم إلـى اللاتينيـة بعنـوان de asusge des partied وبالفرنسية إلى de usu partium وقد شرحه كسبار هوفمان - Hofmann شرحا دافع فيه عن أرسطو ضد جالينوس[٤٢] كما فعل الفارابى.

ويبدأ الفارابى كتابه ببيان هدفه من تأليف هذا الكتـاب، وهـو بيـان مـا اشترك فـى الفحص عنـه جـالينوس وأرسـطوطاليس مـن أمـور أعضـاء الإنسان.. وأن طريق وغرض كل واحد منهما فيما اشتركا فيـه غيـر طريـق الآخر وغرضـه، فـإن طريـق جـالينوس طريـق طبـى وغرضـه فيـه غـرض طبـى، وطريـق أرسـطوطاليس طريـق العلـم الطبيعـى وغرضـه فيـه كمـال النظر[٤٣] وتستمر المقارنة بين آراء كل منهما طوال الكتـاب، وهـى مقارنـة ينتصر فيها الفارابى لآراء أرسطو ضد جالينوس.

وإذا ما انتقلنا من المشرق إلـى المغـرب نجـد أن هـذا الموقـف النقدى يتضح بأجلى مايكون لدى ابن ميمون القرطبى الذى عاش وتفلسف فى ظـل الحضارة العربية الإسلامية، وكتب فى ظلها مؤلفاته الشهيرة وأهم ما وصـل إلينا منهـا " فصـول القرطبى" أو فصـول موسـى... وتشـتمل علـى (١٥٠٠) قانون استخلصها مـن مصنفـات جـالينوس وغيره. والكتـاب يقـع فـى خمسـة وعشرين فصلا، تحتوى عدة موضوعات، ويناقش فـى نهايتـه جـالينوس ومـا ورد عنه من التناقض فى آرائه مناقشه دقيقة لا تخلو من أدب جم وإعجـاب به، ويذكر أيضـا لموسـى بن ميمـون كتـاب "المختصـر" لكتـب جـالينوس..

---

(٤١) الفارابى: الرد على جالينوس فيما ناقض فيه أرسطوطاليس لأعضاء الإنسان، نشره د. عبدالرحمن بدوى, في كتاب رسائل فلسفية, منشورات الجامعـة الليبيـة, بنغـازى ١٩٧٣ ص٣٨-١٠٧.

(٤٢) د. عبدالرحمن بدوى: رسائل فلسفية، ص٢١.

(٤٣) الفـارابى: الـرد علـى جـالينوس فيمـا نـاقض فيـه أرسـطوطاليس لأعضـاء الإنسـان ص٣٨.

ويعتقد ولفنسون أن مختصر جالينوس كان السبب المباشر فى إخراج فصول القرطبى "لأنه كان يدرس لنفسه فى البدء تعاليم جالينوس الطبية" ويذكر لنا رأى عبد اللطيف البغدادى أن كتاب فصول القرطبى يعتمد على نظريات جالينوس قبل كل شىء، وعلى الرغم من صحة ما يذكره البغدادى فإن الفصول يحتوى أيضا نقدا لجالينوس أوشك على آرائه[٤٤].

وقد قدم لنا ابن ميمون نقدا مهما لجالينوس فى الفلسفة والعلم الإلهى فى المقالة الخامسة والعشرين من كتاب الفصول.

يوضح لنا القرطبى فى البداية أن نقده لاينصب على الطب : قال موسى هذه الشكوك التى أذكرها لم أقصد فيها قصد الرازى كما يتبين للمتأمل، لأن الرازى لم يشكك بل أخذ يرد عليه فى أمور لامدخل لها فى صناعة الطب أصلا، وحتى الأمور التى تتعلق بصناعة الطب لم يشكك عليه فى استدلالاته عليها وتبين أن هذا ليس بدليل.. .. وقد عنى ابن زهر وابن رضوان بحل تلك الشكوك. فأنا لم أتعرض لشىء من هذا الغرض ولاأقول أيضا شيئا لا فيما زعم أنه شك، ولافيما زعم أنه حل شك[٤٥]" ويحلل لنا ابن ميمون أسباب خطأ جالينوس وشكه فى أقواله، يشبه ما أطلق عليه فرنسيس بيكون فيما بعد أسم " أوهام المسرح " فالعالم الحجة فى تخصصه لايمكن بسبب ذلك أن يكون حجة فى علوم اخرى فهو يرى أن جالينوس ارتاض فى رياضيات، وقرأ منطقا، وقرأ كتب أرسطو فى الطبيعيات والإلهيات، ولجودة ذهنه وذكائه الذى صرفه إلى الطب، وكونه وجد ماعرفه من بعض أحوال النبض والتشريح والمنافع والأفعال أصح مما ذكره أرسطو فى كتبه، فدعاه ذلك إلى الكلام فى أمور وهو مقصر فيها جدا، وتضارب المهرة فيها فرد على أرسطو فى المنطق، وتكلم فى الإلهيات

---

(٤٤) إسرائيل ولفنسون: موسى بن ميمون حياته ومصنفاته، لجنة التأليف الترجمة والنشر، القاهرة ١٩٣٦، ص١٤٢، ١٤٥.

(٤٥) د. يوسف شاخت، د. ماكس مايرهوف : رد موسى بن ميمون القرطبى على جالينوس في الفلسفة والعلم الإلهى، مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية، المجلد الخامس، الجزء الأول، مايو ١٩٣٧، ص٧٧-٨٨.

والطبيعيات مثلــه، وتحدث فـى الحركـة والزمـان والمكـان والمحـرك الأول، ويأتى في جميع ذلك بما هو معلوم عند أهل هذا الشأن وانتهى بـه ذلـك إلـى أن ألف كتابه المشهور "فى آراء أبقراط وأفلاطـون"، وكذلـك ألـف كتابـه فـى البرهان، وزعم أنه لايكمل الطبيب فى الطب إلا بمعرفتـه[٤٦]. ويخـرج ابن ميمون مما سبق أنه لاشك فـى أن جـالينوس قـرأ كتـب أرسطو فـى المنطـق وفهمها أكثر من فهم غيره ممن هو دونه، لكنه تخيل أن فهم صناعة المنطـق وجميع الصنائع النظرية كفهم صناعة الطب وأن مهارته فى تلك العلوم كلها كمهارته فى الطب، فيعرض لكل مايعرض له.[٤٧]

كانت تلك مقدمة ينطلـق منهـا القرطبـى إلـى مناقشـة فـاضل الأطبـاء. ويتوقف ابن ميمون أمام موقف جالينوس من موسى عليه السـلام فـى المقالـة الحادية عشـرة مـن منـافع الأعضـاء، ويستنكر هـذا الموقـف كذلـك يرفـض موقف جالينوس الشاك فى مسألة حدوث العالم وقدمـه ويـرد ذلـك إلـى القـول بقدم العالم " فهو إذن يعتقد فى قدم المادة كقدم اللـه وأنهمـا مبدآن لخلـق كـل ماخلق وهذا هو القول بقدم العالم[٤٨]. وهو مايرفضه ابن ميمون.

ويعرض ابن ميمون لجالينوس فى.. "دلالة الحائرين" حيث يشـير إليـه عدة إشارات وهو بصدد تناول مشكلة الزمـان، و"مهـرة الفلاسـفة قـد حـيرهم أمر الزمان (وبعضهم) لم يعقل معناه، حتى إن جالينوس قال هو أمـر إلهـى لاتدرك حقيقته[٤٩] ويشير محقق دلالة الحائرين إلـى نقد الفـارابى لجـالينوس فى مسألة حدوث وقدم العالم ويعرض قول الفارابى: " لذلك لم يهتد جـالينوس الطبيب إلى طريق البرهان على هـذا المطلـوب خاصـة وظـن أنـه لابرهـان عليه وأن البراهين فيه متكافئة .. ويرى ابن ميمون أن الفارابى قد أخطأ فى طعنه على جالينوس بأنه يرى أن الأدلة على قدم العالم وحدوثه متكافئة، وأن

---

(٤٦) المرجع السابق، ص٨٠.
(٤٧) المرجع السابق، ٨١.
(٤٨) المرجع نفسه ص٨٨.
(٤٩) ابن ميمون دلالة الحائرين، تحقيق حسين أتاى، نشر كلية الإلهيـات بجامعـة، أنقـرة، ١٩٧٤، ص٢٠٢.

الفارابى استخف بجالينوس لعدم ترجيحه أدلة قدم العالم على حدوثه. وهذا الفهم كما يرى محقق الدلالة ليس بصواب لأن الفارابى لم يطعن فى جالينوس لعدم اعتقاده بقدم العالم كما فهم ابن ميمون بل لعدم اعتقاده بحدوثه(٥٠).

ثالثا : خصائص تفكير جالينوس الفلسفى:

١- إذا أردنا أن نحدد خصائص تفكير جالينوس الفلسفى بعد أن تناولنا مؤلفاته ومصادر فلسفته، لظهرت لدينا عدة خصائص أساسية يأتى فى مقدمتها الاتجاه التوفيقى. فقد نهل جالينوس من كل المصادر السابقة عليه سواء الأفلاطونية أم الرواقية أم الأرسطية تلك التى أشرنا إليها وهى أهمها، كذلك تعمق فى دراسة الفلسفات الطبيعية الأولى للسابقين على سقراط والفيثاغورية التى أثرت فى نظرياته، خاصة الطبية تأثيراً كبيراً فمن إعجابه الشديد بفيثاغورس أنه كان يكتب رسائله بالذهب إجلالاً لها(٥١) ونحن نستطيع أن نتبين بعض نظريات هذه الفلسفة فى نظريته عن الطبائع الأربعة التى يفسر على أساسها الصحة والمرض. وقد أشار معظم من كتب عن جالينوس إلى هذه السمة التوفيقية سواء كانت توفيق ومزج بين المذاهب الفلسفية أم بين الطب والفلسفة أم بين التجريب والميتافيزيقيا.

٢- وتنقلنا هذه النزعة العامة المهيمنة على توجهات جالينوس إلى النزعة الميتافيزيقية التى تسرى فى أعماله على الرغم من اتجاهه التجريبى فى الطب وفى العلم الطبيعى، إن جالينوس فى مجال العلم الطبيعى أقرب إلى أفلاطون توقف عند فلسفته الطبيعية فى طيماوس. وقد أدخل جالينوس الفروض الميتافيزيقية فى تفسير نشأة العالم ونشأة علم الطب

---

(٥٠) المصدر السابق – المقدمة، ص XXXIII-XXXII
(٥١) ابن النديم: الفهرست، ص ٣٠٦.

وتفسير الصحة والمرض، فقد كان يعمل على معارضة التفسيرات الميكانيكية لأحوال البدن من صحة ومرض فيلجأ إلى العلل الغائية كما كان يعارض منكرى وجود الله والعناية الربانية(٥٢).

ويتضح ذلك من ميله لتفسير كافة العمليات الفسيولوجية عن طريق الروح فقد كان يعتقد أن الروح على نوعين: روح طبيعية .Natural وهى المسئولة عن فعالية الجسم الداخلية ونموه وروح حياتية أو حيوية Vital وهى المسئولة عن حركات الجسم وعقلانياته واعتقد أيضا أن الروح الطبيعية تدخل عن طريق التنفس (الرئة) إلى الوريد الأجوف ومنه تصل إلى بطين القلب الايسر حيث تختلط بالدم. وجالينوس فى كلامه عن الروح بهذا الأسلوب كأنه يتكلم عن الأوكسجين الذى يحمله الهواء إلى الدم بواسطة التنفس"(٥٣)

ويمكن تفسير استخدام جالينوس لمثل هذه الفروض بالعوامل الدينية المحيطة فى الوسط الثقافى الذى ازدهرت فيه أعماله وعاش به عدد من السنوات، حيث انتشار المسيحية فى الإسكندرية وموقف رجال الدين من العلماء الوثنيين، فكان الطبيب الفيلسوف يدخل فى عمله "بعض اللمسات ذات النغمة السماوية" فارض بذلك علماء المسيحية، وتقبلوه كباحث فى العلوم الطبيعية، وصار له بذلك قدر من الحرية فى العمل بموضوع التشريح لم يتيسر لغيره من الباحثين(٥٤). وسنعود للحديث عن هذه النزعة الميتافيزيقية وعلاقتها بالطب فى الفصل الخامس من هذه الدراسة.

٣- وقد عرف جالينوس فى تاريخ الدراسات الكلاسيكية بالفيلسوف الشاك وهى سمة ارتبطت باسمه أشد الارتباط، أكد عليها ريتشارد فالترز ومعظم مؤرخى العلم العربي. وربما كانت هذه السمة هى السبب

---

(٥٢) د. نجيب بلدى : تاريخ مدرسة الاسكندرية وفلسفتها، ص٤٨.

(٥٣) د. كمال السامرائى : مختصر الطب العربى، ص١٧٦.

(٥٤) المصدر السابق، ص١٧٣.

المباشر فى عدم بلوغ جالينوس المرتبة العليا فى الفلسفة. لقد أشار السجستانى إلى هذه النزعة التى قللت من مكانة جالينوس الفلسفية بقوله: "من شهد على نفسه بأنه شاك فى العالم : أقديم هو أم محدث؟ وفى المعاد أحق هو أم باطل؟ وفى النفس أجوهر هى أم عرض؟ لمتضع الدرجة عن أن يسمى حكيما"(٥٥).

شك جالينوس فى القضايا الميتافيزيقية الكبرى فى الفلسفة، وهى القضايا المتعلقة بقدم العالم وحدوثه، وحقيقة المعاد، وجوهر النفس. وهى قضايا اختلف موقف جالينوس منها من كتاب لآخر. نشير فقط إلى موقفه من قضية قدم العالم وحدوثه، وهى القضايا التى شغلت الفلاسفة المسلمين. فهو يروم فى كتابيه : "ما يعتقده جالينوس رأيا" و"الصناعة الطبية" أن يبرهن ببرهان أنه لايمكن أن يعلم أقديم العالم أم محدث؟

ويناقش الرازى رأى جالينوس هذا فى كتابه الشكوك، اعتمادا على ما جاء فى المقالة الرابعة من كتاب البرهان من أن العالم لا يفسد، وما لا يفسد ليس بمكون (محدث). فإذا كان هذا الرأى صحيح، فهو يناقض شكه وتوقفه عن الحكم فى كتبه السابق الإشارة إليها بخاصة "ما يعتقده جالينوس رأيا"(٥٦). يقول الرازي: إذا كان هذا الرأى يدعو إلى سرمدية العالم لأنه يجعله (أى العالم) لم ينفك من مادته ولم يتأخر قد ذكر فى آخر هذين الكتابين" ما يعتقده رأيا"، و"التجربة الطبية" أنه لايمكن القضاء على العالم بقدم أو حدوث. وفى الآخر أنه لايدرى هو ما يختار من هذين القولين(٥٧)... ويضيف وأكثر من ذلك إن كان قد علم وتيقن أنه لايعلم ذلك البتة إن كان قد تيقن قدم العالم فلم يكن ينبغى له أن يأخذها على أنه أوائل بل على أنها نتائج. إن الرازى يتوقف فى شكوكه أمام أحكام جالينوس المختلفة "فهو

---

(٥٥) السجستانى : صوان الحكمة، ص٨٥.

(٥٦) الرازى : الشكوك على جالينوس، ص٤.

(٥٧) الرازى، ص ٦ -٧.

يتشكك فى حدوث العالم وقدمه وقد كان يصرح بأن قدم العالم شىء بين بنفسه ولايحتاج إلى برهان"[٥٨].

ونفس الأمر يقال فى شكه فى النفس. فقد قال: إنه لاعلم له البتة بأن النفس جوهر أم عرض، ثم يرى أن النفس هى بخار الدم والروح الذى فى بطون الدماغ أو فى جرم الدماغ"[٥٩].

٤- والسمة الرابعة التى تميز تفكير جالينوس الفلسفى هى السمة التاريخية، فهو يميل مثل أرسطو إلى النزعة التعليمية مع اختلاف جوهرى، هو أن جالينوس لم يكن له مدرسة واتباع وتلاميذ يلقى عليهم دروسه، لكن كتاباته تمتاز بهذه السمة التعليمية التى تتضح فى عدد من عناوين كتبه الموجهة إلى المتعلمين مثل: فرق الطب إلى المتعلمين، ومثل شروحه على كتب أبقراط، حيث يعرض لتاريخ الموضوع الذى يتناوله ويتوقف أمام رأى الفلاسفة والأطباء السابقين عليه والمعاصرين له عارضا محللا ناقدا لهذه الآراء مما يوضح تعمقه الشديد لموضوعه وإلمامه بتاريخ ومشكلات الفلسفة المختلفة.

وإذا كنا قد أشرنا إلى مصادره المختلفة من أفلاطونية ورواقية وأرسطية فإن معرفته بغيرهم من الفلاسفة يتضح فى بعض كتبه التى يعرض فيها لآراء السابقين على سقراط، وذلك فى كتاب جالينوس فى الأسطقسات على رأى أبقراط، والمعروف أن أبقراط ليس له كتاب عنوانه فى الأسطقسات، إلا أن كتابه فى طبيعة الإنسان هو الذى تحدث فيه عن العناصر الأولى. والأسطقس هو أقل جزء مما هو له أسطقس. "إن الأسطقس بالطبع إنما هو الجزء الذى يظهر لكل واحد أنه أقل الأجزاء وأبسطها"[٦٠]

يعرض جالينوس لماقال به كل من أبيقور وديمقراطيس فى الجزء الذى لايتجزأ وينقد آراء هؤلاء وغيرهم كما فى قوله: "وماتقدم فبين من أمرا

(٥٨) المصدر السابق، ص١٤.
(٥٩) المصدر السابق، ص١٥.
(٦٠) جالينوس: كتاب جالينوس فى الأسطقسات على رأى أبقراط، ص١٢

إستحالة الجوهر فى جملة أنه قد بطل أن يكون ما يظهر من استحالة الأجسام إنما هى اجتماع وتفرق كما ظن أبيقور وديمقرطيس وكما ادعى من جهة أخرى انكساجوارس وأنبادوقليس. أما انكساجوارس فدعواه الأجسام المتشابهة الأجزاء، وأما أنبادوقليس فظنه أن الأسطقسات الأربعة غير قابلة للتغير"(٦١)

ومقابل رأى هؤلاء يعرض الرأى المقابل الذى يتبناه هو وأبقراط، وهو رأى أرسطو وثاوفرسطس "فإن جميع الأشياء التى تناقض أقاويل القوم الذين يرؤن أن الجوهر لايقبل التأثير ويخلطون فيه الخلط بعضها قد وصفه أرسطوطاليس وثاوفرسطس وبعضها سنصفه نحن إذا قصدنا لمناقضة كل واحدة من الفرق. ويذكر لنا جميع من كتب فى هذا الموضوع مثل اسقلبيادس الطبيب والقدماء الذين عنونوا اسم الموضوع "فى الطبيعة" كما لدى ميليسوس وبارمنيدس وأنبادوقليس وكتب ألقمايون وغيرجس وبروديقوس القدماء. فأما أرسطوطاليس فجعل قوله فى الأسطقسات فى كتابه "فى السماء والعالم" وفى كتابه "الكون والفساد" وكروسبس جعل كلامه فى الأسطقسات فى كتابه "الجوهر"(٦٢) ويذكر كذلك آراء كل من : لوقيبوس(٦٣) وطاليس وانكسيمانس وانكسمندريس وهرقليطس الذى ادعى كل منهم أن كل واحد من العناصر الأربعة هو أسطقس الأشياء وأصلها.(٦٤)

ويعرض الرازى فى كتابه الشكوك لموقف كل هؤلاء، ويفيض فى بيان رأيهم فى هذه الجواهر الفردة أو الأجزاء التى لاتتجزأ أو يذكر لنا موقفهم من العلة فى اتصالها والتحام بعضها ببعض فمنهم من يجعله النفس ومنهم من يجعله البارىء والنفس ومنهم من يجعله الخلاء.(٦٥)

---

(٦١) المصدر السابق، ص١٠٦.

(٦٢) المصدر السابق، ص١١٢.

(٦٣) المصدر نفسه، ص١٧.

(٦٤) المصدر نفسه، ص٥٥.

(٦٥) الرازى: الشكوك على جالينوس، ص٣٧.

والسمة الخامسة التى نراها فى كثير من أعمال جالينوس وتمثل سمه أساسية فى جهده العلمى والفلسفى فنستطيع أن نحددها فى الدقة فى تحديد المصطلحات والمفاهيم تحديدا منطقيا. يظهر ذلك فى كتبه الطبية والفلسفية معا كما فى كتابه "فى الأسماء الطبية" الذى جعله فى خمس مقالات، وغرضه فيه أن يبين الأسماء التى استعملها الأطباء، وعلى أى المعانى استعملوها[٦٦]. وكذلك كتابه، "فى ألفاظ أبقراط" وغرضه فيه أن يفسر غريب الفاظ أبقراط فى جميع كتبه[٦٧].

ويمكن أن نعطى أمثلة تفصيلية بكتاب جالينوس إلى غلوقن فى التأتى لشفاء الأمراض، حيث يتناول مصطلح "الطبيعة" على مختلف الأنحاء التى يقال عليها، فإسم الطبيعة يجرى فى كلام أبقراط على أربعة أوجه : إحداها مزاج البدن، والثانى هيئة البدن، والثالث القوة المدبرة للبدن، والرابع حركة النفس. ويعطى أمثلة لذلك بقوله إن الطبائع منها ما هى فى الصيف صالحة، ومنها ما هى فى الشتاء صالحة فإنما يريد بذلك المزاج، وحيث يقول: "إن من الطبائع ما الصدر منها ضيق، ومنها الساقان منها دقيقتان، فإنما يريد بذلك هيئة البدن، وحيث يقول إن الطبيعة هى الشافية للأمراض إنما يريد بذلك القوة المدبرة للبدن"[٦٨].

التوفيق بين المذاهب الفلسفية مع توظيف الأفكار الميتافيزيقية داخل النسق الطبي، والميل إلى التوقف عن الحكم، والشك فى القضايا الكبرى مع التعمق فى مذاهب القدماء وتحليلها ونقدها قبل بيان موقفه، مع الميل إلى تحديد المعانى والمصطلحات بدقة تمثل سمات تفكير جالينوس الفلسفى، يضاف إلى ذلك سمات المنهج العلمى لديه الذى يقوم على الملاحظة

---

(٦٦) حنين بن إسحق: فى ذكر ما ترجم من كتب جالينوس، ص١٧٥.

(٦٧) المصدر السابق، ص٧٤.

(٦٨) جالينوس: كتاب جالينوس إلى غلوقن في التأتى لشفاء الأمراض تحقيق د. محمد سليم سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص٧.

والتجريب والذى يظهر بوضوح فيما قدم من ملاحظات على الأطفال والحيوان فى دراسته عن الأخلاق.

تعقيب :

وفى ختام هذه الفقرة، وهذا الفصل علينا أن نعرض لاهتمام جالينوس الكبير بالفلسفة" واعتبارها أساس العلوم، وضرورة إلمام الأطباء بها واتباعها فى علمهم وعملهم بايراد بعض فقرات رسالته "فى أنه يجب أن يكون الطبيب الفاضل فيلسوفا" ترجمة حنين بن إسحق، والتى أوردها د. أحمد صبحى فى ختام كتابه المشترك "فى فلسفة الطب". يرى جالينوس إنه ينبغى على الطبيب الفاضل أن يؤثر سبل الحق والاستقامة، كما ينبغى أن يتدرب على صناعة المنطق حتى يستطيع تصنيف الأمراض إلى أنواعها وأجناسها حتى يستخرج من كل منها نوع العلاج، فماذا بقى للطبيب مما يجب حتى يكون فيلسوفا ، مادام يحذوا حذو أبقراط فيوجب على نفسه معرفة طبيعة البدن وأصناف الأمراض والاستدلال على العلاج، ومادام قد ارتاض علم المنطق واستخف بالأموال وألزم نفسه شظف العيش ولم يقصر فى استيعاب جميع أجزاء الفلسفة؛ المنطقى منها والطبيعى ثم الجزء المصلح للخلق من علم الأخلاق. وهو وإن راعى بعض الفضائل فلابد أن تكون معه جميع الفضائل لأنها كلها منظومة واحدة. ولا أرى أحدا يحتاج إلى إقامة البرهان له على حاجة الأطباء إلى الفلسفة كمايكون استعمالهم لصناعتهم على ما ينبغى. أما أهل الثروة من الأطباء فليسوا أطباء على الحقيقة ولكنهم مخادعون يستعملون صناعة الطب لضد ما قررت له.

أفتُراك بعد هذا تنازعنى القول وتقول: ينبغى أن يكون الطبيب ضابطا لنفسه عفيفا عازفا عن الأموال عدلا ولكنه لايحتاج إلى أن يكون فيلسوفاً، وأنه يكفيه أن يعرف طبيعة البدن ووظائف الأعضاء وأصناف الأمراض والإستدلال على العلاج، ولكنه لايحتاج إلى أن يتدرب فى علم المنطق، أولى لك أن تراجع عقلك لأن هذا قول من لا حياء معه.

إنـه ينبغـى لنـا أن نسـتعمل الفلسـفة أولا إن كنـا نريـد أن نتقبـل قــول أبقراط على الحقيقة، فإن فعلنا ذلك لم يمنعنا مانع أن نصير أندادا لأبقراط بل أفضل منه إذا نحن تعلمنا منه جميع ما أثبته فى كتبـه علـى مـا ينبغـى ثـم استخراجنا لأنفسنا ما كان قد بقى علينا"(٦٩)

ومما سبق يتضح لنا أن لجالينوس إسهاما كبـيرا فـى مجـال الفلسـفة، وأن العرب قد عرفوا هذا الإسهام، عرفه الرازى، ومسكويه وتأثرا بـه وكـان لهم موقف منه سواء كـان بـالقبول أم المناقشـة والـرد خاصـة لـدى أصحـاب الاتجاه المشائى" الفارابى، ابن ميمون وابن رشد. وهذا الموقف هو ما يظهـر أيضا فى كل من المنطق والأخلاق وهما موضوع الفصلين التاليين.

---

(٦٩) جالينوس : فى أنه يجب أن يكون الطبيب الفاضل فيلسوفاً نقلاً عن د. أحمد محمـود صبحى د. محمود زيدان: فـى فلسـفة الطـب، دار المعرفـة الجامعيـة، الإسكندرية، ١٩٩٥، ص١٦٨-١٦٩.

الفصل الثالث

جالينوس المنطقى

تمهيد :

على الرغم من الاهتمام الشديد بالكتابات الطبية لجالينوس كما اتضح لنا من الفصل الأول، فالجهد الأكبر للباحثين خاصة العرب كان لاختبار أعماله المنطقية، وذلك بفضل عمل حنين ومدرسته، الذى ساعد على جعل كتاباته متاحة فى العربية. ويهمنا أن نؤكد هنا على أن كتابات جالينوس كانت متوفرة للأجيال الأولى من المناطقة العرب، وأنها كما لاحظ المهتمين بتاريخ المنطق العربى -كما يرى نيقولا ريشر، لعبت دوراً نقدياً مهماً فى تطور المنطق[1]. بل يمكن القول إنه قد توفرت لهم التعاليم المنطقية الخاصة بجالينوس أفضل مما نأمل نحن المعاصرين[2].

يؤسس جالينوس كتاباته الطبية على المنطق. ويجعل من أصحاب القياس أهم فرق الطب" فهم فى طلب استخراج الأشياء الخفية يمدحون التشريح والاستدلال ـ من الشيء على ما يحتاج إليه- وعلم المنطق[3] وفى كتاب الاسطقسات على رأى أبقراط "يؤكد أنه لايمكن أن يثبت قول من الأقاويل أصلاً إلا بعلم المنطق"[4] فالقضية الأساسية التى يعرض لها والتى ينبنى عليها الكتاب عند أبقراط هو أن الأشياء تتركب جميعا من أسطقس واحد. وبعد أن يعرض لتدليل أبقراط، يقول: "وقد بان أن أبقراط قد أحسن فى القياس الذى استعمله[5].

---

(١) راجع نيقولا ريشر: جالينوس والقياس، ص ٣٣، ومقدمه المترجم، ص٥،٧.

(٢) المرجع السابق ، ص٤٧.

(٣) جالينوس : كتاب جالينوس فى فرق الطب للمتعلمين، نقل حنين بن إسحق، تحقيق وتعليق د. محمد سليم سالم -الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة١٩٧٨، ص٤٠.

(٤) جالينوس: كتاب جالينوس فى الأسطقسات على رأى أبقراط، نقل حنين بن إسحق، تحقيق د. محمد سليم سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧، ص٧٥.

(٥) المرجع السابق ص٢٦.

أولاً : اهتمام جالينوس بالمنطق ومؤلفاته المنطقية :

لقد اهتم جالينوس بالمنطق اهتماما كبيراً ودرسه وبرع فيه لقد تعمق كتب أرسطو المنطقية وتمهر فيها، و"لايشك فى أن جالينوس قرأ كتب أرسطو فى المنطق وفهمها أكثر من فهم غيره ممن هو دونه، لقد كان يطنب فى مدح المنطق فى جميع كتبه، ويذكر أن آفة أهل عصره من الأطباء وعلة تقصيرهم إنما هو قلة خبرتهم بالمنطق، وأن علة مهارته هو كونه تأدب بالمنطق ويروم دائما أن يظهر حاجة الطبيب إلى المنطق.[٦] لقد ألف كتاب "البرهان" وزعم أنه لايكمل الطبيب فى الطب إلا بمعرفته، وأنه نافع للطبيب جدا، واقتصر من المقاييس على ما يحتاج إليه فى البرهان بزعمه أن تلك المقاييس هى النافعة فى الطب.[٧]

المنطق إذن جزء من ثقافة جالينوس الفلسفية وقد عرف عنه هذا الجانب وأشاد به العديد من الباحثين. ولقد أشارت المصادر التى تناولت حياة جالينوس أنه كان منذ صغره متهيئا للعلم البرهاني، طالبا له شديد الحرص عليه والاجتهاد فيه والقبول لـه" وذلك لأهمية المنطق فى دراساته الطبية، يشير بدوى فى تحقيقه لكتاب ابن رشد "البرهان" أن جالينوس فى كتبه الطبية يستطرد أحيانا إلى مسائل فى المنطق ففيما يتصل بموضوعناهنا وهو البرهان، نجده فى كتاب "اختلاف النبض" يذكر أنه أفاض فى القول فى شرحه على "التحليلات الثانية" فى موضوع التعريف[٨] لقد جعل من المنطق أساسا للطب، وكان يعتقد أن دراسة البرهان هى أساس فهم كتب أبقراط، وتبعه فى ذلك شراحه من الأطباء المسلمين. وسوف نعود إلى هذه النقطة بعد تناول أعمال جالينوس المنطقية.

لقد عرفت كتابات جالينوس فى المنطق وذكرها لنا حنين بن إسحق. وفى مقدمة هذه الكتابات، كتاب "البرهان" ويعرض لنا مترجم جالينوس ما يتعلق بالكتاب، وهدفه، وعدد مقالاته، وما هو موجود منها" فهو يتكون من

---

(٦) ابن ميمون: رد موسى بن ميمون القرطبى على جالينوس، فى الفلسفة والعلم الإلهى، مجلة كلية الآداب، الجامعة المصرية، المجلد الخامس، الجزء الأول، مايو ١٩٣٧.

(٧) المرجع السابق، ص٨٠.

(٨) بدوى: مقدمة تحقيق كتاب ابن رشد شرح كتاب البرهان، الكويت، ١٩٨٤، ص٢٦.

خمس عشرة مقالة، وغرضه فيه أن يبين كيف الطريق فى تبين ما يبين ضرورة..؟ وذلك كان غرض أرسطوطاليس فى كتابه الرابع من المنطق، إلا أن الكتاب لم يعرف كاملا فى العربية، حيث لم يقع إلى هذه الغاية أى أحد من أهل دهرنا لكتاب البرهان نسخة تامة باليونانية[٩] وتلك هى المشكلة الأساسية التى تواجه الباحث فى منطق جالينوس، وهى مشكلة قديمة، فقد حاول الأوائل – من المترجمين – معرفة الكتاب، وسعوا فى البحث عنه إلا أنهم لم يظفروا إلا بأجزاء منه.[١٠]

ومقابل هذا الاهتمام الكبير بمنطق جالينوس، الذى تمثل فى نقل وترجمة مؤلفاته ومناقشة إسهامه، فإن هناك موقفا آخر يعارض هذا الإعلاء" من أهمية منطق جالينوس، يتضح فى قول صاحب "صوان الحكمة": "إن كتاب البرهان لم يرتضه أهل البراعة المنطقيين (وإن) حنين بن إسحق أظهر لهذا الكتاب تعصبا عظيما جاوز فيه الحد"[١١]. وهذان التعميمين يعبرا عن مشكلة أساسية نجدها لدى المناطقة العرب الذين انقسموا إلى مؤيدين لمنطق جالينوس وإلى من لم يروا فيما قدمه شيئا جديدا يضاف لمنطق أرسطو.

---

(٩) حنين بن إسحق،. رسالة حنين بن إسحق إلى يحيى بن على فيما ترجم من كتاب جالينوس. فى بدوى: دراسات ونصوص فى الفلسفة وتاريخ العلوم عند العرب، ص١٧٦.

(١٠) لقد سعى جبرابيل "ابن بختشيوع" فى طلبه وعنى بذلك عناية شديدة، وطلبه حنين كما يخبرنا غاية الطلب وبحث عنه فى بلاد الجزيرة والشام كلها، وفلسطين، ومصر إلى أن بلغ الإسكندرية فلم يظفر منه شيء إلا بدمشق، حيث وجد نحوا من نصفه، وللأسف لم تكن مقالات متوالية، ولا تامة، وقد ترجم حنين ما وجده إلى السريانية – فلم تطب نفسه إلى ترجمة شيء منها إلى العربية إلا باستكمال قراءتها، لما هى عليه من النقصان والاختلال وللطمع وتشوق النفس إلى وجود تمام هذا الكتاب – وما ترجمه هو جزء يسير من المقالة الثانية وأكثر المقالة الثالثة، ونحو نصف المقالة الرابعة من أولها والمقالة التاسعة خلا شيء من أولها. أما المقالات الأخرى (من الخامسة) فوجدت إلى آخر الكتاب خلا المقالة الخامسة عشرة. ترجم عيسى بن يحيى ما وجد من المقالة الثانية إلى المقالة الحادية عشرة. وترجم إسحق بن حنين من المقالة الثانية عشرة إلى المقالة الخامسة عشرة. إلى العربية، الموضع السابق.

(١١) السجستانى : صوان الحكمة، تحقيق د. عبدالرحمن بدوى، طهران ١٩٧٤، ص٨٦.

وسوف نعرض لهذه القضية لاحقا بعد عرض بقية مؤلفاته حيث يذكر لنا حنين أن له بالإضافة إلى البرهان :

- كتاب فى القياسات الوضعية "مقالة واحدة"
- كتاب المدخل إلى المنطق. وهذا الكتاب مقالة واحدة بين فيها الأشياء التى يحتاج إليها المتعلمون وينتفعون بها فى علم البرهان. وقد ترجمه حنين إلى السريانية وحبيش إلى العربية.
- كتاب فى عدد المقاييس، مقالة واحدة.
- تفسير الكتاب الثانى من كتب أرسطو، بارى أرمنياس، ثلاث مقالات وقد وجد له حنين نسخة ناقصة.

ويذكر له بدوى عدة رسائل وشروح منطقية فى البرهان والشروح على التحليلات الثانية، وهى "فى البرهان" فى "المقالة الأولى من التحليلات الثانية" "مقالة فى الضروريات فى البرهان"، "مقالة فى الاستقراء"، "فيما هو بحسب الوضع"، "مقالة فى الفكر الضرورى"، "موجز فى نظرية البرهان"، "مقالة فى استحالة البرهان". ويشير إلى أنه لم يصلنا من الأصل اليونانى من سائر مؤلفات جالينوس المنطقية – غير كتاب واحد، هو (المغالطات فى القول)، أى[١٢] "الجدل". فقد نشر مينوديس عام ١٨٤٤ كتاب جالينوس المدخل إلى الجدل،[١٣]. ويعطينا نيقولا ريشر "بيانا تفصيليا بأعمال جالينوس المنطقية التى ترجمت إلى العربية ومترجميها، فقد قام أبو القاسم الرقى (ح٧٨٠-٨٤٠م) بترجمة كتاب جالينوس فى المنطق من السريانية إلى العربية[١٤] وترجم حنين إلى السريانية والعربية كتب جالينوس المنطقية، ومن ترجماته: كتاب البرهان والمدخل إلى المنطق، ويذكر له ريشر كتابا ثالثا هو "الحدود"[١٥] وهو كتاب لم أجد أية إشارة له فى الكتب العربية. وقام حبيش بن الحسن (٨٣٠-٨٩٠) ـ وكان تلميذا لحنين ومساعداً له فى بيت الحكمة، خاصة فى ترجمة جالينوس ـ بعمل ترجمة عربية عن ترجمة

---

(١٢) بدوي: مقدمة تحقيق كتاب ابن رشد شرح كتاب البرهان، ص٢٦.

(١٣) نيقولا ريشر: جالينوس والقياس، ص٣٧.

(١٤) نيقولا ريشر: تطور المنطق العربي، ترجمة د. محمد مهران رشوان، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦، ص٢٤٧.

(١٥) المصدر السابق ص٢٧١.

سريانية لحنين لكتاب المدخل إلى المنطق "والحقيقة أن حبيش كان متخصصا فى ترجمة النصوص الطبية، نصوص جالينوس أساساً، ولم يتعرض لترجمة الأعمال المنطقية إلا بوصفها جزءا من هذا الجهد الطبى أساساً، وقدم إسحق ابن حنين ترجمة عربية لشرح جالينوس لكتاب العبارة، وترجمة عربية لأجزاء من نقل سريانى لحنين لكتاب البرهان وقام عيسى بن يحيى (٨٥٠-٩١٠م) بترجمة الأجزاء من الأول إلى الحادى عشر، وقام حنين بترجمة الأجزاء من الثانى عشر إلى الخامس عشر، وقدم ترجمة عربية لترجمة حنين السريانية لكتاب جالينوس فى "عدد الأقيسة" عدد المقاييس. وكان عيسى بن يحيى مترجما للنصوص الطبية، وهو الذى ترجم نصا منطقيا لجالينوس لكونه جزءا من هذا الجهد الطبى[١٦]

ويتضح للمتابع، أن موقف المناطقه من جالينوس تحدد فى المقام الأول من خلال موقفهم الفلسفى والمنطقى من أرسطو. فمن خالفوا المعلم الأول وجدوا فى منطق جالينوس ما يساعدهم على رفض بعض آراء أرسطو فانحراف جالينوس عن أرسطو كان معروفا ومناقشا من جانب الباحثين العرب، خاصة الذين أرادوا أن يتخلصوا من أحد جوانب أرسطو الفلسفية والبحث عن كتابات جالينوس لتأييد ذلك[١٧]. ويظهر اختلاف جالينوس عن أرسطو فى ما يتعلق بالشكل الرابع للقياس. فجالينوس هو أول من فكر فى جعل الضروب التى أغفلها أرسطو مكونة لشكل مستقل، فأرسطو لم يذكر سوى الأشكال الثلاثة الأولى، ولم يتحدث عن شكل رابع، وهذا الشكل ينسب إلى جالينوس ويطلقون عليه الشكل الجالينوسى تمييزاً له عن أشكال أرسطو الثلاثة. ويقدم لنا نيقولا ريشر فى كتابه "جالينوس والقياس" محاولة لرد الاعتبار لجالينوس ودوره البارز فى الاكتشاف المنطقى للشكل الرابع للقياس. وهو فى هذا يعتمد على المصادر العربية، وعلى ابن رشد الذى ينسب هذا الشكل صراحة إلى جالينوس[١٨].

---

(١٦) المصدر السابق، ص ٢٨٠-٢٨١.

(١٧) نيقولا ريشر: جالينوس والقياس، ص٥٠.

(١٨) سوف نتناول فى فقرة لاحقة موقف ابن رشد بالتفصيل من إسهام جالينوس فى المنطق ويمكن مراجعة هذا الموقف فى: ريشر، جالينوس والقياس، ص٢١، وزكى نجيب محمود: المنطق الوضعى الجزء الأول، ط٥ الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٣ ص٢٨١.

ثانيا : منطق جالينوس والرواقية :

والقول بتمايز جالينوس عن أرسطو فى المنطق يقربنا كثيرا من آراء الرواقية، حيث نجد من الباحثين من يخبرنا أن جالينوس وهو مشائى أكثر منه رواقى (إلا أنه) كثيرا ما يضمن آراءه نظريات رواقية يقول: "كان جالينوس فى القرن الثانى الميلادى يشرح نظريات أرسطو باستخدام أفكار رواقية"[١٩]. ويهمنا الإشارة إلى هذا المصدر فى منطق جالينوس، أعنى المصدر الرواقى، وهو مصدر يميزه عن أرسطو. يقول ريشر أنه على الرغم من القول بابتكار جالينوس للشكل الرابع يمكن القول إنه تأثر فى ذلك بالمصادر الرواقية حتى فى هذا الشكل نفسه.[٢٠]

ويمكن أن نشير إلى نقاط الاتفاق بين جالينوس والرواقية فيما يلى :

- رفض المفاهيم الكلية وقبول التصورات الفردية التى تخلقها الأحاسيس فى النفس.
- رفض فكرة الجوهر والجنس والنوع، فما يميز الشخص ليس مدى مشاركته جوهراً أو جنسا أعلى، بل ما يوصف به من كيفيات وعوارض حسية. إن القضية لاتعبر عن علاقة بين مفهومين كعلاقة المائت بالإنسان، بل تعبر عن علاقة أفعال أو أحداث تجرى فى الزمن (مثل أن هذا الإنسان ماشى)
- والقضايا : بسيطة مثل الوقت ليل، ومركبة وهى الشرطية المتصلة والمنفصلة.

لقد كان جالينوس على معرفة بكتابات الرواقيين وقد اطلع على المنطق الرواقى وهو يفخر بقراءته بعض رسائل منطقية لكروسبوس(٢٢٧ق.م)[٢١] بل إننا نستقى أقوال كروسبوس نفسه من كتابات جالينوس[٢٢] والعرب وقفوا على الرواقية وتأثروا بها أحيانا عن طريق جالينوس[٢٣].

---

(١٩) د. محمود زيدان: المنطق الرمزى نشأته وتطوره، ط٣ مؤسسة شباب الجامعات الاسكندرية ١٩٧٩ ص٤١.

(٢٠) نيقولا ريشر: جالينوس والقياس، ص٣٧.

(٢١) د. عثمان أمين: الفلسفة الرواقية، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩، ص١٧.

(٢٢) المصدر نفسه ، ص١٨.

(٢٣) المصدر نفسه ، ص٢٩٥.

ونحن يمكننا أن نلاحظ وجود أثر رواقي لدى كل من فخر الدين الرازى، ولدى ابن تيمية فى الرد على المنطقيين(٢٤) خاصة فيمايتعلق بإنكار الرواقيين وجود الكليات فى الخارج، حيث لم يستبقوا فى دائرة الوجود سوى الأشياء المشخصة وحدها. كذلك عرفوا نظريتهم فى التعريف، فالتعريف عندهم هو التعريف الناقص أو ما يسمى بالرسم، وهو تعريف لم يهتم به أرسطو، لكن الرواقيين أكثروا من استعماله، كما استعمله بعد ذلك جالينوس، ولعل ما نجده عند جالينوس باسم أبوجرافى هو الأصل فى الاسم العربى الرسم(٢٥) ويؤكد سانتلانا فى محاضراته بالجامعة الأهلية أن جالينوس قد استمد فكرة التعريف بالرسم من الرواقيين إذ إن رسائله المنطقية كانت معروفة فى العالم الإسلامى(٢٦) فما موقف المناطقة من منطق جالينوس؟

ثالثاً : موقف المناطقة العرب من جالينوس :

نستطيع أن نميز موقفين أساسيين للمناطقة العرب تجاه جهود جالينوس المنطقية، الأول موقف مناطقه مدرسة بغداد النقدى، والثانى موقف ابن سينا وأتباعه. لقد انتقدت مدرسة بغداد (الفارابى وتلاميذه) جالينوس، كما يتضح من إشارة ابن ميمون فى معرض شرحه الكبير على التحليلات الأولى، حيث يرى أن الفارابى قدم نقدا شاملا لآراء جالينوس حول القضايا الموجهة والأقيسة الموجهة(٢٧). ويلاحظ ريشر أن مناقشات الفارابى النقدية لآراء جالينوس المنطقية كانت عدائية بشكل خاص.(٢٨)

---

(٢٤) راجع عن وجود أثر رواقى فى فكر الرازى د. على سامى النشار، مناهج البحث عند مفكرى الإسلام، ص٤٢، وعثمان أمين الفلسفة الرواقية، ص٢٨٤، ومبارك قاسم البطاطى أثر الفكر الرواقى المنطقى والأخلاقى فى الفكر الإسلامى، رسالة دكتوراه غير منشورة بجامعة القاهرة، ١٩٨٨، ص١١٥ وعن هذا الأثر فى ابن تيمية، الرد على المنطقين، المصدر السابق، ص١١٦ - ١١٧ ,٢٥ د. عثمان أمين: المرجع السابق، ص٢٩٩-٣٠٠.

(٢٥) د. عثمان أمين : المرجع السابق، ص٢٩٩-٣٠٠.

(٢٦) سانتيلانا: تاريخ المذاهب الفلسفية، مخطوط بجامعة القاهرة، ص٢١٢.

(٢٧) نيقولا ريشر: جالينوس والقياس، ص٦.

(٢٨) المرجع نفسه، ص٥١.

ينتقد الفاربى آراء جالينوس فى كتاب البرهان، وذلك فى الفصل الرابع من شرحه لكتاب أرسطو فى العبارة، فبعد أن يورد تقسيم أرسطو للموجودات إلى: موجودات بالقوة، موجودات بالفعل، وأخرى بالقوة والفعل، يرى أن بذلك يزول ما قاله جالينوس فى كتابه البرهان. فالفارابى هنا يستخدم مبادئ أرسطو الفلسفية فى الرد على جالينوس، ويدور نقد الفارابى لجالينوس فى إطار فكرة الممكن، فالموجودات تنقسم إلى ثلاثة أقسام: ضرورية فقط وممكنة فقط، وممكنة حينا، وضرورية حينا، وهى التى من طبيعة الممكن إلا أنهاقد حصلت بالفعل، وهى التى يسميها الوجودية "إن جميع الأشياء المنظور فيها والمفحوص عنها هى هذه الثلاثة فلذلك يزول ما قاله جالينوس". ويتناول الفارابى الضرورى والممكن ويتحدث عن ثلاثة أصناف للضرورى ويحددها لنا، ويرى أن هذه الأقسام ظنها جالينوس واحدة، وجعل هذه القسمة فضلا ومما بالعرض، ولم يتميز له أنها طبائع متغايرة. ؛والذى غلط فيه جالينوس من كليات الضرورى. وذلك أنها كلها سواء فى ضرورة تلازمها فى الذهن. فظن أن وجودها خارج الذهن كذلك فغلط أشد الغلط"(٢٩)

ويخبرنا ابن باجة فى "تعليقات على كتاب العبارة للفارابى "أن أبا نصر لم يعرض لإثبات الممكن، كما يظن كثير ممن يقرأ كلامه، لأن هذا ليس من صناعة المنطق، فإن هذا من المعلومات الأولى، ونفسر لماذا ذلك، لأنه عرض لجالينوس فى هذا ما عرض لبرمنيدس فى الموجود، فإنه ارتاب بالحس من أجل لازم القول. وكذلك كما وضح جالينوس أن المتناقضتين تقتسمان الصدق والكذب دائما، لزم عن ذلك إبطال الممكن. لأنه إن ثبت الممكن لم تقتسما(٣٠). إن جالينوس كما يشرح ابن باجة لم يقصد أن يبطل الممكن هكذا وإنما لزم من أقاويله فى المناقضين ارتفاع الممكن من حيث لم يقصد ولايتعرف فإنه لو تأمل ما كتبه، ورأى اللازم عن قوله لاعتراف بحاله.

---

(٢٩) الفارابى : شرح كتاب أرسطو فى العبارة، تحقيق ولهلم كوتش اليسوعى وستانلى مارو اليسوعى ط٢ دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦، ص١٩٣.

(٣٠) ابن باجة: تعليقات على كتاب العبارة للفارابى، تحقيق د. محمد سليم سالم، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٦، ص٥٣-٥٣.

ويستشـهد الفـارابى كثيرا بجـالينوس فـى كتابـه الخطابــة وإذا كــانت الخطابة كما يعرفها فى بداية كتابه صناعة قياسية غرضها الإقناع فى جميـع الأجناس العشرة، وما يحصل من تلك الأشياء فـى نفس السـامع مـن القناعـة هى الغرض الأقصى لأفعال الخطابة(٣١) والأشياء التى يكـون بهـا الإقنـاع - كما يخبرنا - منها الضمائر والتمثيلات، ومنها بيـان فضيلـة القـائل ونقيصـة خصمه فإن هذا مما يوقع التصديق بما يقوله القائل، ويبين الفارابى أنه كثيرا ما يغلط قوم فيستعملون هذه العلوم عند معـاندتهم لمخـالفين لهم فـى آرائهم، كما فعل جالينوس عندما يروم مناقضة مخالفيه. أو فى الأشياء آ خر خارجـة عن الأمر الذى فيه يتخاطبون كما فعل جالينوس فى أن يفضـل نفسـه بذكـر فضيلة أبيه وبلده وينتقص خصومه.(٣٢)

ومنها كما يذكر الفارابى استنهاض السـامعين واسـتفزاز القـائل آرائهـم نحو تصديق قوله: بالأقاويل الخلقية، وهذا الضرب خطبى، وقد يسـتعمل فـى السوفسطائية وليس يدخل فى الجدل إلا غلطـا أو مغالطـة. وقد استعمل هذا جالينوس حين يقول: إنما يفهم قولى أو يستحسنه ويقبله ما كان من الأحـداث ذكيا موثرا للحق، وكان على فطرته لم يستمل بهوى. ولاأفسد ذهنه بـالآراء الكاذبة، وأشباه هذه الأقاويل ومنها الاستشـهاد بالسـنن المكتوبـة، كمـا التمـس جالينوس أن يبين أن القوة الشهوانية فى الكبد، بأن السنة كانت فى بلادهم أن تجعل عقوبة الزانى نزع كبده(٣٣).

---

(٣١) الفارابى: الخطابـة، تحقيق محمـد سليم سـالم ، الهيئـة المصرية للكتـاب، القـاهرة، ١٩٧٦، ص٧.

(٣٢) كما ذكر فى كتاب "حيلة البرء" حين ناقض تاسلس بأن ذكر خساسـة صناعـة أبيـه، وكما فعل فى المقالة الأخيرة مـن كتابـه "فـى آراء أبقراط وأفلاطـون" حيـن نـاقص (ميودنس) الذى ردعليه شيئا مما فى كتابه". المرجع السابق، ص٣٢-٣٣.

(٣٣) ومنها أيضا الشهادت، وهى أن يستشهد الإنسان لقولـه بإنسـان يركـن إلـى قولـه أو بقوم يركن إليهم متى شهدوا على ما قاله، أو كان اللازم من أقاويل أولئك مـا يشـدد قوله ويزيف قوله خصمه. كما استشهد جالينوس فى كتاب أخـلاق النفس، أن العقـل فى الدماغ بقول الناس فى مـن استحمقوه، إنـه لادمـاغ لـه، واحتـج هنـاك أيضـا أن الشجاعة فى القلب بقول الناس لمن يصفونه بالجبن إنه لا قلب له. [المرجـع السـابق ص٣٧]. وانظر ص٣٤-٣٥.

وقد اهتم يحيى بن عدى الذى صار رئيس المدرسة الأرسطية فى العالم العربى منذ ٩٥٠ وحتى وفاته ٩٧٤م ـ بالقضايا نفسها المثارة فى عصره مثل: عدد المقولات، العلاقة بين المقولات، طبيعة الجهة، القضية الممكنة، فقد كانت المسألة الخاصة بجهة الإمكان (العرض) موضع اهتمام المناطقة العرب فى القرن العاشر بسبب نغمتها الدينية المتصلة بالحتمية والمعرفة الإلهية المسبقة.. وقد كتب يحيى ابن عدى دحضا لأولئك الذين يرفضون هذه الجهة مثل جالينوس[٣٤].

ويثير ابن رشد فى كتاباته المنطقية قضية مهمة تتعلق بجهود جالينوس المنطقية التى تضيف إلى ما قدمه أرسطو واضع علم المنطق. وابن رشد كما يبين ريشر فى كتابه "جالينوس والقياس" هوالذى رسخ فى تاريخ المنطق بأن جالينوس هو صاحب الشكل الرابع الذى عده مختلفا عن الأشكال الثلاثة الأولى. "فمن أهم نظريات جالينوس ماسمى بالشكل الرابع، وهو مكون عنده من الضروب الخمسة التى أضافها ثاوفرسطس وأديموس إلى الشكل الأول عند أرسطو الذى كان قد أشار إليها فى الضروب غير المباشرة".[٣٥]

ويتناول ابن رشد هذه المسألة فى كتاب "القياس" حيث يقول: إن الشكل الرابع الذى يضعه جالينوس ليس بشكل طبيعى، وهو أن يكون الحد الأوسط محمولا على الطرف الأعظم، وموضوعا للأصغر، لأنه ليس تعمله فكرة بالطبع[٣٦]. والقياس الحملى ينحصر فى أشكال ثلاثة حيث يكون الحد الأوسط إما موضوعا للطرف الأكبر محمولا على الأصغر (وهذا هو الشكل الأول). وإما محمولا عليهما (الشكل الثاني) أويكون موضوعا لهما (الشكل الثالث) : أما أن يؤخذ الحد الأوسط محمولا على الأكبر وموضوعا

---

(٣٤) ومن بين أعمال يحيى بن عدى التى حققت ونشرت أخيرا فى مقالات يحيى بن عدى الفلسفية "أجوبة بشر اليهودى عن مسائله" وهى تبدو كما يخبرنا المحقق امتحانا ليحيى بن عدى فى الفلسفة الأرسطية، وما يمكن أن يثار حولها من شكوك من وجهة نظر جالينوس، والسائل يكشف عن معرفة واسعة بكتب أرسطو وجالينوس. راجع د. سحبان خليفات: مقالات يحىى بن عدى الفلسفية، منشورات الجامعة الأردنية، عمان ١٩٨٨، ص ٦٦.

(٣٥) جيرار جهامى : مقدمة تحقيق منطق ابن رشد، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٨٢، ص٧١.

(٣٦) ابن رشد: كتاب القياس، نقلا عن جيرار الجهامي، ص٧١.

على الأصغر. فذلك أمر مستهجن لأن المحمول على الأكبر محمول على الأصغر إذا كان الأكبر محمولا في الطلب بالطبع على الأصغر فيكون الشيء بعينه محمولا على نفسه وذلك مستحيل.[٣٧] لذلك فإن ابن رشد يقر: "إن عد هذا التأليف شكلا رابعا كما يصفه جالينوس فإنما يكون صنفا من أصناف الشكل الأول على مطلوب غير مفروض لا شكلاً رابعاً [٣٨]

ومن هنا فهو يؤكد على أن هذا الشكل لا يوجد في كلام قياسي ولابرهاني، ولاظني، ويرى محقق تلخيص ابن رشد للقياس إن جالينوس لم يفعل إلا أن أفرد للضروب غير المباشرة في الشكل الأول شكلاً قائما برأسه جعله الشكل الرابع. وهو رأى فاسد تماما كما أثبت ذلك ابن رشد[٣٩] ورغم ذلك فإن ريشر يشير إلى أنه على الرغم من هذا توجد فقرات عدة في الشرح الأوسط لابن رشد للتحليلات الأولى تثق بجالينوس في تقديم الشكل الرابع[٤٠].

ومقابل هذا الموقف الذى اتخذه الفلاسفة المشاءون العرب أنصار أرسطو نجد موقف ابن سينا ومدرسته الذين تبنوا آراء جالينوس مع ومقابل آراء أرسطو. بحيث يمكننا القول إن الآراء التى تغلغلت فى المنطق العربى من الرواقيين أو جالينوس كانت موجودة بفضل أتباع ابن سينا. إن ابن سينا الذى ابتعد عن أرسطو اتجه إلى ذلك غير مستقل تماما بل تحت تأثير سلطة القدماء المنافسين لأرسطو وخاصة سلطة جالينوس والرواقيين[٤١].

---

(٣٧) المصدر السابق ص٧٢.

(٣٨)ابن رشد : تلخيص كتاب القياس، تحقيق د.. محمود قاسم أكمله وعلق عليه بتروورث وأحمد هريدى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣ ص١٩٢-١٩٣ وانظر أيضا العمل نفسه، ص٧٨، ص١١٠.

(٣٩) د. عبدالرحمن بدوى: مقدمة تحقيق تلخيص ابن رشد للقياس الكويت، ١٩٨٨، ص١٨.

(٤٠) ويسرى هذا الموقف النقدى لدى عدد كبير من المناطقة العرب حيث كتب عبداللطيف البغدادى (حوالى ١١٦٢-١٢٣١) مقالة تفصيلية بعنوان "مقالة فى تكذيب الشكل الرابع" نشرها شريف الدين بلتقايا، حيدر آباد ١٣٥٨هـ-١٩٢٩م. وقد عرض ابن العسال (حـ١١٩٠-١٢٥٠) فى مقالته فى المنطق صراحة للشكل الرابع وإن كان أيضا يرى أنه طبيعى إلى حد بعيد. نيقولا ريشر: جالينوس والقياس، ص ٢٢.

(٤١) المصدر السابق، ص ١٥.

ونستطيع بالرجوع إلى الفصل الذى عقده ابن سينا للقياس من منطق الشفاء أن نتعرف على موقفه، حيث ميز بين الأشكال المختلفة للقياس على أساس موقع موضوع ومحمول النتيجة فى المقدمات (كموضوع أو كمحمول) ونجد أن ابن سينا يصل إلى أربعة أشكال ممكنة نظريا بطريقة معروفة وينسب ذلك صراحة إلى جالينوس. وإن كان يرى إن فى إثبات حجته كلفة مضاعفة.(٤٢)

وهذا ما يلاحظه محقق كتاب القياس حيث يرى أن ابن سينا يبعد قليلا بتقسيمه هذا لأشكال القياس عن المعلم الأول الذى حاول حصر أشكال القياس على أساس مدى انطباق الحد الأوسط على الطرفين.. فليس ثمة أشكال، إلا ثلاثة ليس من بينها الشكل الرابع، ويشير ابن سينا إلى أن جالينوس أو فاضل الأطباء كما يسميه يذكر الشكل الرابع. ويؤثر هو إلا يعرض له وإلا يدخل فى تفاصيله، والتزم ذلك فى منطق الشفاء وفى كتبه المنطقية الأخرى. فهو لم يجهله ولم يغفل الإشارة إلى موقف جالينوس منه(٤٣) ولم يهاجمه.

تعقيب :

علينا فى ختام هذا الفصل أن نشير إلى العلاقة القوية التى أوجدها جالينوس بين المنطق والطب حيث كان المنطق جزءا لايتجزأ من الدراسات الطبية خاصة فى مدرسة الإسكندرية، وبسبب تأكيده على أن دراسة الرياضيات والمنطق شرط لفهم الكتب الطبية، فإن جالينوس هو مؤسس ما يسمى بالتقليد الطبى المنطقى. فقد تناول بقدر من التفصيل هذه العلاقة، وبين كيف ينبغى على الطبيب أن يكون منطقيا، ذلك لأنه يفسر الأمراض وأعراضها وسبل الشفاء منها تفسير منطقيا، لهذا يعده نيقولا ريشر ممثلا لمدرسة الأسكندرية فى التقليد الطبى المنطقى. فهو يعرف الطب تعريفا منطقيا فى كتبه المختلفة. ويتحدث عن القياس فى أكثر من موضع فى كتابه

---

(٤٢) المصدر السابق، ص ٥٦.

(٤٣) ابن سينا: الشفاء، المنطق ٤ – القياس، تحقيق سعيد زايد، الهيئة المصرية لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٦٤، ص١٠-١١.

"التجربة الطبية" حيث يناظر بين أصحاب القياس وأصحاب التجربة، يقول: "إذا رجعت إلى قبول قول القدماء من حذاق الأطباء وأدقهم وذوى الفضل من الفلاسفة أقول: إن صناعة الطب إنما وجدت واستخرجت فى أول الأمر بالقياس مع التجارب".[٤٤]

والحقيقة إذا كان الاستشهاد السابق يتعارض مع تفسير آخر يقدمه جالينوس لنشأة علم الطب، والذى يرده إلى الوحى الإلهى، فإننا نورده هنا لبيان تأكيد جالينوس على أهمية القياس، أما التعارض بين التفسيرين فسوف نناقشه فى الفصل الخامس من هذا الكتاب. فما يهمنا تأكيده هنا هو رأى جالينوس أن صناعة الطب لاتقوم على التجربة وحدها. فقد قام بالرد على أصحاب التجربة، الذين ينكرون فضل القياس فى صناعة الطب، يقول فى "فرق الطب للمتعلمين": "إن الطبيب ينبغى عليه أن يكون عالما باختلاف الهواء والمياه والبلدان والأعمال والعادات والأطعمة والأشربة ليصل إلى وجود أسباب جميع الأمراض وقوى الأدوية، ويتداوى به منها، ويقدر أن يعيش وأن يتفكر فيعلم ما فعل هذا الدواء الذى معه هذه القوى إذا عولج به هذا النوع[٤٥]. فالأطباء المناطقة (أصحاب القياس) يستدلون - من الظواهر على الأسباب الجوهرية التى تكمن وراء الأعراض، وذلك عن طريق أعمالهم العقل. ويحدد جالينوس نوعين للقياس فى "التجربة الطبية" هما: القياس الايبوجسموس أو قياس الأشياء الظاهرة، والأنالوجسموس وهو فى الأشياء الخفية، ويعطى أمثلة لكل نوع منها[٤٦].

يحتاج الطبيب إلى المنطق حتى يمكنه القيام بعمليات الاستدلال التى تمكنه من تشخيص الأمراض. فهو يؤكد فى كتابه "فرق الطب للمتعلمين" إنه

---

(٤٤) جالينوس : التجربة الطبية، ص١ وانظر أيضا اكرام فهمى حسين: التقليد الطبى المنطقى فى مدرسة الاسكندرية، رسالة ماجستير غير منشورة. إشراف د. محمد مهران- آداب القاهرة، ١٩٩١، ص٤٩.

(٤٥) جالينوس: فرق الطب للمتعلمين، سبق ذكره، ص ١٥.

(٤٦) جالينوس: التجربة الطبية، ص ٦٣-٦٥.

لايمكن لاحد أن يصل إلى معرفة عضو من الأعضاء دون أن يقف على طبيعة كل واحد من الأعضاء الظاهرة "ولست أحتاج إلى أن أقول إنه يحتاج فى هذه الأشياء إلى علم المنطق حاجة شديدة"[٤٧].

وقد حاول جالينوس تفنيد رأى القائلين بأن المزاج الحار الرطب هو أعدل الأمزجة وقد اتبع فى ذلك تحليلا منطقيا يقول: "وقد حدث من اعتقادهم هذا خطأ على الحق نفسه وفى العلاج، ولذلك (فإن) الأولى لمن لم يتدرب على علم المنطق ألا ينظر فى الطب الذى يكون على التجربة حتى يتدرب فى صناعة المنطق، لأن من لايتدرب فى تلك الصناعة كان جدير بأن يخطىء مثل هذا الخطأ"[٤٨].

ويتضح من النص السابق عدة أمور منها تأكيده على أهمية المنطق بالنسبة للطب وتعلمه، ومنها أيضا فكرة تكامل المناهج المختلفة فى تعلم الطب" وأهمها منهج القياس ومنهج التجربة. فإن كان ريشر يؤكد على أهمية المنطق بالنسبة إلى الطب عند جالينوس فإننا نرى بالإضافة إلى ذلك حرص جالينوس الشديد على بيان دور كل من القياس والتجربة بالنسبة للمتعلمين فى صناعة الطب سواء فى تشخيص الأمراض أو فى تحديد وسائل العلاج. ونضيف إلى ذلك استخدام جالينوس الطريقة المنطقية فى معرفة الأدوية وتركيبها أيضا. يقول عن الترياق "إنه ركب أولا بالقياس وصحح أخيراً بالتجربة[٤٩]. وهذا يؤكد سمة التكامل بين المناهج التى ذكرناها مع بيان أهمية المنطق فى علوم الطب المختلفة مما يجعل جالينوس بحق من أعمدة القائلين بالتقليد الطبى المنطقى.

---

(٤٧) جالينوس: فرق الطب للمتعلمين، ص١٦.

(٤٨) جالينوس: التجربة الطبية، ص٨٨.

(٤٩) ابن رشد: رسائل ابن رشد الطبية، تلخيص كتاب الترياق، ص٤١٣.

الفصل الرابع

جالينوس الأخلاقى

تمهيد :

حين نتناول الجانب الأخلاقى فى كتابات جالينوس فنحن نعرض فيما نعتقد لأهم جانب من جوانب إسهامات الفيلسوف الطبيب وأكثرها تأثيراً. والحقيقة أن الاهتمام بهذا الجانب الأخلاقى مبنى فى الأساس على نصوص جالينوس الأخلاقية التى فقد أصلها اليوناني، وبقيت ترجمتها العربية، ومن هنا فإن هدفنا فى هذا الفصل، هو إبراز مكانة جالينوس فى مجال الأخلاق فى تاريخ الفلسفة، وعلى هذا فإن مهمتنا هنا مزدوجة تتمل أولاً فى بيان إسهام جالينوس الأخلاقى، وذلك بتحليل نصوصه، وفى مقدمتها مختصر كتاب الأخلاق[1] وثانيا بيان الأصول التى أعتمد عليها ثم موقف الفلاسفة الذين تعاملوا مع فلسفته الأخلاقية.

والحقيقة التى ستتضح لنا هى أن معظم من كتب فى الأخلاق فى الفلسفة الإسلامية قد توقفوا قليلا أو كثيرا أمام آراء جالينوس، إما بتبنى هذه الاراء أو بتحليلها ونقدها. ومهمتنا هنا هى الكشف عن دور كتابات جالينوس الأخلاقية، ورحلتها فى الفكر الفلسفى، وموقف الفلاسفة منها، وإذا كان فالتزر قد وجه معظم دراساته لبيان الأصول اليونانية لفلسفة جالينوس الأخلاقية[2] فإن اهتمامنا ينصب هنا - على بيان الجهود العربية التى انطلقت من كتابات جالينوس الأخلاقية خاصة تلك التى تتبعت ما يمكن أن

---

(١) لقد اهتم الباحثون المحدثون بالمختصر العربى لكتاب الأخلاق لجالينوس، فقد نشر كرواس المختصر مع مقدمة لتحقيقه فى مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية. المجلد الخامس، الجزء الأول، مايو ١٩٣٧ص١-١٥. ونقل عنه د. ماجد فخرى النص فى كتابه الفكر الأخلاقى العربي، ص٢١٥-٢٣٣، وهو يشير إلى ذلك صراحة فى حديثه عن مصادر النصوص، ص٤٦٧. وقد نشر بدوى نفس النص مع نصوص أخرى لجالينوس منها مقالته "فى أن قوى النفس توابع لمزاج البدن"، فى كتابه دراسات ونصوص فى الفلسفة والعلوم عند العرب، بيروت، ١٩٨١، ص١٩٠-٢١١.

(2) Walzer : Greek into Arabic p. 142.

نسميه بالأخلاق الطبية"[٣] فعملنا وإن كان يواصل جهود الباحثين السابقين فهو لا يتابعها،وإن كان يسعى لإكمالها وتطويرها، ويختص بالتنقيب عن الأخلاق الجالينوسية وبيان موقف الفلاسفة اللاحقين عليه من دراساته الأخلاقية.

أولاً : كتابات جالينوس الأخلاقية :

قدم جالينوس كتابات عديدة فى الأخلاق، حيث ذكرلنا فى فهرست كتبه ٢٣ كتابا فى علم الأخلاق [٤] لم يبق منها فى اليونانية إلا عمل واحد فقط هو فى "تعرف الإنسان عيوبه"، وبالنسبة لمؤلفاته الأخلاقية التى ترجمت إلى العربية، فقد أورد ابن النديم فى "الفهرست" ثلاثة كتب هى: كتاب تعرف المرء عيوب نفسه، ترجمة توما، وإصلاح حنين، فى مقالة وحدة، و"كتاب انتفاع الأخيار بأعدائهم"، نقل حبيش، مقالة، وكتاب الأخلاق، أربع مقالات، وذكر أنها لحبيش[٥] ويعطينا حنين بن إسحق فى رسالته إلى يحيى بن على فى ذكر ما ترجم من كتب جالينوس بعلمه، بيانا أكثر تفصيلا عن مولفاته الأخلاقية التى يذكر لنا منها :

١- كتابه "كيف يتعرف الإنسان ذنوبه وعيوبه"، أما جالينوس فذكر أنه كتب هذا الكتاب فى مقالتين، وأما أنا فلم أجد منه إلا مقالة واحدة، وهى ناقصة. ويضيف حنين أنه كان قد ترجم منها شيئا إلى السريانية منذ دهر لدواد المتطبب، "وانقطعت الترجمة على من غير استكمال منى لما وجدت باليونانية، لعارض عرض، ثم إن بختشيوع - وهو من الذين استفادوا وطوروا أفكار جالينوس الأخلاقية - سألنى منذ قريب أن أتممه له فدفعته إلى رجل رهاوى يقال له توما فترجم ما كان بقى، وتصفحته، وأصلحته، وأضفته إلى المتقدم[٦]. الكتاب إذن معروف فى العربية ذكره

(٣) د. ماجد فخرى، الفكر الأخلاقى العربى، الأهلية للنشر والتوزيع ط، بيروت، ١٩٨٦، ص٢١٧.

(4)Walzer: Greek into Arabic، P. 142.

(٥) ابن النديم: الفهرست، ص٣٤٩.

(٦) حنين بن إسحق: فى ذكر ما ترجم من كتب جالينوس، ص١٧٦.

حنين، وابن النديم، والحقيقة أن لهذا الكتاب تأثيرا كبيرا على الفلاسفة العرب، ويمكن أن نعطى نموذجا لذلك بابن سينا الذى قدم لنا فيما يتعلق بالنفس وحدوثها وكيفية هذا الحدوث موقفا أشبه بموقف جالينوس[٧].

ويتضح تأثير ذلك العمل بصورة واضحة فى الأخلاق عند الشيخ الرئيس، فمن يتصفح رسالته فى السياسة فى المواضع التى يتناول فيها سياسة الرجل نفسه، ومعرفة المرء أخلاقه بغيره[٨] يجد أفكار جالينوس فى كتابه "كيف يتعرف الإنسان ذنوبه وعيوبه".

٢- "كتابه فى صرف الاغتمام"، هذا الكتاب مقالة واحدة - كما يخبرنا حنين- كتبها لرجل سأله ما باله لم يراه اغتم قط، فوصف له السبب فى ذلك، وبين بماذا يجب الاغتمام، وبماذا لا يجب، وكان ايوب قد ترجم هذا الكتاب إلى السريانية، وترجمته أنا لداود المتطبب إلى السريانية، وترجمه حبيش إلى العربية لمحمد بن موسى[٩]. والحقيقة أن هذا الكتاب كان له تأثير كبيرفى كتابات الفلاسفة المسلمين التى لم تكتف فقط بمحتوى كتاب جالينوس، إنما أيضا عنوانه، فالكندى أول الفلاسفة العرب الذى ينسب له ابن النديم "رسالة فى الأخلاق"، وأخرى "فى التنبيه على الفضائل" لم يصلنا من مؤلفاته الخلقية شىء سوى رسالته - التى تحمل العنوان والمضمون الجالينوسى - "الحيلة لدفع الأحزان"، والتى نشرها كل من فالتزر R.Walzer وهملوت ريتر H. Ritter [١٠]ويصفها ماجد فخرى التى

---

(٧) د. حسام الدين الألوسى: حوار بين الفلاسفة والمتكلمين، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦، ص١٩٦.

(٨) ابن سينا : السياسة، فى لويس شيخو: مقالات فلسفية، دار البستاني، القاهرة، ص١-١٧، وأيضا تيسير الأرض: المدخل إلى فلسفة ابن سينا، دار الأنوار، بيروت ص٣٣٩، ٥٠٥-٥٠٧، وانظر أيضاً دراستنا الأخلاق عند ابن سينا، مجلة دراسات إسلامية، إسلام آباد، باكستان.

(٩) حنين بن إسحق : المصدر السابق، ص ١٧٧.

(10) Ritter and Walzer: Memoria dela reale Academia deilincei: Roma vii8 1983.

ونشرها عنه د. ماجد فخرى: الفكر الأخلاقى العربى، ص٢٣٤-٢٤٨. ود. عبدالرحمن بدوى، رسائل فلسفية: منشورات الجامعة الليبية، بنغازى٩٧٣-ص٦-٣٢. وانظر دراستنا: الأخلاق فى الفكر العربي: الكندى: مجلة دراسات شرقية، باريس، العدد ٩، ١٠ ص٤٧-٥٣.

أعاد نشرها عنهما بأنها ذات طابع رواقى[١١] مما يؤكد لنا حقيقة أصول جالينوس الفكرية من جهة، وانتقال الفلسفة الرواقية إلى العالم الإسلامى عبر كتاباته من جهة ثانية، وللرسالة أهمية كبرى تتمثل فى أنها طبعت الفكر العربى اللاحق بطابعها؛ فالرازى، ويحيى بن عدى، ومسكويه، وابن سينا، والغزالى قد نهلوا جميعا من معينها، سواء فى باب دفع الغم أم الخوف من الموت وما يتصل بهما من شئون، فكانت بهذا المعنى ركيزة من ركائز التراث الخلقى العربى.

ونحن نجد لابن سينا أيضا رسالة بالعنوان الجالينوسى نفسه، وهى "رسالة فى دفع الغم من الموت"[١٢] مما يوضح تأثير كتابه "فى صرف الاغتمام" على الفلاسفة العرب والمسلمين خاصة مسكويه الذى قدم رسالة بهذا الاسم، هى فى الحقيقة جزء من تهذيب الأخلاق[١٣].

٣- كتابه "فى أن الأخيار من الناس ينتفعون بأعدائهم"، وهذا الكتاب أيضا مقالة واحدة، وقد ترجمه حنين إلى السريانية لداود، وترجمه حبيش لمحمد بن موسى إلى العربية، وهى رسالة فقد أصلها اليوناني، وبقيت فى ترجمة حنين [١٤].

٤- كتاب "فى آراء أبقراط وأفلاطون" عشر مقالات، وغرضه فيه أن يبين أن أفلاطون فى أكثر أقاويله موافق لأبقراط من قبل أنه عنه أخذها، وأن أرسطو فيما خالفهما فيه قد أخطأ، ويبين فيه جميع ما يحتاج إليه من أمر قوة النفس المدبرة التى بها تكون الفكرة، والتوهم، والذكر، ومن أمر الأصول الثلاثة التى منها تنبعث القوى التى بها يكون تدبير البدن، وغير ذلك من فنون شتى[١٥] وقد ذكره جالينوس فى جوامع كتاب طيماوس وفى كتاب الأخلاق.

---

(١١) د. ماجد فخري: المرجع السابق، ص٢٣٧، ٤٦٧.

(١٢) ابن سينا: رسالة فى دفع الغم من الموت. ضمن رسائل ابن سينا فى أسرار الحكمة المشرقية، نشرها مهران، ليدن ١٨٨٩.

(١٣) مسكويه: رسالة فى الخوف من الموت، نشرة لويس شيخو ص١٠٣- ١١٤من كتاب مقالات فلسفية، دار البستاني القاهرة. ١٩٨٥ وراجع أيضا تهذيب الأخلاق نشرة قسطنطين زريق، الجامعة الأمريكية، بيروت، ١٩٦٦.

(١٤) فالتزر: جالينوس، دائرة المعارف الإسلامية ، الجزء العاشر ص٤٤٦ وانظر استشهاد ابن أبى أصيبعة بهذا الكتاب، ص١٢٨-١٢٩.

(١٥) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ص١٤٠.

٥- كتاب فى العادات ذكره حنين بن إسحق فيما ترجم من كتب جالينوس، وقال: كتاب فى العادات، هذا الكتاب مقالة واحدة وغرضه فيه أن يبين أن العادة أحد الأعراض التى ينبغى أن ينظر فيها، ترجمت هذه المقالة إلى السريانية لسلمويه بن بنان. وكذلك ورد ذكرها فى مقالة حنين بن إسحق فى ذكر الكتب التى لم يذكرها جالينوس فى فهرست كتبه، أما الترجمة العربية لكتاب جالينوس فى العادات فقد وصلت إلينا فى مخطوطة بمكتبة آيا صوفيا (رقم ٣٧٢٥ ص١٩٣ ظ -٢١٨و) وهى لحبيش بن الحسن، كما يظهر من أولها، راجع RTTER - WALZER. A RABISCHE UBERSETZUNGE GRIECH AERZRE P. (846). ويضيف ابن أبى أصيبعة فى وصفة لهذا العمل قوله: "كتاب فى العادات: مقالة واحدة، وغرضه فيه أن يبين أن العادة أحد الأعراض التى ينبغى أن ينظر فيها، ويوجد متصلا بهذا الكتاب ومتحدا معه تفسير ما أتى به جالينوس فيها من الشهادات من قول أفلاطون بشرح ابروقلس له" (١٦)

وقد ظن لويس شيخو أن مختصر كتاب الأخلاق هو كتاب جالينوس فى العادات. وقد بين كرواس فى مقدمة تحقيقه لمختصر كتاب الأخلاق، أن العملين مختلفان، ونستطيع من مقارنة نص كل منهما أن نتأكد من ذلك، فالمختصر يتكون من أربع مقالات بينما "فى العادات" مقالة واحدة، الأول فقد أصله اليوناني، والثانى وجد فى أصله اليونانى، وترجمته العربية (١٧).

٦- مقالة "فى أن قوى النفس توابع لمزاج البدن"، وقد كتبها جالينوس بعد كتاب الأخلاق، ويبين فيها الأسس الفسيولوجية للسلوك الخلقى" فنحن إذا ما عدلنا البدن بالأطعمة والأشربة والأشياء التى تفعل كل يوم، كان ذلك مما يعين على نيل الفضيلة. وغرضه فيها هو "معرفة أخلاق النفس وانفعالاتها الظاهرة فى الصبيان الصغار" اعتماداً على نظرية أفلاطون فى النفس(١٨). وهى مثل معظم كتابات جالينوس الأخلاقية تؤكد على

---

(١٦) ابن أبى أصيبعة : ص١٤٠.

(١٧) كرواس: مقدمة نشرة مختصر الأخلاق لجالينوس، ص٩.

(١٨) جالينوس: فى أن قوى النفس توابع لمزاج البدن، فى بدوى، دراسات ونصوص فى الفلسفة والعلوم عند العرب، ص١٨٣.

الارتباط الواضح بين الطب والسلوك (الأخلاق)، وبين قوى النفس ومزاج البدن، ونجد لدى الرازى عبارة تتشابه مع هذه الفكرة لفظا لكنها تختلف عنها فى الدلالة تنقلها عن ابن أبى أصيبعة ثم نعقب عليها، قال الرازى: "ينبغى للطبيب أن يوهم المريض أبدا الصحة، ويرجيه بها، وإن كان غير واثق بذلك، فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس"[١٩]. إن عبارة الرازى على العكس من فكرة جالينوس، وإن كانت تدور فى إطار جالينوسى فهى تتعلق بأسلوب العلاج، وطريقة الطبيب فى تهيئة المريض نفسيا للشفاء، إلا أننا بإزاء نظريتين إحداهما أقرب إلى الطب النفسى نستخلصها من قول الرازى، والثانية تؤسس الأخلاق، وتفسر السلوك الإنسانى على أساس من الطب.

٧- ويأتى فى مقدمة هذه الأعمال كتاب فى الأخلاق، والذى قصدنا ذكره فى نهاية مؤلفاته؛ للإفاضة فى بيان موضوعه، ومحتوياته، وهذا الكتاب كما يخبرنا حنين، جعله جالينوس فى أربع مقالات، وغرضه فيه أن يصف الأخلاق، وأسبابها، ودلائلها ومداوتها. ويكاد الغزالى ـ فيما يوضح فالتزر. يستعمل الكلمات نفسها إذ يقول فى "المنقذ من الضلال" : "إن الأخلاق فرع من الفلسفة، يشمل معرفة صفات النفس وأخلاقها، وذكر أجناسها، وأنواعها، وكيفية معالجتها، ومجاهدتها". .وهذا التعريف نفسه يرد فيما رواه حاجى خليفة فى مادة أخلاق عن ابن صدرالدين الشروانى (ت ١٠٣٦هـ)[٢٠].

وقد ترجم هذا الكتاب إلى السريانية رجل من الصابئين يقال له منصور بن أثاناس، وذكروا أن أيوب الرهاوى أيضا ترجمه، وأما ما ترجمه منصور - فيما يخبرنا حنين - فقد رأيته وما رضيته، وأما ما ذكروا أن أيوب ترجمه فما رأيته ولست أعلم أيضا هل ترجم شيئا أم لا؟ وأما أنا فلم أترجم هذا الكتاب إلى السريانية لكنى ترجمته إلى العربية، وترجمه حبيش من ترجمتى ليوحنا بن ماسويه إلى السريانية، وما وقعت عليه[٢١].

---

(١٩) نقلا عن ابن أبى أصيبعة، ص٤٢٠.

(٢٠) فالتزر: جالينوس دائرة المعارف الإسلامية، المجلد العاشر، ص٤٤٥.

(٢١) حنين بن إسحق: فى ذكر ما ترجم من كتب جالينوس.. ص١٧٧.

وعلى أساس ماذكره "حنين يصحح كرواس قول كل من ابن النديم فى "الفهرست"، وابن القفطى فى "أخبار الحكماء" من أن كتاب الأخلاق نقله حبيش، فنسبه الترجمة إلى حبيش غير صحيحة، إلا إذا عنى صاحبها ترجمته للكتاب إلى اللغة السريانية[٢٢].

والمتتبع لكتب تاريخ العلم العربى يجد كثيرا من الاستشهادات المنقولة عن كتاب الأخلاق لدى كل من: ابن النديم، والقفطى، وابن أبى أصيبعة[٢٣]. فصاحب عيون الأنباء فى طبقات الأطباء يستشهد بما جاء فى المقالة الثالثة من كتاب أخلاق النفس، لتصحيح أخطاء المؤرخين فيما يتعلق بحياة جالينوس فهو يعرض لفقرة طويلة من كتاب الأخلاق[٢٤]، كما يستشهد أيضا بأخلاق النفس ليبين الربط بين أمراض البدن وأمراض النفس[٢٥].

ويتفق الباحثون المعاصرون على أن صاحب المختصر هو أبو عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقى (أوائل القرن الرابع الهجرى، والعاشر الميلادى) وهو من النقلة المجيدين، ويقال إن له من الكتب مسائل جمعها من كتاب جالينوس فى الأخلاق، ويبدو أنه العمل الحالى، وقد اعتمد فيه على ترجمة حنين بن إسحق[٢٦].

وفى محاولة كرواس البرهنة على أن مختصر كتاب الأخلاق الذى نشره هو ملخص لكتاب جالينوس، ويقدم لنا عدة نصوص، واستشهادات من:

---

(٢٢) كرواس: المصدر السابق، ص١٢.

(٢٣) ابن أبى أصيبعة، ص٤٧.

(٢٤) ويناقش صاحب عيون الأنباء تاريخ حياة جالينوس ويقول "واستطرف أيضا كيف لم ينتبه إلى فصل ورد فى كتاب الأخلاق تبين فيه غلط تاريخ هذه المدة.. ويضيف، وقد يكون سبب هذا الغلط من التسامح، ويستمر حتى تحصل حجة يصل بها من لم يفحص عن حقائق الأمور.. وهذه نسخة الفصل من كتاب الأخلاق. قال جالينوس"...." ص١١٦.

(٢٥) قال (يقصد جالينوس) فى كتاب أخلاق النفس "كما أنه يعرض للبدن المرض والقبح، فالمرض مثل الصراع والشوصه (ألم البطن) والقبح مثل الحدب وتسقط الرأس وقرعه، كذلك يعرض للنفس مرض وقبح فمرضها كالغضب، وقبحها كالجهل" ابن أبى أصيبعة، ص١٣١.

(٢٦) كرواس: مقدمة تحقيق مختصر كتاب الأخلاق، ص ٢٣، ٢٤، ود. ماجد فخرى، المرجع السابق، ص٢١٧، وقسطنطين زريق هوامش تحقيق كتاب مسكويه تهذيب الأخلاق، الجامعة الأمريكية، بيروت، ١٩٦٦،ص٣٣١.

ابن أبى أصيبعة[٢٧] وابن جبرييل فى كتابه إصلاح النفس[٢٨]، والبيرونى فى كتاب "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مزدولة" ومن كتاب السجستانى "صوان الحكمة"[٢٩] وتوضح تلك الفقرات ليس فقط علاقة المختصر بالكتاب، ولكن أيضا تغلغلهما فى الفكر الفلسفى العربى الإسلامي.

ثانياً : الأخلاق والطب :

ويهمنا أن نشير بإيجاز إلى محتويات هذا العمل الذى يعتمد على عمل أسبق هو "آراء أبقراط وأفلاطون" الذى أشار إليه جالينوس فى كتابه "الأخلاق"، وكذلك في دراسته "أن قوى النفس توابع لمزاج البدن". وكتاب الأخلاق يعود إلى الفترة المتأخرة من كتابات جالينوس. فى الأغلب بعد عام ١٧٦م. فقد كتبه في روما فى الفترة بين ١٨٥ - ١٩٢- وقد تناول فيه: مختلف أنواع الأخلاق وأسبابها، وعلاماتها، وعلاجها معتمدا فى ذلك على منهج الملاحظة. يقول: "الخلق حال للنفس داعية الإنسان إلى أن يفعل أفعال النفس بلا روية ولااختيار". وهو يعتمد على تقسيم أفلاطون للنفس إلى : نفس ناطقة، وغضبية، وشهوانية وهو التقسيم الذى شاع لدى الفلاسفة المسلمين، ويبين أن الأخلاق للنفس التى لا نطق لها.

فهو حين يعرف الخلق يعرض لرأى الفلاسفة فى ذلك، ويدلل على رآيه بما نلاحظه فى سلوك الأطفال والحيوان الذى لانطق له. يقول: "إننى أخذ أصل كل ما أفحص عنه فى هذا الكتاب بما يظهر فى الصبيان الصغار ليكون تمييز الحركات البهيمة المحضة مما يخالطه شيء من الظنون التى للناطقة وآرائها أسهل"[٣٠]... وحين يعرض لرأى من يقولون إن جميع الأخلاق للنفس الناطقة كما قال بذلك المتأخرون يوضح أن العيان شاهد على بطلان قول هؤلاء. وهو يوظف دراساته الطبية فى تفسير السلوك الأخلاقى كما يتضح فى قوله: "لايقدر الإنسان على كف الشهوانية عن حركة فى غير

---

(٢٧) كرواس، ص ١٨-١٩.

(٢٨) نفس المصدر، ص ١٩-٢٠.

(٢٩) نفس المصدر، ص ٢١، ٢٢، ٢٣.

(٣٠) جالينوس : مختصرات الأخلاق، تحقيق كرواس، نقلاً عن ماجد فخرى، ص٢٢١-٢٢١.

وقتها أو على اعتدال ما لم يكن فى نفسه الغضبية التى هى الحيوانية قوة وجلد. وجوهر هذه القوة التى يقوى بها الإنسان على الصبر والثبات فى الأعمال فيما أرى هو الحرارة الغريزية لأن حركة الحرارة الغريزية كلما كانت أقوى "كان الإنسان أحرك (أكثر حركة)"(٣١). وهو دائما يقارن أخلاق النفس بصحة البدن، فالقوة لا يكتسبها الضعيف بالرياضة كما يكتسبها القوى، كما أن الأبدان السقيمة التركيب التى لاتصبر بالتدبير والرياضة إلى حال الصحة والقوة كذلك فى الأنفس"(٣٢).

وقد أكد الفلاسفة القدماء على أن الأخلاق لغير الناطقة، وإن كان أرسطو كما يذكر جالينوس يرى أنه قد يشوب الناطقة شىء من الأخلاق، ولكن جلها فى التى ليست بناطقة. وقد بينت ذلك فى الكتاب الذى وضعته فى "آراء أبقراط وأفلاطون"، وأوضحت هناك أن للإنسان شيئا به يكون الفكر، وشيئا غيره به يكون الغضب، وشيئا ثالثا به تكون الشهوة. ولست أبالى كيف قيل فى هذه الثلاثة أشياء فى هذا الكتاب، إنها أنفس مختلفة، أو أنها أجزاء لنفس الإنسان، أو أنها به تكون الفكرة النفس الناطقة، والنفس المفكرة، كان ذلك الشىء نفسا مفردة، أو جزءاً، أو قوة، والشىء الذى يكون به الغضب، والنفس الغضبية، أو النفس الحيوانية، والشىء الذى به تكون الشهوة، أو النفس النباتية.

ويعرض فى المقالة الأولى النظرية العامة للسلوك الأخلاقى، ويميز بين: حالات نفس الإنسان الممدوحة وتسمى فضيلة، والمذمومة وتسمى رذيلة. وهذه الحالات تنقسم إلى قسمين: منها ما يحدث للنفس من بعد الفكر، والروية، والتمييز فيقال لها معرفة، أو ظن، أو رأى، ومنها ما يعرض فى النفس من غير فكر فيقال لها أخلاق، ومن الأخلاق ما يظهر فى الأطفال أول ما يولدون قبل وقت الفكر. ويبين أنه لايوجد شىء من الأفعال، ولا من العوارض، ولا من الأخلاق فى الإنسان إذا استكمل، إلا وقد يوجد فيه فى وقت صباه(٣٣).

---

(٣١) المصدر السابق، ص ٢١٩.
(٣٢) نفس المصدر، ص ٢٣٢.
(٣٣) المصدر السابق، ص٢٢١.

ثم يتناول علامات الأخلاق ويبدأ بمن خلقه الحزد، والغضب، والتهور، والجسارة. وينقل عبيد الله من جبرائيل بن بختشيوع كما يفعل غيره من الفلاسفة الأخلاقيين العرب تعريف جالينوس للأخلاق حرفيا في الفصل السادس والعشرين "ما الخلق؟" فى كتابه الروضة الطبية(٣٤). كذلك ينقل عنه تعريفه للغضب.

ويخصص المقالة الثانية لأخلاق النفس الشهوانية، ويذكر الأشياء التى تشتاق إليها، وتشتهيها كل واحدة من هذه الثلاث الأنفس التى جميع الناس مطبوعون على شهوتها. أما الفهم يكون فى النفس الناطقة، وهو قوة تبصر الاتفاق والاختلاف فى جميع الأشياء، وميل هذه النفس إلى الجميل، وأما الغضبية ففيها الغضب، ولذلك سميت الغضبية، وميلها إلى الغلبة. وأما الشهوانية ففيها قوة تغذو البدن، وميلها إلى اللذة وهى نفى الأصول والأخلاق. وأما اختلاف أصناف الأخلاق فإنما يكون من قبل الكثرة، والعلة فى ميل كل واحد من الأنفس فى مقدار قوتها الطبيعية(٣٥).

يقول : واعلم أن البدن إنما قرن بك ليكون لك آلة للأفعال،وأن النفس الشهوانية إنما جعلت منك من أجل البدن، والغضبية لتستنجد بها على الشهوانية، وكما أن الإنسان لو قطعت يداه، أو رجلاه، وباقى أعضائه التى يمكن أن يبقى بعد عدمها حيا باقياً على إنسانيته لبقاء فكره وعقله لكان إنسانا، كذلك إذا أمكن أن يبقى حياً عاقلاً بعد عدم جميع أعضاء بدنه، وقد تعرى مع تعريه من البدن من النفس التى تغذو البدن. وإذا كنت إنما أنت إنسانٍ فبالنفس الناطقة، وقد يمكن بقاؤك بها دون الشهوانية، والغضبية حيا عاقلاً، ولو خلت منهما لما كان يعرض لها سوء السيرة فينبغى أن يستخف بأفعالها وعوارضها(٣٦).

وقد ركز فى المقالة الثالثة على الأفعال الأخلاقية، التى تتطلبها قوى النفوس الثلاث. ويقدم لنا مثالا يبين كيف يكون الضبط للنفس، هو مثال

---

(٣٤) عبيد الله بن جبرائيل بن بختشيوع : الروضة الطبية، عنى بتصحيحها والتعليق عليها القس بولس شباط، المطبعة الرحمانية، القاهرة ١٩٢٧ ص٤٢-٤٣.

(٣٥) جالينوس، المصدر السابق، ص ٢٢٦.

(٣٦) نفس الموضع.

"القناص والكلب". وتظهر ثقافته الفلسفية العميقة ومعرفته بالعلوم البرهانية والرياضية وتأثره بالفلسفة الأفلاطونية فيما يحدده من العلوم التى تعين النفس على الفضيلة. ويبين أن النفس الناطقة إنما تقوى بالعلوم البرهانية التى ينبغى أن يكون تعلمها بالتدريج، ويذكر لنا هذه العلوم التى يرتقى بها الإنسان بالطريقة نفسها التى يذكرها أفلاطون فى نظام تربية الحراس فى الجمهورية، يقول: "تشرف النفس بمعرفتها، وأعظم الأشياء، شرفا المعرفة التامة، والأشياء التى تعرف، منها إنسية ومنها إلهية، فينبغى لتنمى رياضتها: الهندسة، وعلم الأعداد، وعلم الحساب، وعلم الموسيقى، فإن هذه العلوم تزيد من قوة النفس وكمالها.... والموسيقى يحتاج إليها فى إصلاح رداءة النفس الغضبية، ورداءتها قسمان كالأشياء التى فضيلتها فى الاعتدال، فإن كانت مطبوعة على الاعتدال فليس يحتاج إلى الموسيقى فإن النفس الناطقة تكتفى فى تأديبها بما يقيم فى النفس من الجميل. وإن كانت أشد قساوة مما ينبغى، أو أشد تفتحا فإن استعمال ضروب من النظم والإيقاع زمانا طويلا يصلح تلك الأخلاق، فيليق بمن أراد رياضة نفسه الناطقة أن يبحث عن السبب الذى له صار بعض وزن الألفاظ والإيقاع والنظم يرضى النفس ويفتحها، وبعضه يهيجها ويقسيها. ومنه صنف آخر يصير النفس إلى حال القصد، وكأنه يحفظها على حال وسطى بين الحالين. وهذا الصنف من الوزن ومن الإيقاع، ومن النظم هو الذى يستعمل فى تسبيح الله، وعند الذبائح. والعلوم التى قدمنا ذكرها ينبغى أن يتعلمها الإنسان فى صباه، والموسيقى بعد ذلك، وإذا صار فتى أن يأخذ فى علم البرهان، ويتعلم ذلك ممن قد تأدب بما ذكرناه"[٣٧].

يوظف جالينوس العلوم المختلفة "البرهان وعلوم التعاليم؛ الهندسة والموسيقى فى التربية والتنشئة، فالأخلاق تقوى بتذوق الفنون وتصقل بالآداب والعلوم وهو فى ذلك يتابع موقف أفلاطون فى الجمهورية الخاص بتربية الشباب والحراس.

ويفيض فى المقالة الرابعة فى الحديث عن أخلاق النفس الناطقة بصفة خاصة. وهو يعرف الأخلاق باعتبارها ميلاً فطرياً غير عقلى للنفس

(٣٧) جالينوس : المصدر السابق، ص٢٢٨. انظر أيضا أفلاطون: الجمهورية، ترجمة فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة، ١٩٨٥، ص١٣٠-١٣٧.

الإنسانية مؤكداً على أن الاختلافات منها لا تنتج عن الطبيعة الكامنة للإنسان. ومن الواضح اعتماد جالينوس على التقسيم الأفلاطونى للنفس البشرية، ذلك الاعتماد الذى يظهر فى تأكيده على فطرية الأخلاق فى النفس، وفى قوله بصعوبة استبعاد الأخلاق الشريرة عن طريق التدريب والتعليم المستمر.(٣٨)

وعند جالينوس تختلف قوى النفس الثلاث من إنسان إلى آخر وهويدلل لنا على ذلك بملاحظة سلوك الحيوان. وسلوك الأطفال فى الأعوام الثلاثة الأولى من أعمارهم. ومن الواضح عند هذه النقطة أن تحليل جالينوس، واعتماده على ملاحظة سمات وخصائص، وسلوك الكائنات الحية جديد تماما فى الدراسات الأخلاقية اليونانية، وإن كنا نستطيع الربط بين تأكيد جالينوس على الأساس اللاعقلى للأخلاق، وبين اهتمام الفلسفة الرواقية بتحليل الانفعالات والعواطف(٣٩). حيث يقترب تعريف جالينوس للأخلاق باعتبارها ميلا فطريا لاعقليا من التعريف الذى تبناه اريوس ديدموس Aruis Didymus، وهو التعريف الذى أخذت به الأكاديمية فى عصر الملك اغسطس" والذى يتلخص فى أن الأخلاق هى سمة للجزء الشهوانى اللاعقلى من النفس والتى بدورها تتبع العقل، ويشير بلوتارك -كما يخبرنا فالتزر- إلى هذا التعريف فى رسالة عن "الفضيلة الأخلاقية".

ويربط بين عمل جالينوس، وبين الأفلاطونية الوسطى، ويضعه فى إطار التراث الفلسفى للأكاديمية، الذى بدأ مع فيلون اللاريسى، بل ومع أنطيوخوس العسقلانى أستاذ شيشرون. إلا أن أصول جالينوس الأخلاقية تتفق كما سبق أن أشرنا مع بوزيدنيوس، وكلاهما يلتزم بأراء أفلاطون. فأفلاطون نفسه يفترض أن الأخلاق ميل فطرى وثابت للنفس البشرية(٤٠)، بل إننا نجد لديه إشارات للتشابه بين الحيوانات والأطفال فى عمر مبكر فى الكتاب الثانى عشر من القوانين، مثلما أكد جالينوس، وإن كانت إشارات أفلاطون أكثر تأن ومنهجية(٤١).

---

(٣٨) جالينوس: نفس المصدر، ص ٢٣٠.

(٣٩) راجع العلاقة بين جالينوس والرواقية فى الفصل الثانى من هذه الدراسة.

(40) Walzer: Ibid., p. 147.

(٤١) أفلاطون: محاورة القوانين ترجمة د. حسن ظاظا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦، ص٥٢٧ وما بعدها.

ونستطيع أن نتناول أحد القضايا الأساسية التى عرضها لها جالينوس فى بيرى ايثون "الأخلاق" لنوضح طريقته المميزة التى يمتزج فيها التجريب بالاستدلال والملاحظة بالقياس، فإذا كان فى المقالة الأولى يغلب عليه النهج التجريبى المتمثل فى ملاحظة سلوك الصبيان الصغار والحيوان فهو فى "قوى النفس توابع لمزاج البدن" يعرض لقضية رئيسة تتعلق بحقيقة أصل الشر فى الإنسان. وهى مسالة أهتم بها جالينوس إلى درجة كبيرة. ونستطيع أن نعرض لموقفين مختلفين يخالفهما جالينوس الأول موقف بعض فلاسفة الرواقية الذين يعتقدون أن كل الكائنات البشرية خيرة وصالحة بالفطرة ولكنها تفسد بعد ذلك متأثرة بالبيئة والمحيط الفاسد وتسيطر عليهم الرغبات الشريرة التى لا يفلح التعليم فى كبحها والموقف الثانى يرى أن الإنسان شرير بالفطرة ولكنه يمكن أن يصلح بالتعليم مميزين بين من هم فى غاية الشر، ولايمكن أن يتحولوا إلى الخير، والذين يؤمل فى علاج شرهم، وهم يمكن أن يتغيروا من الشر إلى الخير من خلال الأصدقاء الصالحين.

يرى جالينوس أن البعض صالح والبعض الآخر شرير بالفطرة وهناك من هم بين هذين. وقد انتقد جالينوس الرأيين السابقين فهو يرفض الموقف الأول على الوجه التالي: لو أن البشر صالحين بالفطرة وصاروا أشرارا فإن ذلك ناتج عن تعلمهم الشر أما عن طريق أنفسهم أو بواسطة آخرين فإذا كانت الثانية، عن طريق المعلمين مثلاً فإن هؤلاء المعلمين أشرار بالطبع، وعلى هذا تستنتج أن كل البشر ليسوا صالحين بالفطرة. أما إذا كانوا قد تعلموها بأنفسهم ففى هذه الحالة إما أن يكون لديهم استعداد أو قدرة تميل بهم إلى الشر، ومن ثم فهم أشرار بالفطرة، أو أن يكون لديهم بالإضافة إلى استعدادهم للشر قدرة أخرى وهى التى يرغبون بواسطتها فى الخير وتخضع لسلطاتها (سلطان الأولى) وبذلك يمكن القول ثانية بأنهم سيئون بالفطرة

أما وجهة النظر الثانية فقد هدمها بحجة مماثلة حيث لو كان البشر أشرارا بالفطرة فإنه يمكن لهم تعلم الخير من آخرين أو بأنفسهم ويكرر نفس البرهان السابق بنفس الأسلوب. وبدحض آراء هذين الموقفين عزز

جالينوس وجهه نظره، لأن من الواضح أن قليل من الناس صالحين بالفطرة ولايمكن إفسادهم، بينما هناك أشرار كثيرون بالفطرة ولا يمكن أن يصيروا من الأخيار، وهناك الاخرون بين هذا وذاك فهم ليسوا بالأشرار أو الأخيار لكن يمكن أن يتحولوا إلى أخيار عن طريق صحبة الأخيار ومواعظهم كما يمكن أن يتحولوا إلى الشر بارتباطهم بالأشرار وغوايتهم(٤٢).

ثالثاً : تأثير أخلاق جالينوس على اللاحقين :

أشرنا فى سياق حديثنا عن كتابات جالينوس الأخلاقية إلى ترجماتها العربية، وإلى إشارات مؤرخى العلم العربى لهذه الكتابات، وفى بعض الحالات ألمحنا إلى وجود تعريف جالينوس للأخلاق لدى بعض الفلاسفة، ونود فى هذه الفقرة أن نوضح إلى أى مدى أثرت الكتابات الأخلاقية لجالينوس فى أعمال فلاسفة الأخلاق العرب المسلمين، وما طبيعة هذا التأثير، وموقف هؤلاء الفلاسفة من كتابات جالينوس الأخلاقية؟ وكما مر بنا فإن الأخلاق الجالينوسية ذات صبغة أفلاطونية رواقية. ومن هنا يمكن القول إن جالينوس كان واحداً من الطرق التى عرف العرب من خلالها الآراء الأفلاطونية، والرواقية فى الأخلاق، مثلما عرفوا الأخلاق الأرسطية من خلال ترجمة كتاب "الأخلاق إلى نيقوماخوس"(٤٣) ومن الطبيعى أن عدداً ليس قليلاً من الفلاسفة العرب أصحاب النزعات التوفيقية قد تأثروا بكل من الأخلاق الأرسطية والأخلاق الأفلاطونية، بل يمكننا القول إن كثيرا منهم قد تناول الأخلاق الأرسطية عبرتقسيم أفلاطون للنفس، ومن ثم تقسيم الفضائل المرتبطة بقوى النفس المختلفة الشهوانية والغضبية والناطقة، ويمكننا الترجيح أن هذا الفهم الأفلاطونى للفضائل، الذى تسلل إلى شروحهم على الأخلاق الأرسطية جالينوسى المصدر. ونرى من جانبنا أن عرضا موجزا لبعض الكتابات الأخلاقية العربية سوف يساعدنا على فحص هذه الفروض.

---

(٤٢) راجع فالتزر: أضواء جديدة على فلسفة جالينوس الأخلاقية، ص١٦٠-١٦١.

(٤٣) أرسطوطاليس: الأخلاق، ترجمه إسحق بن حنين، تحقيق عبدالرحمن بدوى، وكالة المطبوعات الكويت. انظر تصدير المحقق حول استشهادات الفلاسفة المسلمين بكتاب نيقوماخيا.

لقد حازت كتابات جالينوس الأخلاقية شهرة كبيرة، وعرفت على نطاق واسع، وسرت أفكار وأقوال فاضل الأطباء، الفيلسوف، المنطقى، الأخلاقى جالينوس فى معظم المؤلفات الأخلاقية العربية. فهو من "الكتاب اليونان القلائل الذين يذكرون بالاسم وتنقل عنهم شواهد مطولة"[٤٤].

وأول هؤلاء الفلاسفة الذين أخذوا عن جالينوس فى الطب، والفلسفة، والأخلاق هو الكندى فيلسوف العرب، فإذا تصفحنا قائمة مؤلفاته الطبية، وراجعنا محتوياتها نجد تأثراً بجالينوس، وقد لاحظ إسماعيل حقى ازمير أن الكندى تأثر بالطب اليوناني، وكتاب الأدوية المفردة لجالينوس[٤٥]. ويرى ماجد فخرى أن هناك تياراً أفلاطونيا ملحوظا فى سياق استدلال الكندى يشبه استدلال طيماوس، كما يرد فى تلخيص جالينوس الذى ترجم فى عهد الكندى[٤٦]. وإذا أردنا أن نتوقف أمام الناحية الأخلاقية عند الكندى سنجد أفكاراً عديدة تتلاقى وأفكار جالينوس" خاصة فى رسالة "الحيلة فى دفع الأحزان" الذى عرف طريقه إلى الفلاسفة العرب اللاحقين من خلال الكندى، كما يشير إلى ذلك عدد من الباحثين أمثال: ماجد فخرى فى "الفكر الأخلاقى العربى"، وفالتزر فى مادة "جالينوس" فى دائرة المعارف الإسلامية، الذى يرى أن مسكويه، وابن سينا قد أفادوا من رسائل الكندى خاصة "الحيلة فى دفع الأحزان" ويرجح أن مسكويه ربما نقل شاهد من كتاب الكندى المفقود فى الأخلاق، وأن هذا الكتاب عرفه الغزالى أيضا[٤٧]. ويعرض عبدالرحمن شاه ولى فى كتابه "الكندى وآراؤه الفلسفية" لكثير من أقوال مسكويه التى يذكر فيها طرق معرفة الإنسان عيوبه، وينسبها (أى مسكويه) إلى جالينوس والكندى[٤٨].

---

(٤٤) فالتزر: جالينوس دائرة المعارف الإسلامية، المجلد العاشر،ص٤٤٩.

(٤٥) إسماعيل حقى أزمير، فيلسوف العرب الكندى، نقله عن التركية عباس العزاوى، بغداد، ١٩٦٣، ص٨٦-٨٩.

(٤٦) د. ماجد فخرى: تاريخ الفلسفة الإسلامية، بيروت، ١٩٧٤، ص٤٣٦.

(٤٧) فالتزر: جالينوس، دائرة المعارف الإسلامية: المجلد العاشر.

(٤٨) د. عبدالرحمن شاه ولي: الكندى وآراؤه الفلسفية، منشورات مجمع البحوث الإسلامية، إسلام آباد، باكستان، ١٩٧٤، ص٤٣٦.

ونستطيع أن نتتبع تأثير أفكار جالينوس الأخلاقية المستندة إلى آراء أفلاطون في النفس لدى عددا من الفلاسفة العرب عبر الكندى؛ يمثل الكندى أخذاً عن أفلاطون النفوس بحيوانات، فالقوة الشهوية التى للإنسان مثل الخنزير، والغضبية مثل الكلب، والعقلية مثل الملك، وهذا التشبيه نجده مفصلا عند مسكويه، وأصله موجود لدى أفلاطون. ويخبرنا حسام الدين الألوسى أن هذا التشبيه غير موجود فى الجمهورية، وأن كان هناك صورة قريبة منه فى فايدروس حيث يشبه أفلاطون النفس بمركبة مجنحة، الحوذى فيها هو العقل والجودان هما الإرادة والشهوة أحدهما أبيض مطيع رمز الحاسة، والآخر أسود اللون جامح رمز الشهوة. ولعل من جاء بعد أفلاطون فهم أن الأبيض المطيع هوالكلب والآخر الأسود هوالخنزير، والسائق هو العقل وسماه الملك. ومما له دلالة هنا أن السجستانى فى كلامه عن جالينوس وحكمه يخبرنا أن جالينوس قال: "قياس النفس الغضبية عند النفس الناطقة قياس الكلب عند القناص وقياس الفرس عند الفارس. وهذا مما يتفق وما ذكره جالينوس من أن أفلاطون وصف النفس الشهوانية بسبع ضار"(٤٩).

وإذا كان الكندى اعتمد فى كتاباته الأخلاقية على فكرة قوى النفس، وفضائلها التى تمثل التقليد الأفلاطونى الجالينوسى الأخلاقى فإن الرازى، أبا بكر محمد بن زكريا (٢٥٠ -٤١٥هـ/٨٦٤-٩٢٥م) والذى ينتمى بدوره للتيار الفلسفى الأفلاطوني، والذى لقب بجالينوس العرب، نجده على الرغم من موقفه النقدى من طب جالينوس يتابع أفكاره الأخلاقية. لقد كان الرازى فى الطب أبقراطى المذهب جالونسيه، ولم يمنعه ذلك من نقد صاحبيه عندما رأى موضعا للنقد. وألف كتابا أسماه الشكوك على جالينوس، وهو يعتذر عن مناقضته لرجل له من الاسم والشهرة ما لجالينوس(٥٠). ويعتمد عليه فى

---

(٤٩) د.حسام الدين الألوسى: فلسفة الكندى وآراء القدامى والمحدثين فيه، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٤، ص٢٧٣.

(٥٠) أبو بكر محمد الرازى: رسائل فلسفية مضافا إليه قطعا من كتبه المفقودة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٣، ص، ٥٥.

الفصل الذى تناول فيه دافع الغضب فى كتابه "الطب الروحاني"[٥١].

وللرازى مذهب مشهور فى اللذة أشار إليه فى "الطب الروحانى" وفى كتاب "السيرة الفلسفية"، وجعله أيضا موضوعا لكتابه فى "مائية اللذة" ويتضح لنا أن الرازى تأثر فى قوله فى اللذه والألم بما قاله أفلاطون فى كتابه طيماوس، ولعله لم يرجع إلى ترجمه هذا المصدر مباشرة، بل اقتبس مذهب منه بتوسط جالينوس[٥٢]. والحقيقة أن تمايز موقف الرازى من جالينوس واضحاً تماماً سواء فى مجال الطب، أم الفلسفة، أم الأخلاق على الرغم من أن كلاً منهما يتشابه مع الآخر من حيث أن كلا منهما طبيب من جهه وينتميان إلى التيار الأفلاطونى من جهة ثانية.

والرازى فى كتابه الشكوك يتوقف أمام أفكار جالينوس باعتباره فيلسوفا وينتقده على هذه الأساس ويعرض للقضايا الفلسفية المختلفة التى وردت فى كتبه. وهو يعلم قدر الرجل ومنزلته وتقدمه فى جميع أجزاء الفلسفة" فقد تعلم منه وأفاد من أعماله. وهذا موقف جالينوسى تماما فمن السمات المهمة فى أعماله سمة النقد فصناعة الطب والفلسفة لا يحتمل (فيها) التسليم للرؤساء، والقبول منهم، ولامساهلتهم وترك الاستقصاء عليهم، ولا الفيلسوف يحب ذلك من تلاميذه والمتعلمين منه كما قد ذكر ذلك جالينوس فى كتابه "فى منافع الأعضاء"، حيث وبخ الذينْ يكلفون أتباعهم وأشياعهم القبول منهم بلا برهان"[٥٣].

ويناقش الرازى قول جالينوس بقوى النفس الثلاثة ووظائفها كما جاءت فى كتابة "قوى النفس توابع لمزاج البدن" بقوله : إن من قبل اختلاف أخلاق الصبيان والأطفال أن جوهر النفس منهم مختلف لأنه لو لم يكن جوهر النفس منهم مختلفاً لما كانت أخلاقهم مختلفة حتى يكون بعضهم وقحا وبعضهم حييًا". وهذا فى رأى الرازى غير واجب، ذلك أنه قد يشرب جماعة

---

(٥١) المصدر السابق، ص ١٤٠.

(٥٢) الرازى : الشكوك على جالينوس معهد الدراسات الإسلامية، جامعة طهران ١٤١٣، ص٥٣-٥٤.

(٥٣) الرازى: الشكوك على جالينوس، ص١٠.

من خمرة واحدة فيحدث فيهم عنها أحداث مختلفة بحسب اختلاف طبائعهم. وهذا لايعنى عند الرازى ثبات الطبائع أليس يمكن أن تكون للنفس الشهوانية شهوة الأشياء الجميلة وللنفس الفكرية شهوة الجماع والملاذ. فنحن "نشتهى الرئاسة والغنى ونتشوق إلى اللذات الغائبة عن حواسنا للتصور الفكرى ولذلك فقنا البهائم فى هذه المعانى حتى تسلقنا منها على غاياتها واستخرجنا شجى الألحان ومصب الإيقاعات واستدركنا صنعة ضروب الأطعمة اللذيذة، ووقعنا فى الفسق والإلف، واضطررنا من أجل المنافسة فى هذه الأشياء إلى المحاسبة والقتال، ووقفت لنا من أجل التصور الفكرى النجدة والثبات فى القتال أكثر من جميع الحيوان، وترقبنا أيضا من هذه بالتصور الفكرى إلى تذكر الأحبة والحنين إلى الأوطان والهم والفكرة فيما بعد الموت ولولا النفس الفكرية لأصبنا من هذه بقدر ما يصيب البهائم فقط ولم نتجاوزها فكيف يمكن أن يقال إنه ليس للنفس الناطقة شهوة على الملاذ وهى الباعثة على هذا كله والمستخرجة له"[٥٤].

وينتقد قول جالينوس بان الأخلاق لغير الناطقة، فالأخلاق التى هى افعال الجزء العصبى إنما تهيجها الفكرة والرؤية والأمر فى ذلك ظاهر سيما من الغم "فإنى لا أحسبه لمن لا فكرة له"(ص٢٦) ويرد على قول جالينوس "إن الأطفال والبهائم تغضب وتفزع وتفرح وتحزن وهى لا تستعمل الفكرة" بانها تستعمل الفكرة لأن لديها تصور لما تفزع منه أو تطمئن إليه.. وكيف يجوز أن يقول قائل إنه لا فكر للبهيمة أصلاً مع ما ترى من أفاعيلها العجيبة[٥٥].

والفيلسوف الثالث الذى ينتمى إلى التيارالفلسفى نفسه هو أبوالحسن العامرى (ت ٣٨١هـ) صاحب "السعادة والإسعاد فى السيرة الإنسانية" أهم الكتب الأخلاقية التى تمثل النزعة الإنسانية فى القرن الرابع الهجرى[٥٦]

---

(٥٤) المرجع السابق، ص٦٧-٦٨.

(٥٥) المرجع نفسه، ص٢٧.

(٥٦) أبو الحسن العامرى: السعادة والإسعاد فى السيرة الإنسانية، تحقيق الدكتور أحمد عبدالحليم عطية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩١، ص٥٩، ٦٠، ٩٠.

والذى لا يخلو كتابه من رؤية تجميعية تتآلف فيها أفكار أفلاطون، وأرسطو، وجالينوس، والفلاسفة اليونان من جانب مع الحكمة الفارسية من جانب آخر وذلك في إطار إسلامي جامع.

ويعتمد العامرى على آراء جالينوس فى اللذات والآلام. وذلك فى عرض اللذة، سواء الجسمانية أم النفسانية وأقسامها، وحين يتناول ماهية اللذة، وأنواعها. لقد أفاض العامرى فى الحديث عن اللذة والألم فى النصف الثانى من القسم الأول من كتابه، حيث يخصص له العديد من الفقرات التى توضح لنا موقف جالينوس من اللذة والآلم. فالألم هو خروج البدن عن حالته الطبيعية في زمان يسير وبمقدار كثير، فإن خرج قليلا لم يذكر، وكذل كان خرج كثيراً، ولكن خروجه فى زمان كثير. واللذة هى رجوع البدن إلى حالته الطبيعية فى زمان يسير(٥٧).

وهو ينقل عن جالينوس، ويستشهد بآرائه فى أقسام اللذات: جسمانية ونفسية، والجسمانية أقسام.وفى الأشياء المؤذية (الآلام)، ثم يعرض بعد ذلك للقول فى الحواس، وهل يتفاوت حالها فى الأذى واللذة. ثم يستطرد لبيان "بقية القول فى الأشياء المؤذية"(٥٨). وبعد أن يحدد فى فقرات لاحقة "القول فى ماهية اللذة والأذى" من أقوال جالينوس يعلق على هذه الأقوال بأن ما قاله جالينوس وفرفوريوس، وحكاه أرسطو كالقريب بعضه من بعض من جهة المعنى، وإنما الاختلاف من جهة العبارة، وأن ما فيه من الاختلاف غير بعيد(٥٩).

ونجد استشهادات عديدة من جالينوس مأخوذة من كتاب الأخلاق جاءت بالتفصيل تحت عناوين : فى الفرق بين الغضب والهم. فى الفرق بين الغضب والحرد. فى الحرد ما هو؟(٦٠)، كذلك نجد اسشهادات أخرى مأخوذة من أفلاطون نقلها عن جالينوس مثل: القول فى المسكر وشربه "الذى ذكره

---

(٥٧) المصدر السابق، ص٦٠.
(٥٨) المصدر السابق، ص١٣٧.
(٥٩) المصدرنفسه، ص ١٤٥.
(٦٠) المصدرنفسه، ص١٩٥.

أفلاطون فى النواميس، وذكر عنه جالينوس"[٦١]. وكذلك ماذكره جالينوس فى الكتاب الذى يقول فيه بأن النفس تابعة لمزاج البدن عن أفلاطون: إنه قال ليس ينبغى للقضاة والولاة وجميع من يقصد للمشورة أن يشرب[٦٢].

وحين نصل إلى مسكويه فإننا نصل إلى واحد من أهم فلاسفة الأخلاق الذى قدم العديد من المؤلفات الفلسفية التى ترجع مصادرها إلى أفلاطون، وأرسطو، وجالينوس، والكندي. لقد اطلع على كتابات فاضل الأطباء ورجع خاصة إلى كتاب جاليوس "الأخلاق"، أو أخلاق النفس كما يذكر لنا فى كتابيه الفوز والتهذيب[٦٣]. ويذكر لنا أيضا أنه قرأ "فى تعرف المرء عيوب نفسه"، ونجد ملخصا له فى التهذيب، بالإضافة إلى كتبه الطبية مثل: "كتاب التشريح وكتاب منافع الأعضاء"[٦٤].

ويحدد لنا كراوس فى عدد من أبحاثه علاقة مسكويه بجالينوس، فى مقدمة نشرته لمختصر كتاب الأخلاق، يوضح أهميته بالنسبة للمصادر التى استقى منها مسكويه أصول تفكيره الأخلاقى[٦٥]. وفى "رسائل الرازى الفلسفية" يبين اهتمام مسكويه بالرازى خاصة فى : رسالة الطب الروحاني"، و"رسالته فى اللذة"، "ورسالته في اللذات والآلام"[٦٦]. وهو مثل جالينوس فى الطب النفسانى لايضع طبه لكل الناس لأن نفوسهم تختلف وتتباين[٦٧].

---

(٦١) المصدر السابق، ص٣٦١.

(٦٢) الموضع نفسه.

(٦٣) مسكويه: تهذيب الأخلاق، نشرة قسطنطين رزيق، الجامعة، الأمريكية، بيروت، والفوز الأصغر، تحقيق د. صالح عضيمة، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨٧، ص٩٥.

(٦٤) د. عبدالعزيز عزت: (ابن) مسكويه فلسفته الأخلاقية ومصادرها، مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر، القاهرة، ١٩٤٦ ص٩٦. مسكويه: الفوز الأصغر، ص١٢٢.

(٦٥) كرواس : مقدمة نشرة مختصر كتاب الأخلاق لجالينوس، ص٦٤.

(٦٦) مسكويه: من رسالة فى اللذات والألم. نشرة د. عبدالرحمن بدوى فى : دراسات ونصوص فى الفلسفة وتاريخ العلوم عند العرب، بيروت، ١٩٨١ ص٩٨-١٠٤. ورسائل الرازى الفلسفية، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٣، ص١٤٤.

(٦٧) د. عبدالعزيز عزت، مسكويه فلسفته الأخلاقية ومصادرها، ص٣١٦.

ويبدو أنه شغل بموضوع تعرف الإنسان عيوب نفسه، وخالف جالينوس فى ذلك، فهو يرى "أن الانتباه هو وسيلة استقصاء الإنسان لعيوب نفسه حتى يمكنه أن يبتعد عنها ويقومها، وأن هذه العيوب لا يمكن أن تخفى عليه كما يعتقد جالينوس(٦٨). وتتشابه آراؤهما فى مسألة إمكانية اختيار الإنسان صديقا ليكون وسيلة صادقة توضح له عيوبه. ويرى مسكويه أن مثل هذا الصديق الذى ينصح به جالينوس متعذر غير موجود ولا مطموع فيه، ولهذا ينصح أن يسعى الإنسان إلى توجيه انتباهه إلى إستغلال العدو فى معرفة عيوب نفسه. وهذه الأفكار تتشابه مع ما جاء فى كتاب جالينوس "إن خيار الناس ينتفعون بأعدائهم"، ويوضح لنا عبدالعزيز عزت عدداً من المواضع فى "تهذيب الأخلاق" مقارنة بمثيلاتها فى كتب جالينوس ليبين التشابه بينهما(٦٩) مؤكداً أن جالينوس أحد المصادر التى استقى منها صاحب تهذيب الأخلاق بعض أفكاره الفلسفية(٧٠) وهذا ما يشير إليه دى بور(٧١) وإن كنا نرجح مع فالتزر أن مسكويه استمد كثير من هذه الأفكار من خلال الكندى(٧٢).

---

(٦٨) المصدر السابق ص٣٢١.

(٦٩) راجع المصدر السابق، صفحات ٣٦٦، ٣٧٣، ٣٧٤، ٤١١.

(٧٠) يتناول مسكويه فى بداية المقالة الثانية من كتابه (الخلق وتهذيبه والكمال الأنسانى وسبيله)، (وتعريف الخلق، هل يمكن تغيره بالتهذيب (ويعرض لكثير من الاراء، وموقف جالينوس منها ورفضه لبعضها، ص٣١-٣٣، وفى حديثه عن (كمال الإنسان ليس فى اللذات الحسية) من نفس المقالة، يعرض رأى جالينوس فى كتابه أخلاق النفس ص ٤٤ -٤٦، وفى المقالة السادسة (صحة النفس: ضغطها وردها) يناقش رأى جالينوس فى "تعرف المرء عيوب نفسه "يقول: " ويجب على حافظ الصحة على نفسه أن يتطلب عيوب نفسه باستقصاء شديد، ولا يقنع بما قاله جالينوس فى ذلك.. وبعد أن يعرض رأى جالينوس يرى أن ؛هذا الذى أشار به جالينوس (الصديق الناجح) معوز غير موجود لا مطموع فيه، ولعل بخبر فيها أن أخيار الناس ينتفعون بأعدائهم، وهذا صحيح لايخالفه فيه أحد (ص١٩٠)، وراجع أيضا تعليقات قسطنطين زريق، ص٢٢٥، وص٣٣١.

(٧١) دى بور: تاريخ الفلسفة فى الإسلام، ص١٥٩، ١٦١.

(٧٢) انظر فى ذلك فالتزر: دائرة المعارف الإسلامية، مادة جالينوس، وعبدالرحمن شاه ولى ص٤٣٦، وحسام الدين الألوسى، ص٢٧٣، وتهذيب الأخلاق، ص٢١٩ وما بعدها.

وتوضح الكتابات الأخلاقية للفلاسفة السابقين : موقفاً متميزاً يسعى إلى صياغة رؤية أخلاقيــة إنسـانية لا تعتمـد فقط علـى مصـدر فلسـفى، أو دينـى بعينه، ولا تكتفى بفيلسوف يونانى مفـرد كـأفلاطون، أو أرسطو بـل تضيـف إلـى كـل منهمـا جـالينوس، وتضيـف للفلسـفة اليونانيـة، الحكمـة الفارسـية، والشريعة الدينية لتقدم لنا رؤيتها الأخلاقية. وبالإضافة إلى هذا الموقـف نجـد أبا سعيد عبيد الله جبرئيل بن بختشيوع يقدم لنا اتجاهاً جديداً متفرداً يمكن أن نطلـق عليـه "الأخـلاق الطبيـة السيكولوجية" فـى كتابيـه "رسالة فـى الطـب والأحداث النفسانية"، و"الروضة الطبية".

يتخذ عبيد الله بن بختشيوع[٧٣] موقفاً من جالينوس فهـو أحيانـا يعتمـد عليه اعتماداً كاملا كما فى كتابه "الروضة الطبيـة" حيث نقـل عنـه تعريـف الأخلاق[٧٤]. وتعريف الغضب والحرد[٧٥] وغيرها من تعريفـات[٧٦]. وأحيانـا أخرى ينتقده. لقد رحب ابن بختشيوع بالنقد الذى وجهه جالينوس إلـى أفكـار أفلاطون الطبية، نظراً لأنه ينادى بفصل الطب عن الفلسفة، ونحن نجـد لـدى

---

(٧٣) هو أبو سعيد عبيد الله بن جبريل بن بختشـيوع، من أسـرة طبيـة شـهيرة يذكـر لنـا حنين بن إسحق أنه ترجم لأفرادها العديد من كتب جالينوس فى الطب فى رسالته إلى على بن يحيـى فـى ذكـر مـا ترجـم مـن كتـب جـالينوس، راجـع الرسـالة فـى بـدوى: دراسات ونصوص صفحات ١٥٠، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٥، ١٧٦ وقد ذكر أوليرى مدى اهتمـام جـبرئيل بـن بختشـيوع بكتـب جالينوس فى الطب، راجع أوليري: علوم اليونان وسبل انتقالها إلـى العرب، ترجمـة وهيب كامل، النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٢ ص٢١٩. وقد درس جبرئيل وحقق كما يذكر لنا ابن أبى أصيبعة تاريخ ميلاد جالينوس بواسطة التقويـم الميـلادى، وفنـد القول بأن جالينوس عـاصر السيد المسيح. ومـن مؤلفـات أبـو سـعيد عبيـد اللـه بـين جبرئيل: تفسير لكتاب تحريم دفن الأحياء، كتاب فى طـب الأخـلاق، كتـاب فـى طـب النفس ومداوة الأخـلاق، وجـوب النظـر علـى الطبيـب فـى الأحـداث النفسـانية وكـون العشـق مرضـا ، وقـد نشـر فليكس كلايـن فرانكـة، دار المشـرق، بـيروت ١٩٨٦، والروضة الطبية، نشرة الأب بولس شباط، المطبعة، الرحمانية بمصر ١٩٢٧.

(٧٤) ينقـل لنـا فـى كتـاب الروضـة الطبيـة فـى البـاب الثـامن عشـر فـى "مـا النفس؟" تعريـف جالينوس للنفس كما جاء فى مقالته بأن النفس تابعـة لمـزاج البـدن، ص٣١، وينقـل البـاب السادس والعشرين فى "ما الخلق؟" نقلا حرفيا ، تعريف جالينوس للأخلاق ص٤٢-٤٣.

(٧٥) وفى الباب السابع والعشرين ينقل لنا تعريف جالينوس للغضب ٤٣-٤٤.

(٧٦) وكذلك تعريفه للإبصار ص٧٠ وللصوت ص ٧٠، ٧١.

جالينوس العديد من الحجج الفلسفية، فقد انتقده ابن بختشيوع كذلك. وقد ظهر نقده لجالينوس قبل ظهور انتقادات جالينوس لدى العلماء المسلمين بمائة عام.[٧٧] وأحيانا ثالثة يطور أفكاره في الطب النفسي، ويؤسس عليها مذهبا أخلاقيا كما فى "رسالته فى الطب والأحداث النفسانية". حيث يعلى عبيد الله من شأن الطبيب الفيلسوف والسيكولوجي، ويطلق عليه "الجليل جالينوس"[٧٨] ويوضح محقق رسالة أبى سعيد عبيد الله أن جالينوس أول من أجرى تجارب فى علم النفس، وإن كان لم يقم بنصف ما قام به ابن بختشيوع فى هذا المجال. يقال إن جالينوس قام بتجارب على امرأة كانت تعشق أحد الفنانين، وتوصل إلى النتيجة القائلة بأن هذه المرأة تعانى عشقا شديداً، ولكن ذلك دون مرض فى بدنها، وهذا ما يدل على أن جالينوس لم يكن يعرف العلاقة القائمة بين النفس والجسم، وعلى العكس من ذلك، فقد أدرك ابن بختشيوع أنه ليس من الممكن أن يكون الجسم سليما إذا كانت النفس مريضة، وهو أول من تعرف على انسجام النفس والجسد. ويقول ابن بختشيوع : بأن كل مرض نفسانى "هو مرض جسمانى فى آن واحد ويعتمد فى ذلك على النتائج التى توصل إليها جالينوس بأن السهر يعرض لسبب الغم. وبرهان ذلك أن جالينوس قد كان يعلم أنه يوجب سبب نفسانى للمرض الجسمانى. ولكن يعسر البرهان على ذلك الأرتباط السببى بين النفس والجسم[٧٩] ويورد لنا فصلا كاملا من المقالة الثامنة من "آراء أبقراط وأفلاطون" مما يوضح أن هذا الكتاب عرف وترجم إلى العربية[٨٠]. ليناقش قضية أن المتشاغل بالعلوم المنطقية لا يمكنه تدريس الكتب الطبية إلا بعد مخالطة الأطباء، وتدربه بتجربات الأعمال الصناعية. ويؤكد على ذلك بما جاء فى مقالة جالينوس "فى الأسماء الطبية"[٨١].

وما يهمنا فى رسالة عبيدالله بن جبرئيل هو ما جاء فى الفصل الرابع عن مناقضة من زعم أنه لا يجب على الطبيب النظر فى الأحداث النفسانية،

---

(٧٧) انظر مقدمة فليكس كلاين فرانكه لنشره رسالة فى الأبحاث النفسانية، ص١٤.
(٧٨) أبو سعيد عبيد الله بن بختشيوع، المصدر السابق، ص٢٢.
(٧٩) المصدر الصابق، ص١٦-١٧.
(٨٠) المصدر السابق، ص ٢٥-٢٦.
(٨١) نفس المصدر، ص٢٧.

وبيان وجوب ذلك، حيث يعرض لشرح جالينوس الفصل السادس من "ابيذيميا" فى المقالة السابعة من تفسيره لها موضحا "أن جالينوس قد أغنى فى هذا التفسير والشرح عن إقامة البرهان فى وجوب النظر فى أمر الأحداث النفسانية على الطبيب...[٨٢] وكتاب جالينوس فى "آراء أبقراط وأفلاطون" خاص بهذا المطلب لأنه قد دل فيه على مواضع قوى النفس، والأخلاق، وهذه الترجمة توبخ المنكر لكمال صناعة الطب، لأنه ذكر آراءهم فى أمور النفس لا فى غيرها، وجالينوس يقول فى هذا الكتاب فى عدة مواضع إن النظر فى الأمور النفسانية ملزم الأطباء ضرورة [٨٣].

أما الكتب التى توضح هذا المعنى فيما يرى ابن جبرئيل" فهى كتاب أبقراط "فى تقدمه المعرفة" بتفسير جالينوس، وكتاب "الأهوية والبلدان" فإنه قد خصص فيه الكلام على الأخلاق والسجايا، وبين كيف تتغير أحوال النفس بحسب البقاع والأهوية، وذكر اختلاف الخلق والأخلاق، ويرى أبو سعيد أن أحدا لا ينكر أن أبقراط طبيب، وأن لا أحد ممن أتوا بعده أنكر عليه كلامه فى الأخلاق والأحداث النفسانية [٨٤] ومن هنا يمكن، بل يجب ضرورة أن تتأسس الأخلاق والدراسات النفسية على الطب. ويستشهد على ذلك بما جاء فى كتاب أبقراط أبيذيميا وشرح جالينوس له، يقول: "أى خلق خرج فإنما سبب خروجه تغير مزاج البدن وتغير المزاج مرض، وأحق الناس بالنظر فى ذلك الطبيب، والفلاسفة مقرون بذلك، أعنى أن الأطباء أحق بالنظر فى الأخلاق. ويعتمد فى الدليل على ذلك بكتاب جالينوس "أن أخلاق النفس تابعة لمزاج البدن"[٨٥] ويعرض لنا أحد فصول هذا الكتاب يدلل فيه دلالة بينه على أن جميع الأخلاق، والأحداث النفسانية ينتفع بها التدبير الطبى، ويمكن أن يزاد وينقص بالأغذية، والأشربة، والبقاع، والأهوية، ويداوى ما خرج منها عن الأمر الطبيعي[٨٦].

---

(٨٢) نفس المصدر، ص ٣١.
(٨٣) نفس المصدر، ص ٣٣.
(٨٤) المصدر السابق، ص٣٢.
(٨٥) المصدر السابق، ص٣٤.
(٨٦) نفس المصدر، من ص ٣٨ حتى ٤١.

ثم يعرض لقضيته الأساسية التى يرجع فيها الحالات الشعورية إلى البدن فى الفصل الخامس تحت عنوان (فى الرد على من أنكر كون العشق مرضاً)، وهو يؤسس ذلك على تقسيم أفلاطون للنفس إلى: ناطقة، ويختص بها الدماغ، وغضبية ويختص بها القلب، وشهوية، ويختص بها الكبد، وهو ما أورده جالينوس "فى آراء أبقراط وأفلاطون"، وأكد عليه فى "كتاب الأخلاق"، ليبين أن الأفراط فى اللذة مرض من قبل الشهوة، والشبق[٨٧]، وقد ذكر هذا جالينوس فى المقالة الحادية عشرة من كتاب "البرهان"[٨٨]، وقول جالينوس شاهد بأن اسم العشق، عند اليونان هو اللذة المفرطة والشبق، والنتيجة التى يؤكدها، وتتفق مع غرضه من رسالته، والمبنية على قول جالينوس أن جميع الأحداث النفسانية تابعة لمزاج الأعضاء الرئيسة، كما يرى أبو سعيد "وجب على ما برهنه جالينوس أنه لم يحدث هذا الخلق السيئ إلا من قبيل سوء مزاج حدث للأعضاء الرئيسة، وسوء المزاج مرض لا محالة والعشق عارض مع سوء المزاج، وهوعلى مذهب أفلاطون داخل فى باب "الأخلاق"[٨٩] وينقل لنا فصلا من شرح جالينوس لكتاب أبقراط "تقدمة المعرفة"[٩٠] ويقدم لنا نماذج، وأمثلة من الأطباء توضح العشق، وتشخيصه، وعلاجه منها ما ذكره جالينوس فى كتاب خاص عنوانه "فى نوادر تقدمه المعرفة"[٩١] ومنها ما جرى لتياذوق مع الحجاج بن يوسف[٩٢]. وليؤكد لنا فكرته الجوهرية، وهو أن العشق أو الشهوة المفرطة مرض ناتج من تغيرات تحدث فى البدن، وأن معرفة ذلك وإدراك هذا السلوك، وتغيره، وتبديله من مهام الطبيب، وأن دوره فى الفحص عن أسباب الأخلاق، وعلاجها هو من أخص وظائفه، فالأخلاق مبنية على علم وظائف الأعضاء، ومؤسسة على المعرفة الدقيقة بالطب.

---

(٨٧) نفس المصدر، ص ٤١-٤٢.
(٨٨) نفس المصدر، ص ٤٨.
(٨٩) نفس المصدر، ص٥٦.
(٩٠) المصدر السابق، ص٥٧-٥٨، ٥٩.
(٩١) المصدر السابق، ص٥٩.
(٩٢) المصدر نفسه، ص٦٠ وينقل لنا ما كتبه فى هذا المجال فولوس فى المقالة الثالثة من كتابه فى الباب السابع عشر، وما قاله إسحق بن حنين، فى كتابه، وابن مندويه الأصفهانى فى كتابه المعروف بالمغيث، والرازى فى الطب الروحانى، ص٦١-٦٤.

تعقيب :

تلك النماذج التى أوردناها توضح لنا معرفة العرب بأخلاق جالينوس واعتمادهم على كتاباته المختلفة فى هذا المجال، وهى الكتابات التى تؤسس الأخلاق على الطب. وهذا يعنى أن الأخلاق وجدت ليس فقط ناقلين ومترجمين أو شارحين ومفسرين، بل صياغات عربية متعددة مزجت الأخلاق الأفلاطونية والرواقية والجالينية، وقدمت منها صورة متميزة للأخلاق الأرسطية التى نهل منها العرب وعرفوها وترجموها وتشهد نصوصهم المختلفة بمعرفتهم لهذه الأخلاق، كما أوضح لنا محقق الترجمة العربية لكتاب "الأخلاق إلى نيقوماخوس". مما يجعلنا نقول أن تعامل الفلاسفة العرب المسلمين مع أخلاق جالينوس كما فى تعاملهم مع كتاباته الأخرى: الطبية والمنطقية قد قدموا لنا تياراً الفلسفة اليونانية : الأرسطية والأفلاطونية، وأنهم فى تبنيهم للأرسطية أتخذوا من جالينوس موقفاً نقدياً، وحين مالوا إلى أفلاطون أقتربوا وتبنوا فلسفة جالينوس وعلمه الطبيعى ومنطقه ونظريته الأخلاقية.

الفصل الخامس

جالينوس فى الدراسات المعاصرة

تمهيد :

لم يشغل فاضل الأطباء العالم القديم اليونــانى الرومـانى فقط ولا عـالم الحضارة العربية الإسلامية التى انتقل إليهـا العلم والفلسفة "من الإسـكندرية إلى بغداد" بل وبفضل الحضارة العربية الإسلامية وجهود علمائها وفلاسفتها دفع بالعلم والفلسفة إلى العصور الحديثة، وظلت كتابات ونظريات جـالينوس مستمرة وتأثيرها باقياً حتى اليوم وذلك علـى مستويين، مسـتوى تـاريخ علـم الطب ومستوى الفلسفة ونظرياتها المختلفة فى : النفس والأخـلاق والفضـائل الانسانية. ومهمتنا فى هذا الفصل تتبع أفكار جالينوس وكتاباته واستمراريتها حتى العصر الحديث والجهود المتعددة التى تعاملت مع اعمال جـالينوس فـى العصر الحالى، وذلك عبر ثلاثة محاور هى :

١- نشر وتحقيق كتاباته المختلفة سواء بالعربية أو غيرها من لغات.
٢- الدراسات حول جهوده الطبية.
٣- الدراسـات المتنوعـة حـول جـالينوس فـى الفلسـفة والأخـلاق والعلـوم الإنسانية.

أولاً : الجهود الحديثة فى نشر وتحقيق أعمال جالنيوس :

أشرنا فى الفصل الأول من هذا البحث إلى المواقف المختلفة من طـب جالينوس، وقـد اتخـذت شـكلا تاريخيـاً الأول هـو الترجمـة ويمثلـه حنيـن بـن اسحق والثانى عند المتابعين له خاصة لدى على بن رضـوان، والثـالث لـدى الناقدين لدى ابن رشد.

(١) ويمكن أن نشير فى هذا السياق، "تطور الدراسات الجالنيوسـنيه" إلـى مـا أوردته ايمان محمد عبدالقادر فى بحثها المقارن عن جالينوس من خـلال

نقل الترجمات العربية لنصوصه اليونانية إلى اللاتينية منذ قسطنطين الافريقى (ت٤٨٠هـ-١٠٨٧م) وأول ترجمة لاتينية لجالنيوس ١٤٩٥م ثم عام ١٥٤١م مروراً بترجمة كونراد جيسنر Conral Gesner فى منتصف القرن السادس عشر الميلادى، وبالنسبة للنصوص اليونانية لجالنيوس فقد نشرت اربع مرات اثنين دون ترجمات لاتينية ومرتين مع ترجمات لاتينية. الأولى ١٥٢٥م فى خمسة مجلدات والثانية ١٥٣٨م ثم طبعه فى ثلاثين مجلداً بباريس ١٦٧٩م تحتوى على أعمال ابقراط وجالنيوس قام بها رينيه كاريتيه.

وأهم هذه النشرات ما قام به كارل جوتلوب كين C.G. Kuhn فى ٢٢ مجلد بعنوان Claudu Galeni Opera Omnia وظهرت منذ ١٨٢١ حتى ١٨٣٣ وهى من اكمل النشرات لاعمال جالنيوس اليونانية مع ترجمات لاتينية.

وهناك نشرة ثانية لبعض كتابات جالنيوس اصدرها كل من ج. موللر، وج. هيلمرش فى ليبزج ١٨٨٤ - ١٨٩٣ فى ثلاثة مجلدات بعنوان Claudu Galen Pergameni Scripta Minora هذا بالاضافة إلى نشرات متعددة لاعمال منفردة لجالنيوس مثل اصدار دى لاسى Ph. De Lacy لكتاب فى آراء أبقراط وأفلاطون De Platitis Jippocratis Platonis ضمن سلسلة Corpus Medicarum Graecarum.[1]

(٢) ويمكننا أن نشير إلى كتابات جالنيوس فى العبرية خاصة دراسة ريتشارد فالترز Calen on Jeiws and Christians لندن ١٩٤٩ وليبر E. Lieber "جالنيوس فى العبرية : نقل أعمال جالينوس فى العالم الاسلامى الوسيط "اعداد ف.نوتن V. Nutton. فقد بدأت ترجمات جالنيوس إلى العبرية منذ القرنين الثالث والرابع عشر الميلاديين وكانت فى الغالب

---

(١) راجع ايمان عبدالقادر : دراسة مقارنة لفكر جالينوس الأخلاقى فى المصادر اليونانية والترجمات العربية، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب القاهرة ص ٦-٧-٨.

الاعم عن العبرية وليس عن اليونانية، ومن اهم النقلة اليهود شمشون بن شلومو Shimshon ben Sholomo. وهناك عدد كبير من الفلاسفة اليهود اخذو عن جالنيوس سواء من العربية مباشرة أو عن ترجمات اعماله إلى العبرية مثل : ابن جبيرول (ت ٤٥٠هـ) فى كتابه "اصلاح الأخلاق" وموسى بن عيوزا" وموسى بن ميمون، الذى سبق أن أشرنا إلى موقفة من جالينوس – فى الفصل الأول – وابن كمونه (ت٦٨٣هـ) فى كتابه "الجديد فى الحكمة". وتشير إيمان عبدالقادر إلى جهود هؤلاء وتورد لنا نصوصهم فى العربية التى تنقل عن جالينوس.(٢)

(٣) والجهود العربية فى نشر وتحقيق اعمال جالنيوس تحقيقاً علمياً قام بها المستشرقون والاساتذة العرب وفى مقدمة هذه الجهود تحقيقات د. محمد سليم سالم.(٣) فقد عنى اساتذة الجامعات المصرية بنشر مخطوطات جالنيوس وفى مقدمتها "مختصر كتاب الأخلاق" الذى نشره كراوس.(٤) كما نشر كل من كراس وفالترز جوامع كتاب طليماوس، ونشر ريتشارد فالترز النص العربى لكتاب التجربة الطبية مع ترجمة انجيلزية وتعليقات. وصدر عن جامعة لندن(٥). ونشر كلا من فرنكة مقالة جالنيوس فى العادات عام ١٩٧٩. واورسولا فاير كتاب جالنيوس المولودين لسبعة أشهر فى مجلة تاريخ العلوم عند العرب، معهد حلب، المجلد السابع ١٩٨٣.(٦)

---

(٢) المصدر السابق صفحات ٢٢٢ حتى ٢٣٦.

(٣) يستحق د. محمد سليم سالم ١٩٠٤-١٩٩٣ دراسة تحليلية لجهوده التحقيقية للبتراث العلمى والطبى اليونانى فى الحضارة العربية. فقد قام بدور هام فى تحقيق عدد من الأعمال الهامة مثل منتخبات الاسكندريين وشروح ابن رشد على أرسطو راجع عنه، أوراق كلاسيكية، العدد الرابع، ١٩٩٥ ص٧١-٨٣.

(٤) راجع ما ذكرناه عن تأثير تحقيق كراوس لمختصر كتاب الأخلاق لجالينوس فى الكتابات العربية المعاصرة، فى الفصل الرابع من كتابنا الحالى.

(5) Galenon Medical Experience, the arabic version with Enflish Irans and Nots by R. Wfalzer. Oxford Uni. London.

(٦) مختصر كتاب جالينوس فى المولودين لسبعة أشهر لثابت بن قرة الحرانى، اورسولا فاير، مجلة تاريخ العلوم عند العرب، حلب المجلد السابع العدد ١، ٢ عام ١٩٨٣.

وتحتاج تحقيقات د. محمد سليم سالم الاشارة حيث اصدر بمفرده ما يقرب من ثلث منتجات الاسكندرانين لاعمال جالنيوس وهى على التوالى :

- كتاب جالينوس فى فرق الطب للمتعلمين ١٩٧٨[٧]
- كتاب جالينوس إلى غلوقن فى التأتى لشفاء الأمراض ١٩٨٢.[٨]
- كتاب جالينوس إلى طوثرن فى النبض للمتعلمين ١٩٨٦.[٩]
- كتاب جالينوس فى الاسطقسات على رأى أبقراط ١٩٨٧.[١٠]
- كتاب جالينوس فى الصناعة الصغيرة ١٩٨٨.

وكلها صادرة عن مركز تحقيق التراث بالهيئة المصرية للكتاب بالقاهرة. يضاف إلى ذلك التحقيقات المتعدد لتلخيص ابن رشد لرسائل

---

(٧) يمتاز تحقيق د. سليم سالم لهذا العمل وغيره بالتعليقات المستفيضة بالعربية واليونانية على النص وبالمقدمة الواضحة التى تضعه فى سياق من اعمال جالينوس اعتماداً على مصادر العلم العربى وعلمى اشارات المؤلف فى فهرست كتبه، ومراتب قراءة كتبخ ويذكر لنا المخطوطات الثلاث التى اعتمد عليها اضافة إلى النص اليونانى الذى حققه هيلمريش Helmreich وكذلك طبعة كين. راجع مقدمة المحقق ص٥-٧.

(٨) يعد كتاب جالينوس إلى غلوقن فى التأتى لشفاء الأمراض العمل الرابع من جوامع الإسكندرانيين وهو عمل ضخم مكون من مقالتان يقع فى ٥٦٥ صفحة مع مقدمة وفهارس بالاضافة لتعليقات المحقق التى توازى تقريباً نصف العمل. وقد حققه سليم سالم العمل عن سبع مخطوطات بالاضافة إلى عدد من الشروح خاصة شرح على ابن رضوان له وللصناعة الصغيرة وتلخيص الرازى صلة البراء. والعمل كما يخبرنا المحقق هو تلخيص وشرح حنين لكتاب جالينوس. مقدمة المحقق ص هـ.

(٩) وهذا العمل مقالة واحدة غرضه فيها أن يصف ما يحتاج المتعلم إلى عمله من أمر النبض ويعدد فيه أصناف النبض كما يخبرنا حنين بن اسحق فى رسالته عن ما ترجم من كتب جالينوس بعلمه وبعض مالم يترجم.

(١٠) هو الكتاب الخامس من منتخبات الإسكندرانيين، ويخبرنا المحقق انه ليس لأبقراط كتاب عنوانه فى الاسطقسات الا أن كتابه فى طبيعة الإنسان هو الذى تحدث فيه عن هذه العناصر الأول. وهذا الكتاب هو مرجع جالينوس فى بيان آراء جالينوس فى هذا الموضوع. وكان هذا الكتاب من بين الكتب الستة عشر التى لابد من دراستها دراسة وافية يسمح لأحد من العالم العربى بمزاولة مهنة الطب، تصدير المحقق ص٣

جالينوس الطبية خاصة تحقيق سعيد زيدان والادب جورج قنواتى

ثانياً : الاهتمام بأعمال جالنيوس الطبية :

ويرتبط بالجهود السابقة فى نشر وتحقيق أعمال جالينوس الاهتمام بكتاباته الطبية ونشر نصوصه المختلفة فى الطب، حيث أفردت الدوريات العلمية وكتب تاريخ الطب أجزاء كبيرة للحديث عن أعمال الطبيب اليونانى وتأثيره فى العالمين القديم والوسيط.

ومن هذه الجهود نشير إلى ما كتبه أى. دى. فيليب E. D. Phillips فى الفصلين الثامن والتاسع من كتابه "مناحى الطب اليونانى" A Spects of Greek Medicine مطبوعات تشارلز فيلا ليفيا حيث يعرض لجالينوس (ص١٧٢-١٨١) الطب الاغريقى (١٨٢-١٩٦).[١١] وكذلك ما قدمه م. اولمان فى الجزء الثانى من Surveyes Islamic عن الطب الاسلامى حين يعرض للأعمال الطبية اليونانية.[١٢] ودراسة وترجمة ميشيل و دولز Michael W. Dals عن الطب الاسلامى الوسيط وكتاب على بن رضوان "الامراض الوافدة بأرض مصر" حيث يخصص الدراسة الأساسية فى تقديمه للحديث عن الجالنيوسية.[١٣]

ويتابع جوتهارد شتروهيمر G. Strahmaier أعمال جالنيوس فى العربية. فإذا ما عثر على نص جالنيوس فينشر ضمن سلسلة Corpus Medicarum Graeevorum ويمكننا مراجعة جهوده فى دراسته Galen of Pergamon in Arabic and The editorial Program of The Corpus Medicorum Graecrum in Craeco - Arabica, 1993. وقد قدم ج. اس.

(11) E. D. Phillip; Aspects of Greek Medicine, the CHARLES press, publishers, philadelphia, P. 172-196.

(12) Manfred ullmann : Islamic Surveyps II Islamic Medicine, P. 8-15.

(13) Michael W. Dols : Medieval Islamic Medicine, Uni., of califarnia pres. P. 3-24.

ويلكى J. S. Wilkie و ج. اى. ار الويد G.E.R. Eloyd فى دراستهما للنسخة العربية لكتاب جالنيوس فى الفرق فى العدد ٩٨ من جريدة الدراسات الهلينية ١٩٧٨ تحليل للترجمة العربية ودقتها لنص جالنيوس. ونفس الأمر بالنسبة لكتاب جالنيوس الصناعة الصغيرة Ars Parva من أجل توثيق النص اليونانى.

ثالثاً : الدراسات المعاصرة فى فكر جالينوس الفلسفى والأخلاقى لجالنيوس:

نتناول فى هذه الفقرة مجموعة من الدراسات التى تدور حول جهود جالينوس الفلسفية. وهى دراسات متنوعة تاريخية، ببلوجرافية، فلسفية تتناول على التوالى جهود جالينوس وأعماله فى الحضارة اليونانية الرومانية القديمة أو لدى العرب أو فى اليهودية أو انتقالها إلى العصر الحديث من جهة، ومن ناحية أخرى دراسات حول افكار جالينوس ونظرياته الفلسفية والأخلاقية فى النفس والفضائل والخير والشر. وغيرها من مجالات علمية وأدبية اهتم بها فاضل الأطباء جالينوس وسوف نبدأ بالدراسات المقارنة التى تتناول جهود الطبيب الفيلسوف فى حضارتين.

الدراسات المقارنة :

(١) فكر جالينوس الأخلاقى فى المصادر اليونانية والترجمات العربية. وهى دراسة الباحثة إيمان محمد حامد التى انجزتها عام ١٩٩٧ وهى بحث مقارن فى فكر جالينوس الأخلاقى فى مصادره اليونانية القديمة وفى الحضارة العربية من خلال ما تم من ترجمات متعددة لأعماله وتمتاز الدراسة باعتمادها على المصادر الأصلية المختلفة الطبية والفلسفية فى اللغة اليونانية والانجليزية والعربية وكونها جمعت أكبر قدر من النصوص الجالينية فى هذه اللغات. وتمثل هى ودراسات أخرى فى نفس المجال تيار متميز للدراسات المقارنة له حضور قوى فى آداب القاهرة.

وتتكون الدراسة من بابين وملحق يقع الباب الأول "المصادر" فى ثلاثة

فصول : الأول جالينوس فى التراث الاغريقى الرومانى والثانى جالينوس فى التراث العربى، لدى المترجمين وعند حنين بن اسحق ثم لدى المؤرخين وكتاب السير، والفلاسفة وعلماء الأخلاق والأطباء. والفصل الثالث، الكتب والشذرات الباقية فى التراث العربى لفكر جالينوس الأخلاقى، التى وصلت إلينا مصادرها اليونانية، والمقتطفات الموجودة عن كتاب الأخلاق وأخيراً النقول التى وردت للفكر الأخلاقى عند جالينوس.

وتتناول الباحثة فى الباب الثانى الاطار العام لفكر جالينوس الأخلاقى فى فصول ثلاثة أولها جالينوس والفلاسفة اليونان فتعرض لأفلاطونية جالينوس وأرسطيته ورواقيته. والفصل الثانى جالينوس الطبيب أخلاقياً، فتتحدث عنه طبيباً مشخصاً للأمراض، وطبيباً فيلسوفاً، ثم تأثيره فى التراث العربى خاصة لدى كل من : الفارابى، الرازى، الشهزورى، عبداللطيف البغدادى، الرهاوى، ابن ميمون، الطبرى. والفصل الثالث. والأخير لجالينوس، والنفس حيث تفيض فى عرض طبيعة النفس وعلاقتها بالبدن وخلودها وعناصرها المختلفة وتأثير آراء جالينوس عن النفس عند الفلاسفة المسلمين : الكندى، ومسكويه، الغوالى، البيهقى والطبرى والرهاوى. ويشمل الملحق قائمة بأعمال جالينوس المختلفة باليونانية واللاتينية والعربية.

والعمل فى مجمله يندرج فى اطار الدراسات المقارنة فى الحضارتين اليونانية والعربية، ويستخدم فى بعض الأحيان المنهج التاريخى التحليلى القائم على التأثير والتأثر بالإضافة للمنهج المقارن الذى يسرى على امتداد صفحات البحث. وتخرج الباحثة بنتائج هامة عن دور التراث العربى فى حفظ كثيراً من النصوص التى فقد أصلها اليونانى من هذا التراث للثقافة.

(٢) "علم البيلوجرافيا عند العرب" وفيها يسعى الباحث إلى بيان دور جالينوس فى نشأة علم الببليوجرافيا عند العرب. فقد تناول د. عبدالستار الحلوجى فى دراسته "نشأة علم الببليوجرافيا عند المسلمين" الجهود

المختلفة السابقة على عمل ابن النديم "الفهرست" وذكر منها جهود جابر ابن حيان وجهود حنين بن اسحق فى بيان أعمال جالينوس وما ترجم منها إلى العربية[١٤]. وقد أشار د. بدوى فى دراسته "الترجمة الذاتية فى العربية"[١٥] إلى المصادر اليونانية والفارسية لهذا الفن وأوضح مثال للمصدر اليونانى هو جالينوس الذى كتب كتابين عن حياته ومؤلفاته عرفها العرب معرفة جيدة وقد تأثر بهذا المثال كل من حنين بن اسحق وأبوبكر الرازى فى سيرته الفلسفية والحسن بن الهيثم فى مقال "فيما صنعه وصنفه من علوم الأوائل". وكذلك يفعل د. شوقى ضيف فى كتابه الترجمة الشخصية ضمن سلسلة فنون الأدب العربى (الفن القصصى) وهو فن مستحدث عند العرب قلدوا فيه غيرهم من الأمم الأجنبية خاصة اليونان وفى مقدمة تلك النماذج التى قلدوها ما كتبه جالينوس خاصة فى مؤلفيه "مراتب قراءة كتبه" و "فينكس كتبه" أو فهرسها الخاص وفيهما يصور نشأته وحياته العلمية تصويراً دقيقاً ويعرض علينا فى فهرست كتبه مؤلفاته وتأريخ تأليفها ويشرح ما فيها من الآراء [١٦].

ويتوقف أحمد عبدالحليم عطية عند مصادر الببليوجرافيا العربية "جالينوس" اعتماداً على مؤلفاته التى نجدها فى الرسالة الهامة التى كتبها حنين بن اسحق إلى على بن يحيى المنجم فيما يترجم من كتب جالنيوس بعلمه وبعض مالم يترجم"[١٧] بالأضافة إلى رسالة هامة وضعها حنين بن

(١٤) د. عبدالستار الحلوجى: نشأة علم الببليوجرافيا عند المسلمين فى كتابه دراسات فى الكتب، مكتبة مصباح جده، ١٩٨٨ ص٨١-٨٦.

(١٥) د. عبدالرحمن بدوى : الترجمة الذاتية فى العربية، فى الموت والعبقرية، وكالة المطبوعات.

(١٦) د.شوقى ضيف، الترجمة الشخصية، دار المعارف ١٩٧٩ ص٥-٨.

(١٧) د. أحمد عبدالحليم عطية : نشأة علم الببليوجرافيا عند العرب، دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٨٩ ص٢٣٥ وما بعدها.

اسحق فى ذكر الكتب التى لم يذكرها جالنيوس فى فهرست كتبه[18]. ويوضح الباحث ان عمل جالينوس كاتباً مصدراً للكتابات الببليوجرافيا العربية خاصة لدى كل من حنين بن اسحق والرازى فيما كتاباه عن جالينوس.

(٣) يتناول نفس الباحث فى القسم الثانى من كتابه "دراسات أخلاقية" انتقال فلسفة الأخلاق من اليونان إلى العرب : جالينوس نموذجاً"[19] حيث يعرض فى تمهيده للأخلاق عند جالينوس ومصادرها ثم لتأثير الأخلاقية الجالينوسية ذات الصبغة الطبية على الفلاسفة العرب وفى الفقرتين التاليتين فيترجم دراستا ريتشارد فالترز عن فلسفة جالينوس الأخلاقية من مصدر عربى حديث"[20] و "موعظة جالينوس" ليكشف عن جوانب مختلفة من تفكير جالينوس الأخلاقى وانتقاله إلى الفلسفة الإسلامية.

(٤) ونشير إلى عدد من الدراسات الحديثة التى تناولت جالينوس فى اطار البلاغة وعلم اللغة، وهو جانب اهتم به الطبيب الفيلسوف وكتب فيه وأشار إليه حنين بن اسحق فى نهاية رسالته حول ما ترجم من كتب جالينوس بعلمه وبعض ما لم يترجم".[21]

وقد خصص ف. دى لاسى Ph.De Lacy واحدة من دراساته العديدة حول جالنيوس لدراسة "جالينوس والشعراء اليونان" فى المجلد السابع من "الدراسات اليونانية الرومانية البيزنطية" ١٩٦٦ موضحاً اهتمامات فاضل الأطباء اللغوية والبلاغية.[22] واهتم بنفس المجال ل. ت. بيرسى L.T.

(18) G. Bergstrgsträsser : Neus Materialien Zu HNAIN IBN ISHAQS GALEN BiBliographie. leipzig 1932, P. 84-91.

(١٩) د. أحمد عبدالحليم عطية : دراسات أخلاقية، دار قباء ١٩٩٩، القسم الثانى.

(٢٠) راجع الملحق الذى الحقناه بهذا الكتاب.

(٢١) فى بدوى : دراسات ونصوص فى الفلسفة وتاريخ العلوم عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١.

(٢٢) كتب دى لاسى عدة دراسات حول جالينوس منها بالاضافة إلى ماسبق "مفهوم التواصل عند جالينوس" العدد ٢٠ من الدراسات اليونانية الرومانية البيزنطية ١٩٧٩، و "أفلاطونية جالينوس" فى المجلة الامريكية للفلسفة، العدد ٩٣ عام ١٩٧٢.

Pearcy في دراسته "جالينوس والخطابة الرواقية" موضحاً التأثير القوى للرواقين على الخطابة عند جالينوس بالعدد ٢٤ من نفس المجلة السابقة عام ١٩٨٣.(٢٣)

(٥) وظهر الاهتمام الشديد فى نهاية العقد والقرن الحالى بجالينوس فى اطار الاهتمام بالذكرى المئوية الثامنة لوفاة ابن رشد فيلسوف قرطبة ١٩٩٨ خاصة بعد نشر الترجمة العربية لكتاب تلخيص سياسة أفلاطون، الذى نقله من الانجليزية د. حسن مجيد العبيدى وفاطمة كاظم الذهبى وعن العبرية د. أحمد شحلان حيث أثيرت قضية هل تلخيص ابن رشد تم عن كتاب أفلاطون مباشرة أو من خلال تلخيص جالينوس لهذا العمل؟ والمعروف أن كتاب أفلاطون قد نقل إلى العربية ويعرف ابن رشد أنه فى صورته الكاملة يتأليف من عشرة كتب ويعد نقده لجالينوس فى مواضع متعددة من تلخيصه دليلاً على انه اطلع على النص الأفلاطونى، كما أطلع على تلخيص جالينوس وينجاز العبيدى مترجم التلخيص - وذلك صدر روزنتال(٢٤) إلى ابن رشد لم يكتف بعمل جالينوس بل لخص الأصل كما يتضح من النقاط المختلفة التى انتقد فيها جالينوس، كما فى الفقرة(٢٧) من المقالة الأولى التى يتهم فيها ابن رشد جالينوس بعدم فهم أفلاطون(٢٥). وكذلك فى نهاية الفقرة (٢٠) نهاية المقالة الثالثة والكتاب حين يتهمه بالجهل بالطرق المنطقية"(٢٦).

(٦) كذلك نجد الاهتمام بجالينوس فى التحقيقات المختلفة التى يقوم بها الاساتذة العرب لكتب تاريخ العلم والطب والفلسفة ومن هذا القبيل ما

---

(٢٣) نقلاً عن ايمان عبدالقادر، المرجع السابق.

L. t. pearcy : Galen and stoic Rhetotoric, GRBS Vol. 24 1983 pp. 259-272.

(٢٤) د. حسن العبيدى : مقدمة ترجمة تلخيص ابن رشد لسياسة أفلاطون، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٨، ص ٤٤-٤٥.

(٢٥) ابن رشد : تلخيص كتاب السياسة لافلاطون ص١٣٠.

(٢٦) المصدر السابق ص ٢٣٠.

جاء فى كتاب "آداب الفلاسفة" لحنين بن اسحق الذى حققه د. عبدالرحمن بدوى وصدر عن معهد المخطوطات العربية بالكويت ١٩٨٥ ويتناول آداب جالينوس ص١٢٢-١٢٣.[٢٧]

ويفيض محقق كتاب ابن هندو : سيرته، آراؤه الفلسفية، مؤلفات فى بيان ما أخذه الفيلسوف والطبيب العربى عن جالينوس فى هذا التحقيق الصادر عن عمادة البحث العلمى بالجامعة الاردنية ١٩٩٦. يوضح المحقق تأثر ابن هندو العميق باستاذه ابن الخمار ونقله "لفهرست الجوامع الستة عشر لجالينوس" مع نقده لها [٢٨] وينقل لنا كلمات جالينوس[٢٩] وأشعاره التى يذكر فيها جالينوس (ص٧٤-٩٦٥) والعبارات المختلفة التى جاءت على ألسنة الفلاسفة والأطباء العرب وهى تنسب إلى جالينوس(ص٩١-٣٧٩-٤١٠) واستشهادات ابن هندو بأقواله فى كتاب مفتاح الطب (ص٥٩٧-٥٩٨ وص٦٠٥) وعلى امتداد صفحات الكتاب مما يظهر تأثر الكبير به.

تعقيب :

يتضح من هذا العرض الموجز لاستمرارية كتابات جالينوس فى الفكر الحديث والمعاصر أن القضايا العلمية المتعلقة بالطب وجدت بعض الاهتمام وذلك للتطورات الحديثة التى تمت فى ميدان الطب والتى باعدت بينه وبين نظريات القدماء بينما القضايا الفلسفية التى شغل بها الفيلسوف الطبيب وجدت اهتماماً أكبر من الباحثين المعاصرين يفوق الاهتمام بالجانب الطبى. ومن بين القضايا الفلسفية التى عرض لها جالينوس وتوقف أمامها الباحثون القضايا المتعلقة بالدراسات الانسانية مثل : الأخلاق والنفس والمنطق واللغة ونضيف أيضاً الدراسة الببليوجرافية؛ فقد شغلت الأخلاق اهتماما أكثر من

---

(٢٧) حنين بن اسحق : آداب الفلاسفة، تحقيق د. عبدالرحمن بدوى. معهد المخطوطات العربية، الكويت ١٩٨٥ ص١٢٢-١٢٣.

(٢٨) د. سحبان خليفات : ابن هندو، عمان ١٩٩٦ جـ١، ص٨٦.

(٢٩) المصدر السابق ص٣٩٦-٣٩٧.

باحث فى العربية والانجليزية، وكذلك قضية النفس الإنسانية وعلاقة جالينوس باللغة. مما يجعلنا نتوقف فى الفصل الأخير لمناقشة القضية التى طرحناها فى بداية بحثنا عن العلاقة بين العلم والفلسفة، الطب والميتافيزيقا عند جالينوس الذى مازال يشغل اهتمام الباحثين فى العديد من ميادين الدراسات الإنسانية، الفلسفية والكلاسيكية والمقارنة حتى اليوم.

الفصل السادس

الطب والميتافيزيقا عند جاليوس

تمهيد :

حاولنا فى الفصول السابقة تقديم صورة جديدة مختلفة عن جالينوس؛ وهى صورة الفيلسوف الموسوعى، الذى كتب فى الفلسفة والعلم الطبيعى والبرهان، بالإضافة إلى الصورة التقليدية المعروفة عنه، وهى صورة جالينوس الطبيب الذى عد مع أبقراط أشهر أسمين فى تاريخ الطب.

إن تفصيل ملامح صورة جالينوس الفيلسوف؛ ببيان تكوينه الفلسفى وإنتاجه فى العديد من العلوم الفلسفية يطرح قضية أساسية حول علاقة الفلسفة بالعلم، الميتافيزيقا بالطب، وإلى أى مدى أسهم كل منهما فى تقدم الآخر. فهل ساعدت افتراضات جالينوس الميتافيزيقية وجهوده الفلسفية فى دفع منهجه العلمى التجريبي القائم على الفحص الإكلينيكى خطوات أبعد من سابقيه؟ وهل ساعدت خبرة جالينوس التجريبية فى تقديم دراسات فلسفية ذات صبغة علمية؟ هل كانت الفلسفة عائقا أو عاملاً مساعدا لصياغة نظرياته المختلفة؟

ومهمتنا فى هذا الفصل، بيان العلاقة بين الطب والميتافيزيقا فى أعمال جالينوس، وهى من الاهداف الاساسية فى هذا البحث الذى يدور حول أعمال الطبيب الفيلسوف بين العلم والفلسفة فى الفكر القديم والمعاصر. حيث نعرض لبعض نظرياته لبيان الجوانب الطبية والجوانب الفلسفية فيها، ونتوقف خاصة فى هذا الفصل عند ما يتعلق بنظريته فى الأمزجة الأربعة ونظريته فى الإبصار أو الإدراك البصرى.

ونبدأ أولا بنظرية الأمزجة الأربعة التى أخذها عن الطبيعيون الأوائل وعن محاورة طيماوس لأفلاطون، مطورا إياها، جاعلا منها جزءا أساسى من نسقه الفلسفى الطبي.

أولا : الطبائع الأربعة والأمزجة الأربعة بين الفلاسفة وجالينوس :

تعد نظرية الأمزجة الأربعة، التي عرفت لدى جالينوس وشاعت بفضله فى تاريخ الطب حتى عهد قريب، من النظريات الأساسية التى عرفت فى الفلسفة اليونانية لدى الطبيعيين الأوائل، والتى فسر على أساسها الطبيب الفيلسوف صحة الإنسان ومرضه، بل سلوكه وأفعاله. لقد نشأت "نظرية الأمزجة الأربعة" وشرحت على يد جالينوس، واستمرت النظرية الأساسية فى التعليم الطبى له حتى القرن التاسع عشر، ولاتزال حية إلى اليوم على الأقل خارج نطاق الطب، وهى نظرية أنثربولوجية تعين على تصنيف البشر - فيما يخبرنا ج. سارتون - فكل فرد من الناس مميز بمزاج خاص.(١)

والمزاج كيفية حاصلة من تفاعل الكيفيات المتضادة، ذلك أنه إذا تماسكت أجزاؤها حدث من جميعها كيفية متشابهة وهى المزاج، وإن كانت المقادير فى الكيفيات فى الممتزج متساوية متقاربة وكان المزاج معتدلاً، أما إن كان إلى أحد الطرفين أميل - بين الحرارة والبرودة أو بين الرطوبة واليبوسة أو فى كليهما كان المزاج سقيما - كما يخبرنا ابن سينا فى القانون فى الطب نقلاً عن جالينوس - وليست أعضاء الجسم متماثلة فى الكيفيات، فهناك أعضاء حارة كالقلب وأخرى باردة كالدماغ كما أن هناك الرطبة كالكبد واليابسة كالعظام. فلقد أعطى الخالق لكل عضو أعدل مزاج مناسب لقواه التى يفعل بها وينفعل فجعل بعض الأعضاء أحر وبعضها أبرد، بعضها أيبس وبعضها أرطب(٢). وليس للناس جميعاً مزاج واحد، وإنما يختلف المزاج بحسب الاقليم، كذلك يختلف المزاج باختلاف سن الإنسان.

وترتبط نظرية الأمزجة بنظرية الأخلاط عند جالينوس، والخلط جسم رطب سيال، إليه يستحيل الغذاء، ومنه خلط محمود وهو الذى من شأنه أن

---

(١) جورج سارتون. تاريخ العلم، الجزء الثانى، ص٢٢١-٢٢٢ وانظر أيضا مقال سارتون : "ملاحظات على نظرية الأمزجة" فى مجلة أيزيس، المجلد الرابع والثلاثين ١٩٤٢-١٩٤٣ ص٢٠٥-٢٠٧ وعنوان رسالة جالينوس Pwei Gason Detemperoments.

(٢) ابن سينا: القانون فى الطب،نشره مكتبة المثنى، بغداد، ص١٢-١٣، وراجع تحقيق الدكتور على زيعور للكتاب الصادر عن دار عزالدين للنشر، بيروت ١٩٩٦.

يصير جزءا من جوهر المغتذى متشبها به، ومنه خلط ردىء حقه أن يدفع عن البدن، والأخلاط أربعة: الدم والبلغم والصفراء والسوداء [٣].

يتحدث مؤرخ العلم "سارتون" عن المصادر الفلسفية التى أعانت الأطباء على فهم وظائف الأعضاء. ويرجعنا إلى مصدرين أساسيين لهذه النظرية هما.

١- الفيثاغورى ألقمايون Alkmaion الكريتونى (القرن السادس قبل الميلاد)، أول من عد الصحة حالة من التوازن فى البدنIsonomia ، والمرض هو اختلال هذا التوازن بسبب تغلب إحدى القوى فتحدث حالة موناركية Monarchia، أى سلطان قوة واحدة، بمعنى آخر يحدث الاتزان – فيما يرى – من اعتدال الأضداد وامتزاجها امتزاجا مؤتلفا يكون منه الهارمونيا Hormonia ، ويعنى الطبيب فى إحداث هذه الحالة بأمرين هما: الغذاء والمناخ، فالاعتدال فى الغذاء يعنى تناول أطعمة مختلفة بنسب خاصة واعتدال المزاج هو التوسط بين اخلاط الجسم، أى الحار والبارد والرطب واليابس[٤] وألقمايون؛ الذى ذاع اسمه فى الزمن القديم علم على أقدم مدرسة طبية فى اليونان، مدرسة كروتون، كان يعد المخ مركز الإحساس، وهى نظرية أخذها عنه أبقراط وأفلاطون، وبالتالى فهو مصدر من مصادر جالينوس. وهو على العكس من أنبادوقليس الذى جعل القلب هو مركز الإحساس.[٥]

٢- أنبادوقليس .Enpedokles الذى يعد فيما يزعم جالينوس مؤسس المدرسة الإيطالية فى الطب، هذه المدرسة التى ظلت موجودة حتى أيام أفلاطون وأرسطو وكانت توحد بين العناصر الأربعة وبين الحار والبارد والرطب واليابس. تعلم أنبادوقليس الطب عن مدرسة كرتون. ونقل نظرية تناسب الكيفيات إلى الاعتدال بين العناصر[٦]. فالصحة (أو المرض) تابعة

---

(٣) د. أحمد محمود صبحى ود. محمود زايدان، فى فلسفة الطب، ص ٨١.

(٤) د. أحمد فؤاد الأهوانى: فجر الفلسفة اليونانية، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٤، ص٨٨.

(٥) المرجع السابق، ص١٨٩.

(٦) المرجع نفسه، ص١٨٩.

بدورها للتوازن (أو عدم التوازن) الناجم عن حال العناصر الأربعة التي تتألف منها الأجساد البشرية.

وقد لعبت نظرية العناصر الأربعة دورا مهما في الفلسفة الطبيعة وتفسير الكون والفساد، وكذلك في الكيمياء وعلم النفس حتى القرن الثامن عشر، فكان العلماء يفسرون الأمزجة بمقتضاها. (الناري والهوائي، المائي والترابي" التي أطلق عليها الأسطقسات الأربعة Stoicheion وهي لفظه لم يستخدمها أنبادوقليس وإن كانت جاءت لدى أبقراط وفسرها جالينوس[7]. فقد كان أنبادوقليس يستخدم لفظ الجذور .Rhizomata ويتضح لنا مما جاء في كتاب "فجر الفلسفة اليونانية" الطريق الذى سلكه المصطلح، وبالتالي الفكرة إلى أبقراط ومنه إلى جالينوس، وهو محاورة طيماوس لأفلاطون يقول: "أول استعمال للأسقطسات نصادفه عند أفلاطون حيث يتحدث عن علة العالم كيف نشأ. فيقول كيف كانت الطبيعة قبل خلق العالم "طبيعة النار والماء والهواء والأرض، ناظرين إلى هذه الطبيعة في ذاتها وأية صفات لها قبل وجود العالم.. فماذا تكون النار أو أى جسم من هذه الأجسام، إنها المبادئ ونفترض أنها أسطقسات إلكل"[8].

وقد استتبعت نظرية العناصر الأربعة نظرية الطبائع الأربع المتممة لها ثم استتبعت فيما بعد نظرية الأخلاط الأربعة التي نجدها في "رسالة طبيعة الإنسان" ثم نشأت نظرية الأمزجة الأربعة. فقد اعترض أبقراط (٤٦٠-٣٧٥ ق.م) على الفلاسفة - بخاصة أنبادوقليس - الذين يفسرون الطب بالعلم الطبيعي، وأنه لابد للطبيب من معرفة طبيعة الإنسان فقال: "الرأى عندى أن جميع ما كتبه هؤلاء الفلاسفة أو الطبيعيون من رسائل، في الطبيعة لا صلة له بالطب. أما أنا فأذهب إلى أن الطب هو الأصل الوحيد للمعرفة الواضحة عن الطبيعة، ولن يستطيع أحد أن يصل إلى معرفة ما بالإنسان، وما أسباب ظهوره إلى الوجود، وجميع هذه المباحث، إلا بعد أن يعرف الطب حق المعرفة".[9]

---

(٧) جالينوس: كتاب جالينوس في الأسطقسات على رأى أبقراط، سبق ذكره.
(٨) أفلاطون طيماوس ٤٨ب ٤-١٠ نقلاً عن الأهواني فجر الفلسفة اليونانية، ص١٨١ وانظر جالينوس جوامع كتاب طيماوس، نشرة ريتشارد فالتزر.
(٩) نقلاً عن فجر الفلسفة اليونانية، ص١٩٠.

هذا عن نظرية الأمزجة الأربع عند ألقمايون وأنبادوقليس، وهي نظرية ميتافيزيقية فى العلم الطبيعي، وموقف أبقراط منها الذى يرفض هذا الفهم الميتافيزيقى أو رد الطب إلى العلم الطبيعي، بينما يتخذ جالينوس شارح أبقراط موقفا مختلفا يوفق فيه بين أبقراط وأفلاطون. فقد لخص طيماوس لأفلاطون، وتناول ماذكره أفلاطون فى كتابه المعروف بطيماوس من علم الطب.(١٠)

لقد كتب جالينوس "فى آراء أبقراط وأفلاطون" موضحا اتفاقهما، موقفا بينهما، رابطا بين العلم الطبيعى والطب، وهو موقف رد فيه الطب إلى العلم الطبيعى والفلسفة.

هذا موقف أبقراط الواضح والمحدد والذى يجعل من الطب هو الأساس فى معرفة الكون والوجود والطبيعة، أى أنه يعطى الأولوية للطب بمعناه التجريبى على علم الطبيعة بمعناها التأملى الفلسفى، ومن هنا فلا مجال لاية افتراضات ميتافيزيقية وعلى هذا فنحن نفترض اختلاف موقف أبقراط ليس فقط مع الفلاسفة الأوائل السابقين على سقراط بل مع سقراط وأفلاطون وأرسطو. وإذا كان هذا الافتراض صحيحا فإن كتابات جالينوس فى العلم الطبيعى – سواء تلخيصه محاورة طيماوس، أو محاولته التوفيق بين آراء أبقراط وأفلاطون تقدم لنا دلالة مختلفة، وهى أن الفيلسوف الطبيعى فى موقفه من العلاقة بين الطب والعلم الطبيعى، أو بمعنى أوسع بين الطب والفلسفة يختلف تماما عن موقف أبقراط حيث نجد ميلاً لدى جالينوس يحول بينه وبين الصرامة العلمية ويلقى به فى أحضان الفروض الميتافيزيقية.

للفلسفة إذن مكانة عالية فى نسق جالينوس الطبى، يعطى لها الأولوية، ويراها أساسا للعلم، ويطالب الطبيب بالاهتمام بها وتسرى فى معظم أعماله. مما دفع عدد من الباحثين إلى طرح هذه العلاقة للنقاش، مؤكدين على كونها سمة أساسية فى أعماله المختلفة.

ونجد هذا الموقف الجالينوسى نفسه فى تأسيس الطب على الميتافيزيقا سائدا فى معظم أعماله، بل إنه يرد نشأة علم الطب فى تفسيره لكتاب

---

(١٠) حنين ابن إسحق، رسالة فيما ترجم من كتب جالينوس، ص١٧٧.

الإيمان لأبقراط، إلى الوحى الإلهى، وليس فقط إلى العلم الطبيعي يقول: "إن الله خلق صناعة الطب وألهمها الناس، وذلك أنه لا يمكن فى مثل هذا العلم الجليل أن يدركه عقل الإنسان، لكن الله تبارك وتعالى، هو الخالق الذى هو بالحقيقة فقط يمكنه خلقه، وذلك أنا لا نجد الطب أحسن من الفلسفة التى يرون أن استخراجها كان من عند الله"[11].

إن هذا الرأى الذى يقدمه جالينوس مقابل من يردون نشأة الطب إلى الإنسان يرجع إلى ظروف تاريخية ودينية، أهمها قرب عهد الإسكندرية – التى عاش وعلم بها فترة مهمة من حياته – من المسيحية التى رفضت الفلسفات الوثنية واستبعدت الآراء العلمية القديمة مما أدى إلى توقف العلم وجموده، مما جعل العلماء يلجأون إلى التوفيق بين العلم والفلسفة، بين النظريات التجريبية والأفكار الدينية، وجالينوس فى نزعته التوفيقية بين الطب والفلسفة بين العلم والدين لم يكن بعيدا عن هذا الواقع.

لقد أبدى جالينوس اهتماماً كبيراً للفحص الإكلينيكى مستندا قبل كل شيء على الوقائع الملموسة غير أن ثقافته الفلسفية كانت تغلب عليه أحيانا . وهذا مايتضح فى نظريته فى الأمزجة الأربعة، وغيرها كما سيأتى ذكره.

وفى الإطار نفسه نجده يستخدم مفهوم الروح Pnuma الذى استمده من الرواقية الذى يعنى حضور العقل الإلهى فى العالم[12]. وقد عرفنا تمييزه بين نوعين من الروح: روح طبيعي وهو أساس فعالية الجسم الداخلية، وروح حيوى أساس حركات الجسم[13] ويظهر ذلك واضحا فى وصفه لعملية الإبصار التى تنتج عن الروح الباصر. وهى ما سنعرض لها فى الفقرة القادمة لنستخلص من ذلك جدلية العلاقة بين الطب والميتافيزيقا عند جالينوس.

ثانياً : الإدراك البصرى بين الطب والفلسفة :

لم يخصص جالينوس كتابا فى الإدراك البصرى أو الإدراك الحسى

(١١) جالينوس: تفسير كتاب الإيمان لأبقراط، نقلاً عن ابن أبى أصيبعة، ص١٣.

(١٢) د. نجيب بلدي: تاريخ مدرسة الأسكندرية وفلسفتها، ص٤٧.

(١٣) د. كمال السامرائى: مختصر الطب العربى، ص١٧٦.

فلا يوجد عمل من أعماله سواء الطبية أم الفلسفية يدور حول ما نطلـق عليـه نظرية المعرفة. لكننا نجد بين كتاباته الطبية عدد مـن الأعمـال التـى تنـاولت الإبصـار أو عمل العين توجد فـى ثنايـا كتبـه فـى التشـريح ومنـافع الأعضـاء نذكر منها :

كتاب تشريح العين "فى دلائل علل العين"، وهو كتاب مفقود، أشار إليه كل من حنين بن إسحق وماكس مايرهوف[١٤]. كتاب "فـى منـافع الأعضـاء"، خاصة المقالات الثامنة والتاسعة والعاشرة. ويوضـح فيـه أن كـل شـىء فـى العين خلق لفائدة معينة[١٥]. كتاب "فى آراء أبقراط وأفلاطون" بخاصة المقالة الثانية والثامنة.

كذلك لاتخلو بعض أعماله العامة فى الطـب من إشـارات متعددة عـن العين والأبصار، نذكر منها على سبيل المثـال: "الصناعـة الطبيـة"، "التجربـة الطبية"، كتاب فى حفظ الصحة"، "كتاب فى اختلاف الأعـراض"، "كتـاب فـى أسباب الأعراض"، "فى تعرف علل الأعضاء الباطنية".

ويهمنا أن نشير فى بداية هذه الفقرة إلى مسألة أساسية، هى أن نظريـة جالينوس فى الإبصار توجد فى كتاب حنيـن بـن إسـحق "العشـر مقـالات فـى العين" الذى ضم فصول عديدة من كتـب جـالينوس، والتـى يمكـن أن نَعُدَّهـا مصـدراً فـى بيـان الأفكـار الأساسية التـى تتنـاول الإبصـار عنـد جـالينوس، بخاصة المقالة الثالثة من الكتاب، والتى يذكر فيها العصـب البـاصر والـروح الباصر، والإبصار كيف يكون؟ والتى اعتمـد فيهـا حنيـن علـى الأبـواب مـن الثانى عشر إلى الخـامس عشـر مـن المقالـة التاسـعة "فـى منـافع الأعضـاء"، والمقالة الثامنة من كتاب "فـى آراء أبقـراط أفلاطـون" وبعض أجـزاء كتـاب جالينوس المفقود "فى البرهان". وفى هذه المقالة نجد أن حنينا – كما يخبرنـا مايرهوف قد شغف باتباع نظريات جالينوس نفسها بدقة.[١٦]

علينا قبل أن نحلل طبيعة وعناصر الإبصار عند جالينوس أن نعـرض للأصـول الفلسـفية لنظريتـه فـى الإدراك البصـرى، والتـى يمكـن أن نقارنهـا

---

(١٤) حنين بن إسحق: رسالة فيما ترجم من كتب جالينوس، ص١٦٥ ومـايرهوف مقدمـه نشرته كتاب حنين بن إسحق، العشر مسائل فى العين، ص٥٢.
(١٥) حنين: المصدر السابق، ص١٦٤ ومايرهوف، ص٤٩.
(١٦) ماكس مايرهوف، ص٥١.

بنظرية أرسطو فى الضوء والبصر التى جاءت فى كتابه "فى النفس"[١٧] وهى النظرية التى توسع حنين فى شرحها ضمن رسالة صغيرة أسماها "فى الضوء وحقيقته" لقد أخذ أرسطوطاليس وجالينوس وحنين بنظرية أفلاطون التى تقول باجتماع الأشعة (اجتماع الضياء الأفلاطونية)، أى أن النور المنعكس من الأشياء الذى يقابل شعاع البصر النورى، الذى ينبعث من الروح النورى، وهو الذى يجرى من المخ فى العصب الباصر والعدسة، وإنسان العين (الحدقة) وكان المظنون أن الهواء يتوسط بين الشعاعين[١٨].

وهذه النظرية لدى جالينوس وحنين تختلف عن نظرية أنبادوقليس؛ الذى ظن أن (شعاعاً ذا تماثيل) يترك الجسم ويلتقى بالعين، ونظرية أبيقورس وهيبارخس الذى يظن أن الشعاع البصرى يترك العين ويمتد إلى الأجسام ويلمسها.

وعلى الرغم من أن أنبادوقليس فى نظريته الإدراكية، التى تقول بإدراك الشبيه للشبيه يقول بتعاون الحواس جميعاً فى عملية الإدراك، فقد عنى بالبصر عناية خاصة، فالعين التى تبصر كالمصباح الذى يضيء بالنار المشتعلة فى داخله، والتى تخترق الزجاج المحيط به. كذلك العين فيها نار دخلية تخترق الأغشية. إلا أن العين ليست مركبة من النار فقط بل يحيط الماء بالحدقة وتمتزج أيضا بجزء من الأرض وذلك حتى يمكن أن ندرك الأرض بالأرض والماء بالماء. يقول فى الشذرة الرابعة والثمانون من كتابه: "وكما أن الإنسان إذا أراد اجتياز الطريق فى ليل عاصف جهز مصباحا وأشعل فيه ناراً، ووضعه فى زجاج يحميه من الريح ويفرق هبات الريح، ولكن النور يشع من خلاله كلما كان نافذا ويضيىء أطراف الطريق بأشعة لاتنقطع. كذلك النار الأولى (العنصرية) المنبثة فى الأغشية والأنسجة الدقيقة تخفى نفسها فى حدقه العين المستديرة، وينفذ من هذه الأنسجة منافذ عجيبة، وأنها لتحجز الماء المحيط بالحدقة ولكنها تسمح للنار أن تمر من الداخل إلى الخارج لأنها أكثر لطافة "[١٩].

---

(١٧) أرسطوطاليس : "فى النفس" تحقيق الدكتور عبدالرحمن بدوى، النهضة المصرية القاهرة، ١٩٥٤، ص٤٥-٤٧.

(١٨) انظر ماكس مايرهوف، الموضع السابق.

(١٩) الأهوانى : المرجع السابق، ص ١٧٩-١٧٤.

هذا عن أهتمام أنبادوقليس بتغير عملية الأبصار، ونستطيع أن نعرض موقف جالينوس كما ذكرنا مما جاء فى المقالة الثالثة من "العشر مقالات فى العين على رأى أبقراط وجالينوس، والمنسوب إلى حنين بن إسحق". وهو يحدد لنا :

إن على من يريد أن يعرف الحال فى آلة البصر أن ينظر فى الموضوعات التالية: طبيعة عصبتى البصر، فيعلم ما المشاركة بينهما وبين جميع العصب وفى ماذا تخالفانه، ثم ينظر بعد ذلك فى أمر الروح الذى به يكون البصر فيعلم ما المشاركة بينه وبين الروح الذى فى جميع العصب وفى ماذا يباينه، ثم ينظر بعد هذين فى فعل البصر نفسه كيف يكون؟

وهو يقدم لنا فى عملية الإبصار أو أمر البصر كيف يكون؟ ثلاثة آراء:

الأول : أن يرسل الشيء المبصر شيئا منه إلينا فيدلنا به على نفسه حتى نعرفه.

الثانى : أن تذهب منا إليه قوة الحس فنعرفه بها ماهو.

الثالث : أن يأتينا بمعرفته حتى نعلم ما هو.

ويناقش الرأى الأول الذى يقول نحن إذا كنا نبصر إنما نبصر بالثقب الذى فى الحدقة. فإذا كان هذا القول صحيح فنحن إذا أبصرنا الشيء لم نعرف مقداره أو عظمه، أن كان فى المثل جبلا عظيما جدا . وذلك لأن قدر صوره أو شبح مقدار عظمه مقدار أعظم ما يكون من الجبال ودخوله فى العينين مما لا يقبله العقل وسمع السامع له بته. يلزم بحسب هذا القول إن يكون فى طرفه عين واحدة يرد من ذلك الشيء المبصر ويدخل فى عين الناظر إليه صورة تامة أو شبح تام كامل، وهذا شيء مجانب الإقناع بعيد عنه. وإن كان ذلك كذلك فليس يمكن إذن أن يكون يأتى الحدقة ويدخل شيء ينبعث من الجسم المبصر.[20]

وبالطريقة نفسها يعرض للرأى الثاني، ويرفضه، يقول: "وأما الوجه الثانى فأقول فيه إن الروح الباصر ليس هو مما يمكن فيه أن ينبسط هذا

---

(٢٠) حنين ابن إسحق: المصدر السابق، ص١٠٤.

الانبساط كله. حتى يستدير حول الجسم المبصر ويحيط كله".[21]

بقى إذن الرأى الثالث وهو أن الهواء المحيط بالأبدان إذا كان نيرا صافيا صار للبصر فى وقت ما ينظر الإنسان إلى الشىء المتقوم له فى ذلك الوقت مقام العصب فى البدن دائما. وذلك أن الهواء يقبل الملاقاه للروح الباصر إياه مثل ما يقبل عن نور الشمس. فالنور يصل إلى العينين فى عصبتى البصر جوهره أيضا من جوهر الروح. فهو يرى أن الهواء إنما يقبل النور قبولا متصلا بما يحدث فيه من تغير نور الشمس له دائما . لا بأنه إذا تغير مرة واحدة من النور الوارد عليه بقى على ذلك التغيير. ولم يحتج إلى نور يغيره. لأنه لو كان يكتفى بأن يتغير تغيرا ينقطع عنه لكان سيبقى فيه نوره إلى مدة من الزمان طويلة ولو احتجب عنه المنير له.[22]

وأول محسوسات البصر وأقدمها كلها فيما يرى جالينوس هو حس الألوان" وذلك أن اللون هو شيء يحسه البصر حسا أوليا ويحسه بذاته، ويحسه البصر وحده دون غيره من الحواس. ومع حس البصر باللون قد يحس أيضا بالجسم الذى له ذلك اللون ويتعرفه. إلا أن حاسة المذاق وسائر الحواس الأخرى إنما ينتظر أن يصير الشىء المحسوس إلى بدن الإنسان حتى يحس به. فأما البصر فإنه يمتد بتوسط الهواء حتى يبلغ إلى الجسم الذى له اللون. ومن أجل ذلك صارت حاسة البصر وحدها دون غيرها من الحواس تتعرف مع لون الجسم مقدار عظمه وشكله. وتتعرف أيضا مع هذين وضع الجسم والمسافة بينها وبينه. ثم تتعرف أيضا حركته وإن كان تعرفها للحركة ليس هو تعرف حس مطلق. لكن تعرف قياس من المقاييس قريب من الحس".[23]

فإذا كان البصر وحده جميع الحواس يحس المحسوس المحرك له بتوسط الهواء كإحساس الأعمى للشيء بالعصا. بل إنما يحس به الأشياء المبصرة. على أنه فى ذلك الوقت عضو منه مجانس له متصل به. وكان البصر وحده قد خص بهذه الخاصة".[24]

---

(٢١) نفس الموضع.
(٢٢) المصدر السابق، ص١٠٨.
(٢٣) المصدر السابق، ص١٠٨.
(٢٤) المصدر نفسه، ص ١٠٩.

مما قلنا أن بصرنا الأشياء دائما يكون بتوسط الهواء بيننا وبينها ووجدنا ذلك بينا للحس وجودا قد أجمع عليه الناس كلهم. وذلك أن الهواء إذا كان نيرا إما من قبل نور الشمس أو من نور جسم آخر نير صار للروح الباصر كالعضو والآلة المشاكله الموافقة. وصار للبصر آلة مقامها مقام العصبة التى فيها يتحدر هذا الروح إلى العينين من الدماغ. فكما أن الدماغ إنما يصل إليه حس الأشياء التى تحسها العين بتوسط عصبة البصر بينه وبين العين. كذلك الروح الباصر إنما تحس الأشياء المبصرة بتوسط الهواء إذا كان نيراً فيما بينه وبينها. وتحس مع حسه الأجسام المبصرة الأشياء اللاحقة بها مثل عظم تلك الأجسام وجميع أحوالها مما تقدم ذكره".[٢٥]

ويناقش الرازى قوله "إنه من البين عند جميع الناس أنه ليس يكون بأن تماثيلا يجرى إليه من كل واحد من الأشياء المبصرة". ذلك أن هناك من يخالفونه فى هذا الرأى، فكيف يقول "من البين عند جميع الناس". فأرسطوطاليس على العكس من هذا الرأى تماما (ص٩) وقد رد عليه الرازى فى ذلك حيث أفرد – كما يخبرنا – مقالة ضخمة أوضح فيها أن الأبصار يكون بتشبح الأشباح فى البصر.[٢٦]

وبعيداً عن نقد الرازى وشكوكه، وهى شكوك أغلبها منطقى فإن ما يهمنا هنا، هو التأكيد على إفراط جالينوس فى بيان دور الفلسفة، واستخدامه للفروض الميتافيزيقية. فهو دائما ما يلجأ إلى افتراضات عديدة منها افتراض الروح لتفسير العمليات العضوية فى جسم الإنسان لقد استمد هذا المفهوم من الرواقية وانتشر فى كتاباته المختلفة، وهو يفسر عن طريقه عملية الإبصار، فالروح الباصر هو أساس عملية الإبصار؛ فهو الذى يستشعر ويحس بالموضوعات المختلفة وذلك عن طريق توسط الهواء.

أن هذا الافتراضات أدت إلى نتائج أبعدت جهود جالينوس عن الاتجاه الطبى الإكلينيكى وأدت به إلى الوقوع فى نتائج بعيدة عن الملاحظة والتجريب. وهذا ما لا حظه عدد من الباحثين فى مجال تاريخ العلم. يقول د. نجيب بلدى "أن هذه الصفة الفلسفية المنطقية ذاتها (التى سادت لدى جالينوس)، هى ما أدت به فى بعض الأحيان إلى مناقضة التجربة والمنهج

---

(٢٥) المصدر نفسه، ص١١٢.

(٢٦) الرازى: الشكوك على جالينوس، ص١٣.

التجريبى الدقيق، وخاصة فى نظرتـه للامزجـة والطبـاع، وهـى التـى جعلتـه يدخل فى العلم نظرية أرسطو للنفس ويوفق بينها وبين موقف الرواقييـن مـن "الروح"، وهى التى انتهت به كذلك إلى أن يقرر فى البدن قيام مبادئ وقـوى لايمكـن أن تصبـح يومـا من الأيـام موضـع تجربـة أو بحـث تجريبـي"(٢٧) والخلاصة لدى هؤلاء أن ثقافة جالينوس الفلسفية كان لهـا أعظـم الأثـر علـى مؤلفاته الطبية فأوقعته فى استنتاجات منطقية بعيدة عـن الصـواب"(٢٨) وهـذا ما يطرح علينا ضرورة مناقشة هـذه المسـألة، إلا وهـى أثـر الميتافيزيقـا فـى طب جالينوس وهذا موضوع الفقرة التالية.

ثالثاً : التأثير المتبادل بين الفلسفة والعلم عند جالينوس :

نصل هنا إلى مناقشـة قضيـة أثـر الفلسـفة علـى طـب جـالينوس وهـى قضية العلاقة بين العلم والفلسفة لدى عدد كبير من الفلاسفة فـى العصـور القديمة والوسطى وبدايات العصر الحديث ربما حتى ديكارت. فالقول بالروح لتفسير العمليات الفسيولوجية لم يكـن قـاصراً علـى جـالينوس فقـط. يكفـى أن نطالع كتاب "انفعالات النفس" الذى كتبه ديكارت فى نهاية حياتـه حتـى نتـأكد أن أبو الفلسفة الحديثـة يستخدم نفس المفهوم لتفسير حركـة الـدم فـى جسـم الإنسان.(٢٩)

لقد توقف عدد من فلاسفة العلم لمناقشـة أثـر الفلسفة علـى الطـب وقـد دعا كلود برنار إلى تحرر الطب من عبء المذاهـب الفلسـفية(٣٠) فكثـير مـن القواعد الطبية تذكرنا بنظريات فلسفية مما يدعـو إلـى التسـاؤل : هـل نتجـت الممارسات العلاجية عن تطبيق نظريات فلسفية أو جاءت النظريات محصلـة لقواعـد طبية؟ أن هـذه التسـاؤل دفـع صاحبـا كتـاب "فـى فلسـفة الطـب" إلـى التسـاؤل ألا يتبـع الطـب التجريبـى الحديث أى مذهـب فلسـفى؟ ويجيبـا "أن

---

(٢٧) د. نجيب بلدى، ص٤٨.

(٢٨) الأب جورج قنواتي، تاريخ الصيدلة والعقاقير عند العرب، ص١١٣.

(٢٩) رينيه ديكارت : انفعـالات النفس، ترجمـة جـورج زينـاتى، دار المنتخـب العربـى، بيروت، ١٩٩٣.

(٣٠) كلـود برنـار : المدخـل إلـى الطـب التجريبـى ترجمـة د. يوسـف مـراد و حمداللـه سلطان، ص٢٣٠-٢٣٣.

النزعة العلمية التجريبية فى الطب الحديث لم تحرره من كل تصور فلسفى، لأن هذه النزعة المستندة إلى مقولة ما ليس تجريبيا فهو ليس علمياً إنما هى بدورها اتجاه فلسفى تعارضه مذاهب فلسفية أخرى متكافئة معه"(٣١).

إن العلاقة بين الفلسفة والطب علاقة غاية فى التعقيد حتى فى العصر الحالى. وعلينا حين نتناول تأثير كل منهما فى الآخر عند جالينوس أن نضع فى اعتبارنا نظرة العلم القديم للطبيعة والكون. وفى هذه الحالة يمكننا أن نحكم بدقة على جهد الطبيب الفيلسوف الذى أثر تأثيراً كبيراً فى العصور القديمة والوسطى وحتى مطلع العصر الحديث. وسوف نشير إلى هذه العلاقة من خلال موقف الفيلسوف الإنجليزى برتراند رسل فى كتابه "التصوف والمنطق".

يدرس رسل العلاقة بين العلم والفلسفة تحت عنوان "فى المنهج العلمى فى الفلسفة" معطيا لنا نوعين من الدوافع تدفعان البحث الفلسفى أحدهما مشتق من الدين والأخلاق والثانى مشتق من العلم، ويعطى نماذج لأصحاب النوع الأول أفلاطون وسبينوزا وهيجل، والثانى ليبنتز ولوك وهيوم ويعد كل من أرسطو وديكارت وباركلى ممن يجمعون بين الدافعين. وإذا صح مثل هذا التصنيف فمن الممكن أن نعد جالينوس ضمن هؤلاء الذين يجمعون بين العلم والدوافع الأخلاقية والدينية.

وإذا كانت الدوافع الأخلاقية والدينية عائقا فى طريق تقدم الفلسفة كما كتب رسل يقول: "إن العنصر الأخلاقى والذى كان متغلبا فى كثير من المذاهب الفلسفية هو واحد من أهم العوائق فى طريق المنهج العلمى للبحث الفلسفى. الأفكار الأخلاقية الإنسانية هى أساسا اتجاه يؤمن بمركزية الإنسان ويتضمن تشريع لقوانين الكون بحيث ترضى رغبات الإنسان. وهى هكذا تؤثر على تقبل الإنسان للحقائق والتى هى جوهر الموقف العلمى تجاه العالم. والنظرة إلى الأفكار الأخلاقية على أنها مفتاح لفهم العالم تصلح إلى عالم ما قبل كوبرنيكوس.(٣٢)

وإن كانت هذه الدوافع قد أبعدت جالينوس عن دقة العلم وسلامة التجربة كما يتهمه نقاده فعلينا أن نتذكر أن العلم فى البداية كان مختلطا

---

(٣١) د. أحمد صبحى ، د. محمود زيدان : فى فلسفة الطب، ص٤٥.

(32) Russell : on Scientific Method in philosophy, in Mysticism and logic, P. 83.

بدوافع مماثلة وذلك قبل الثـورة الكوبرنيقيـة، إن هدف رسل هو ان تستلهم الفلسفة وحيها من العلم، وبمعنى أدق أن تطبق المنهج العلمـي علـى الفلسـفة، لا أن تكتفى بنتائج العلم.

والحقيقة أن رسل هنا يناقش أثر العلم على الفلسفة وأن هذا الأثر يفوق أثر الدوافع الأخلاقية والدينية، وإن على الفلسفة أن تأخذ ليس بنتائج العلم بـل بالمنهج والطريقة العلمية. ومع هذا فهـى، أى الفلسـفة تختلـف عـن العلـم فـى كون قضاياها عامة. وأن هذه القضايـا يجـب أن تكـون أوليـة A priari ، أى لايمكن إثباتها أو دحضها بالدليل التجريبي.

وبخصوص تساؤلنا عن العلـم والفلسـفة عند جـالينوس فنحـن نسـتطيع تحديد اتجاهين لهذه العلاقة. الأول أثر العلم على الفلسفة، والثانى أثر الفلسـفة على العلم. والحقيقة أنه فيما يتعلق بالاتجاه الأول، أى أثر العلم على الفلسـفة فهو موضوع جدير بالنظر، وإن لم يشر إليه أحد من الباحثين فى جالينوس. وإن كنا نستطيع أن نحدده فى بحث جـالينوس فـى الجوانـب العلميـة والطبيـة فى بعض الأعمال الفلسفية كما نجد خاصة فى محاورة طيماوس لأفلاطون ، الذى توقف لبحث الجوانـب الطبيعيـة والطبيـة فيهـا، كذلـك فـى دراسـته عـن "آراء أبقراط وأفلاطون". إلا أن النقد الذى وجه إلى الطبيب الفيلسوف يتعلـق بالاتجاه الثانى وهو أثر الفلسفة على العلم، هنا نجد أن معظم من أشاروا إلـى ذلك، أكـدوا علـى الجـانب السلبى للفلسـفة علـى العلـم حيـث أدت افتراضاتـه الميتافيزيقية إلى نتائج بعيدة عن الدقة العلمية.

ولا نود أن نرفض هذا الرأى كلية، وأيضـا لانـود تبريره بـالظروف التاريخية التى عاش وكتب فيها بعض سنى عمره فى الإسكندرية التى اعتنق أهلها المسيحية وكان لابد من أن يـأخذ البـاحث فـى الاعتبـار العقيـدة الدينيـة السائدة فى هذه الفترة، لكننا نشير كما أشار رسل إلى أن النظرة الكلية للعـالم الخاضعة لعلم الفلك البطلمى ما قبل كوبرنيكوس كانت السـبب المباشـر وراء افتراضات جالينوس، بل ربمـا كـانت هـى أيضـاً سبب اتخـاذه موقـف الشـك الفلسفى. نقول فى النهاية إن الفلسفة والعلم أمتزجا لدى جالينوس وارتبط معا ارتباط وثيقاً.

فالتـزر:

فلسفة جالينوس الأخلاقية

من مصـدر عـربى مكتشف حديثا

لقد اسـتحق النشـر الأول لنـص جـالينوس المفقـود فـى الفلسـفة الأخلاقية(*) اهتمام الباحثين المختصين بفكر آخر أعظم أطباء العصر القديم، والذى أصبح نتيجة لبعض الظروف المميزة معلم القرون الوسطى فى الطب العلمى، كآخر اعظم أطباء العصر القديم، والذى حظى فى عصره أيضا بنجاح واسع كفيلسوف ولكن للحقيقة فإن من آتوا بعده لم يقدروا أعماله الفلسفية نفس التقدير الذى أسبغوه على إنجازاته فى الطب، نتيجة لذلك لم يتبق لدينا من أعمال جالينوس الفلسفية فى الوقت الحاضر إلا القليل جدا، سواء بنصها الأصلى أوترجمتها العربية.

لقد كان من قناعة جالينوس الأساسية أن كلا من التشخيص والعلاج الطبى لابد أن يرتكز على أساس فلسفى وأن أفضل الأطباء لابد أن يكون فيلسوفاً[1] ومن وجهة نظره فإن أبقـراط يعتبر النموذج المثالى أو المثل الأعلى للطبيب لكونه أول من اعتبر أنه لايمكن قيام طب بدون علم الفلك، الذى يعتمد بدوره على الهندسة، كما لا يمكن وجود الطب أيضا بدون وجود البرهان العلمى والمنطقى[2] وأنه لاينبغى أن يقتصر الطبيب على ملازمة الحقيقة أو أن يكون منغمساً فى الفلسفة النظرية، بل لابد أن يكون فى نفس الوقت عادلاً ومسيطراً على ذاته، ذا حصانة ضد اغراءات المال أو الشهوات كما ينبغى أن تتمثل فيه كل الخصـائص المختلفة للحياة الأخلاقية والتى يرتبط كل منها بالآخر بحكم الطبيعة[3]وبناء على ماسبق فقد أراد جالينوس أن يعلم أطباء المستقبل على هدى من تلك المبادىء، بل أنه وضع أطباء المستقبل نصب عينيه عند تأليف الكثير من أعماله الفلسفية[4]، وفى De Libris Proprius والـذى

(*) ترجمة عن كتاب فالتزر: من اليونانية إلى العربية . ص ١٤٢ – ١٦٣ .

يعد بيانا لمجمل إنتاجه الأدبى بدء من عام ١٩٢ بعد الميلاد يقوم بسرد ما لايقل عن ٢٣ فقرة من الفلسفة الأخلاقية [٥] والتى بقى لدينا منها مقالان بنصهما الأصلى عن ضبط النفس والتربية الذاتية وهما: فى التعرف على العواطف De Peccatorum Dignitoe[٦] فى التعرف على العيوب De Offectum Digntioe "معرفة المرء عيوبه"، هذا وقد قام صديقى الراحل باول كراوس بنشر المختصر العربى[٧] عام ١٩٣٩[٨]. وقد تميز بسمة مدرسية Scholoriy متناولا فى أربع مقالات واحدا من الموضوعات الأساسية للفلسفة الأخلاقية Character "الأخلاق"[٩]. ولسوء الخط لم ينشر كراوس سوى النص العربى فقط (٢٧ صفحة) مع مقدمة تحتوى على ٢٤ صفحة كتبت أيضا باللغة العربية، ولهذا السبب فقد ظلت تلك النشرة مجهولة تماما لطلاب الدراسات الكلاسيكية الغربيين ولمؤرخى الطب. وأننى فى نيتى أن أقوم بنشر ترجمة كاملة للنص، وشرح أهميته الفلسفية بالتفصيل، أما أهتمامى فى هذه الدراسة فهو ينصب اساساً على شرح لماذا تستحق تلك الترجمة اهتمامنا؟ لنعالج بذلك قصوراً فى معرفتنا بالأخلاق اليونانية، ولتوضيح موقع جالينوس فى تاريخ الحضارة القديمة . ويعد المصدر الرئيسى للنص العربى مصدرا فريدا فى نوعه بالاضافة إلى كونه مخطوطا مصريا جيدا، ربما يرجع تاريخ كتابته إلى القرن الرابع أو الخامس عشر بعد الميلاد[١٠] وقد اعتمد المختصر[١١] على ترجمة لحنين بن اسحق قبل عام ٨٤٢ ق.م [١٢] ونلاحظ أنه بين أعمال جالينوس المتبقية حاليا يمكن تتبع عدد محدود من الإشارات إلى "الأخلاق" وتقع واحدة من تلك ، الإشارات "فى التعرف على العواطف" De offectum digntioe [١٣]. كما يحتوى المختصر العربى على مالا يقل عن صفحتين آخرتين لنفس العمل [١٤]. إلى أن هناك من الأسباب أيضا القوية مايدعونا إلى الاعتقاد بأن المقالات الأربع لكتاب "الأخلاق"[١٥] هى ماكان يشير إليه جالينوس فى الفصل الثانى (من المقال ذو الصيغة الأفلاطونية) والذى يدور حول فكرة أن " قوى النفس توابع لمزاج البدن" بل يمكن الذهاب إلى ماهو أبعد من ذلك لنقرر أنه من الواضح جداً تطابق

آراء مفكرى الفترة الكلاسيكية[١٦] مع مافى المؤلفات الرئيسية لجالينوس [١٧] ويظهر ذلك من خلال الفصل الأول للملخص، والذى يركز على أن كتاب "الأخلاق" يقوم على عمل أسبق هو "آراء أبقراط وأفلاطون" وحيث أن هذا الكتاب "فى الأخلاق" ينتمى إلى الفترة اللاحقة لهذا التاريخ من حياة جالينوس فإنه يمكننا على كل حال الاستدلال بوضوح على أن جالينوس كتب "الأخلاق" فى روما بعد إتمام عامه السادس والخمسين، وذلك بين عامى ١٨٥-١٩٢ ميلادية[١٨] يتضح هذا من خلال إشارة واضحة التأريخ "فى الأخلاق" إلى وفاة رئيس الحرس البريتورى فى عام ١٨٥م .

(٢)

وطبقا للوصف المختصر لحنين [١٩] فإن جالينوس تناول فى "الأخلاق" مختلف أنواع الخلق وأسبابها، وعلاماتها، وعلاجها[٢٠]. ويتفق ماجاء فى المختصر مع هذا الوصف. كما يلتزم جالينوس بدقة بانصاف الموضوع، ولكنه يتعرض أيضا (للتشابه مع الله) كهدف نهائى للحياة الإنسانية، رافضا الإدعاءات غير المبررة لمذهب اللذة[٢١] وموضحا أهمية الربط بين الحياة النشطة والتأملية، والتعمق وبين المفهوم الأفلاطونى "للفيلسوف الملك" [٢٢] كما يفسر المزايا المختلفة التى تتولد من التعليم المناسب للفطرة، كما يميز بين النبيل أو الصالح ، والدنىء أو الوضيع .. الخ ويمكن القول أن الأساس العام لفكره هو الأفلاطونية بالدرجة الأولى، وفى الوقت الذى لايتقيد فيه بالجدل الجاف نجده يبث النصح للقارىء بأسلوب غير شائع فى الفلسفة الهلينستية [٢٣] .

وتحتوى المقالة الأولى من هذا العمل على النظرية العامة للأخلاق عند جالينوس وتشتمل كذلك على الأخلاق التى تنشأ داخل النفس العاقلة (الناطقة)، أما المقالة الثانية فقد اهتمت بالأخلاق المتفرعة عن النفس الشهوانية، وقد ركزت المقالة الثالثة على شكل الفعل الذى تتطلبه الأنواع الثلاثة للنفس. وقد تم تكريس المقالة الرابعة بصفة أساسية للأخلاق التى

تقطن النفس الناطقة[٢٤] وسأعالج فى الدراسة الحالية الجزء الافتتاحى من المقالة الأولى، والذى يحتوى على القدر الأكبر من المادة الجديدة .

ويبدأ جالينوس بتعريف الأخلاق كميل فطرى غير عقلى للنفس الإنسانية، كما يؤكد على أن الاختلافات فيها لاتنتج عن التفاوت فى البيئة ولا فى التعليم وحدهما، ولكن أيضا التفاوت فى طبيعة الإنسان الفطرية، وبالتالى فإنه من الخطأ التقليل من أهمية الصفات الفطرية كما فعل كروسبوس Chrysippus والافتراض بأن الجميع يتساوى بنفس الدرجة فى القابلية للتأثر الذهنى، والأخلاقى، كذلك من الخطأ أن نأمل فى إمكانية الاستئصال الكلى للأخلاق الشريرة بواسطة التدريب الأخلاقى المستمر[٢٥]. ويستند تحليل جالينوس على تقسيم أفلاطون للنفوس الثلاثة أو كما يسميها جالينوس الأجزاء الأفلاطونية للنفس التى تختلف فى القوة والصفات من كائن إنسانى إلى آخر، ويتم استخدام الملاحظة على الحيوانات والأطفال الصغار فى الثلاثة أعوام الأولى من العمر كدليل أو إثبات لمفهوم الأخلاق، وما تنوع وتعدد "الحياة" Lives إلا نتيجة لذلك، على أن أسمى مثال لحياة الكائنات البشرية هو حياة الفيلسوف المسترشد بنفسه العاقلة . ويتفق دارسى الفكر اليونانى على أن منحنى جالينوس غير معتاد إلى حد ما، كما يمكن لهم أن يلاحظوا أيضا وعلى وجه الخصوص أنه قد أهتم بمشكلة لم يتم التعامل معها بشكل مقنع من قبل أرسطو، وسوف يتأكدون فى الوقت ذاته أنه من المستبعد جدا أن يكون جالينوس هو أول من أسس مذهب الأخلاق، لذلك فمن المؤكد أن المسألة تستحق تدقيقا وفحصا عن قرب كما تحتاج إلى انتقاء قليل من العبارات للأقتباس والمناقشة التفصيلية .

ولم يتبق لدينا حتى الآن حسب علمى عمل يونانى آخر بعنوان بيرى ايثوس (الأخلاق)، وحقيقة فقد قام فيلوديموس Philodemus بنشر خلاصة عمل زينون الأبيقورى Epicurean Zeno's وفصلين منه عن حرية التعبير (الكلام)، وفى الغضب بعد أن شفى من برديات

هيركولاينوم[٢٦]، ولكن يبدو أن هذا العمل لايشترك فى أى شـىء أساسـى مع معالجة جالينوس للموضـوع[٢٧] وبصفـة عامـة فإنـه يجـب الربـط بيـن اهتمام جالينوس بالأسـاس اللاعقلـى للسلوك الأخلاقـى، والتحليـل المدقـق للأنفعالات أو العواطف والآثار الفطرية للقدرات الإنسـانية التـى نلحظهـا من قبل ذلك فى فلسـفة المشـائين Peripatas، وعلـى الأخـص فـى الفلسـفة الرواقية بعد كروسبوس. وعلى كل فإنه من المؤكد أن مصـدره الأساسي يعود إلى مابعد كروسبوس كما أنه يمكـن الإفـادة من مقارنـة هذا العمـل لجالينوس على سبيل المثال مـع الكتاب الخامس لشيشرون المسمـى عـن "الواجبات" Definibus [٢٨]، كما يمكن الإفادة من مقارنة الرسالة الصغيرة لبلوتارك Plutrach "عن الفضيلة الأخلاقية" [٢٩] برغـم اختـلاف موضـوع المقارنة فـى الحالتين . وتـأتى الفقرة الأولـى مـن المختصـر علـى النحـو التالى :

الخلق حـال للنفس داعيـة الإنسـان أن يفعـل أفعـال النفس بلارويـة ولااختيـار. وبيـان ذلـك أن مـن النـاس قومـا إذا فاجـأهم الصـوت الهـائل ارتـاعوا أو بهتـوا. وإذا رأوا أو سمعوا شيئا مضحكـا علـى غـير إرادة. وربما أرادوا الامتناع فلا يمكنهم. ولذلك فحص الفلاسفة عن الخلـق هـل هو للنفس التى ليست ناطقة فقط، أم يشوب الناطقة منه شيء؟ وقد نستبين أن حركة النفس من غير فكر فيما يدعو إليه الخلق عـن شـوق إلـى شـىء أو هرب من شيء، أو لذة أو أذى، وماأشبه ذلك - يـدل علـى أن الأخـلاق للنفس التى لانطق لهـا... وسوف نرى بوضوح أن كل الدلائـل تشـير إلـى أن الأخلاق إنما هى من إختصاص النفس غير الناطقة، ولذلـك فإننـا نجـد أن الحركات النفسية هى التى تسبب لنا الشعور بالرغبة فـى عمـل بعـض الأشياء أو تجنب البعض الأخر، وكذلك الشعور باللذة والألم ... الخ وهذا هو علـى وجه الدقة مانعنيه بالخلق [٣٠].

ويقترب تعريـف جـالينوس الأخـلاق كحـال فطـرى لاعقلـى مـن التعريف الذى تتبناه اريوس ديدموس Arius Didmus فيلسوف بلاط الملك

اغسطس؛ وهو التعريف الذى أخذت به الاكاديمية فى ذلك العصر، والذى يتلخص فى أن الأخلاق هى سمة للجزء اللاعقلى من النفس، والتى بدورها تتبع العقل[٣١] ويشير بلوتارك إلى نفس التعريف الأكاديمى فى رسالته عن " الفضيلة الأخلاقية" [٣٢]ومن ثم فإن لنا الحق فى الربط بين عمل جالينوس، وبين الأفلاطونية الوسطى، وأن نضعه فى تقليد فلسفى للأكاديمية والذى يبدو أنه قد بدأ مع فيلون اللايرسى Ph.of Iarisa بل ربما مع معلم شيشرون انطيوخوس العسقلانى Antiochus of Ascalon.

وحيث أن هذا التعريف للأخلاق يستمد قوته بالاستناد إلى ردود الأفعال اللاإرادية لمختلف البشر[٣٣] تحت أى ظروف فإنه سوف يساعدنا فيما هو أكثر من ذلك، وهو إلى أى فيلسوف بالتحديد يدين جالينوس بالفضل فى مدخله للمسألة؟ وغالبا ماتتميز مناقشة حقائق من هذا النوع بأنها مناقشة تقليدية، بينما الذى يتغير ويتفاوت هو تفسيرها. وقد تعاقد مع كروسبوس وهو زائد الرواقية فى النصف الثانى من القرن الثالث قبل الميلاد مع تلك الحقائق بإسهاب[٣٤]، ولكن تعرض للوم فى القرن الأول قبل الميلاد من قبيل بنائيطوس Panaetius تلميذ وخليفة بوزيد ونيوس الروديسى[٣٥]. بسبب اعتقاده أن قضاياهما لايمكن تفسيرها بصورة عقلية، وقد قام بوزيد ونيوس بتقديم تفسير عقلى لتلك القضايا فى عمله الشهير "عن العواطف"[٣٦] وذلك من خلال استحداثه لمفهوم جديد للعناصر اللاعقلية فى النفس البشرية كما يتضح من عبارة جالينوس التى شرحناها فيما سبق، والبرهان المستخدم فى نظرية العواطف يمكن أيضا الاستفادة منه فى نظرية الأخلاق، ونستطيع أيضاً أن نتعرف على الخلاف بين بوزيدونيوس وكروسبوس من خلال عمل اسبق لجالينوس هو "عن المسرات" De Placitis [٣٧]. وحين نصل إلى هذه النقطة من الجدل فمن المقبول، على الأقل ظاهريا، أن نفترض أن نفس النزاع السابق الإشارة إليه كان أساس "للأخلاق" وأن هذا العمل إنما يستمد خصوصيته المتفردة فى تاريخ فلسفة الأخلاق "الأفلاطونية الوسطى" من تأثير بوزيد ونيوس[٣٨].

ويمكننا الاستدلال على تطابق آخر بيـن بوزيدونيـوس و "الأخـلاق" فى نفس الفصل والذى اقتبسه جالينوس "عـن المسرات" DE PLACiIIS، يقول جالينوس فى الختام "ليس فقط أرسطو أو أفلاطون همـا اللـذان تبنيـا هذا الرأى، بل أيضا الفلاسفة الأسبق لهما كذلك، خاصة فيثاغورس، وهذا مايؤكده بوزيدونيوس يقوله: "ان فيثاغورس هـو أول من وضـع النظريـة المشار إليها، بينما قام أفلاطون بتفسيرها بطريقـة أكثر عمقـا"[٣٩] وبرغـم اختصار الملخص العربى بصـورة ملحوظـة لكلمـات جـالينوس فـى نهايـة المقالة الأولى من "الآخلاق" ، فإن تلك الكلمات تعكس نفس الوضـع تجـاه الفترات المختلفة فى تاريخ الأخلاق اليونانية وهنا أقتبس الفقرة التالية[٤٠].

"إنه لهذا السبب فإن الفلاسفة القدمـاء مثـال فيثـاغورس وأفلاطـون. "قالت أن الأخلاق تنتمى للنفس اللاعقلية كما اعتـبر أرسـطو وآخـرون أن الأخـلاق مرتبطـة بصـورة جزئيـة بـالنفس الناطقـة، وعلـى الأغلـب فإنهـا ترتبط باللاناطقة، وعلى كل فإن الكثير من الفلاسفة المحدثيـن قـالوا : أن كل الأخلاق تنتمى للنفس الناطقة، بل أنهم ذهبوا إلى أبعد من ذلـك عندمـا ربطوا بينها وبين انفعالات مثل: الغضب والرغبة والخوف والحب واللـذة والألم، إلا أن الأدلة تثبت أن آراءهم غير ممكنة كمـا يقـول بلوتـارك فـى "الفضائل الأخلاقية"[٤١] وأن كان بلوتارك يتبع أرسطو وفـى الوقت نفسـه الـذى يرفـض فيـه كروسبوس بينمـا يقتـدى جـالينوس وبوزيـد ونيـوس بأفلاطون . ومن المعروف أن بوزيد ونيـوس يرفض تفسـير كروسبوس للأخلاق، ويؤكد فى نفس الوقت علـى تقسيم أفلاطـون الثلاثـى للنفس[٤٢] وإن كان من الوهلة الأولى يبدو مستغرباً أنه يربط بين بيانـه للأخـلاق وبين أفلاطون [٤٣]ولايوجد فـى محـاورات أفلاطـون نظريـة واضحـة فـى الأخلاق كما أن الفلاسفة اليونان لايعرفون أكثر مما نعرف عن مجموعـة المحاورات الخاصة بأفلاطون[٤٤] إلا أن موقفهم اختلف عن موقف شراح أرسطو فى ظل الامبراطورية كما كـانوا مقتنعين أن أفلاطـون قد اسس مذهبا فلسـفيا متكـاملا، وأنـه كـان واعيـا بكـل مسـألة أو مشكلة صـادفت

الفلاسفة اللاحقين عليه. بـل إنهـم يتوقعـون أنـه قد أجـاب علـى أسئلة لـم تطرح فى عصره. لقد نجحوا فى إكتشاف بعض عبارات فى المحـاورات توفر الإجابـة اللازمـة لتلك الأسئلة، وقد فعلوا ذلـك علـى سبيل المثـال بالنسبة للصيغـة الأفلاطونيـة الشـهيرة للأخـلاق والتـى صـارت منذ عهد ايدورس السكندرى مذهبا مقبـولا لـدى الاكاديميـة، كمـا ثبتتهـا "فـى الأخلاق" أيضاً[٤٥] وقد قام الفلاسفة اليونان بعمل دراسة دقيقـة لأفلاطـون لتكوين نظريته فـى المقولات فوجدوا أنـه لـم يعترف إلا بشـيئين وهمـا: الجوهر، والعلاقة[٤٦] ويمكن استخدام نفس الطريقة فى حالة الأخلاق كما أنه من الممكن استنباط نظرية أخلاقية من عبارات عديدة فى المحاورات، ومن الواضح بالنسبة لنا أنه قد تم اتباع تلك الطريقة بدئاً من القرن الأول قبل الميلاد، ثم انتقلت بواسطة الأخلاقيين الأفلاطونيين مثل جـالينوس. وفى الواقع فإننا نجد بعض العبارات التى يفترض فيها أفلاطون الأخـلاق كميل فطرى غريزى وثابت للنفس الإنسانية، بل أنه يذهب إلى ماهو أبعد من ذلك بتفسير تلك العبارات مستنداً إلى التشابه بين الحيوانات والأطفـال فى عمر مبكر كما فعل جالينوس بطريقـة أكثر تـأن ومنهجيـة[٤٧] وأشـير هنـا علـى وجـه الخصـوص إلـى عبـارة مـن الكتـاب الثـانى عشـر مـن (القوانين) يشرح فيها أن أخلاق الحيوانات والأطفـال الصغـار جدا تـبرز صفة الشجاعة قائلا: فى الواقع فإنه يمكن أن تتميز النفـس بالشـجاعة مـن خلال قابلية فطرية مجردة مستقلة عن العقل [٤٨] لأنـه بالطبيعـة وبـدون الفكر تصبح الـروح شـجاعة. وبصفـة عامـة فـإن القدمـاء قـدروا أهميـة العنـاصر اللاعقلية فـى فكر أفلاطـون بصـورة أفضـل بكثـير ممـا فعـل مفسـريه المحدثين[٤٩].

وربما كان من المثير أن نعلم أن الأرسطوطاليين الأوائل قد حكموا علـى إنجـازات أفلاطـون انطلاقـا مـن نفس وجهـــة النظـر التـى تبناهـا الأفلاطونيون أنفسهم، بطريقة أكثر ثباتا منذ القرن الأول قبل الميلاد وإلى مـابعد ذلـك التـاريخ. ويقدم مؤلـف العمـل الأرسطى المنحـول "الأخـلاق

الكبرى" Magana Moralia وهـو معـاصره ثيوفراسطس theophrostus . الذى يمثل الجيل الأول من الأرسطوطاليين(٥٠) يقدم سيرة نقدية مختصـرة للأخلاق "فى الفصل الأول من درسه(٥١) (1.1.1182.15) حيث يقول: "وبعد فيثاغورس جاء سقراط. إلا أنه لم يكن ناجحا لدرجة أنـه فـى سياق علـوم الفضائل يتخلص من الجزء اللاعقلى من النفس، ولذلك فإنـه أى سقراط لايعتبر قد حقق نجاحا فى ذلك الصدد، أى معالجة الفضائل، ثـم جـاء مـن بعد سقراط أفلاطون الذى قسم النفس، إلى جـزء عقلـى وجـزء لاعقلـى ـ وكان محقاً في ذلك ـ فنسب كل فضيلة إلى مايخصها من أقسام النفس "إن مـن شـأن بيـان كهذا أن يوفـر لنـا إجابـة عـن سؤال وهـو: لمـاذا اختـار جالينوس وأسلافه الهجوم على عقلانية كروسبوس بأسم افلاطون؟ .

(٣)

وقد تمكـن جـالينوس مـن تعزيـز برهانـه علـى نسبة الأخـلاق إلـى النفس اللاعقلية، وذلـك بمراقبـة الحيوانـات والأطفـال الصـغار الذيـن لـم يبلغوا بعد مرحلة العقل، أو مازال العقل فى مرحلة النمو بالنسبة لهم. وقد ساعد هذا أيضا على فهـم تـام ومقنـع لطريقـة آداء النفوس الثلاثة والتـى تشكل الأخلاق عند الإنسان البالغ الناجح، وكما هو الحال بالنسبة لمذهب جالينوس فى البحث فإنــه يفحـص أولا الأخـلاق التـى يمكـن متابعتهـا فـى سلوك الحيوانات والأطفال الصغار، بغرض التمييز بين حركات الحيوان التلقائية الخالصة، وحركاته المشوبة بشىء من التفكير، ولأن الحيوانـات تكون بطبيعة الحال قادرة على إعطاء الأولويـة أو القيـادة للنفس العقلية، وكذلك الأطفال الصغار يكونون فى مرحلة غـير قـابلين للتـأثير بـالتدريب الأخلاقى والمنطقى (٥٢) إلا أنه فى الوقت الذى تتميز فيـه سـمات الأنـواع المختلفـة مـن الحيوانـات بالثبات والانتظـام فـإن الأمـر يختلـف بالنسـبة للكائنات البشرية التى تتميز بالخلق فطريا، وهـذا هـو ماتوصلنـا إليـه مـن مراقبة الأطفال فى أعوامهم الأولى المبكرة .

وسأوضح هنا طريقة جالينوس من خلال فقرتين من الجزء الأفتتاحى للمقالة الأولى من "الأخلاق"، وتستمد الفقرتان أهميتهما الخاصة من كونهما متفردتين فى النصوص اليونانية الموجودة لدينا. وتتناول الفقرة الأولى خلق الحيوانات، بينما تدور الثانية حول النمو والتطور التدريجى لنفس الطفل خلال الثلاثة أعوام الأولى من العمر عندما تقتصر العناية به فى هذه الفترة على مربيات أو حاضنات أميات، والفقرتان هما:

(أ) وكما استند جالينوس فى دليله الأول بالنسبة للسمات اللاعقلية للأخلاق على مراقبة التصرفات اللاإرادية مثل الإبتسام والبكاء... الخ فإنه يسترسل فى نفس السياق (ص٢٥س ١٠ ومايليها نشرة كراوس): وكما نلاحظ أخلاق الأطفال الصغار فإن سلوك الحيوانات اللاعقلى يثبت نفس الشىء(٥٣). فنحن نرى أن بعض الحيوانات تتميز بالجبن مثل الإبل والأرنب البرى، والبعض الآخر يتميز بالشجاعة مثل الأسد والظبى، وبعضه ذا مكر كالثعلب والقرد، وبعضه اذا أنس بالناس كالكلاب(٥٤). وبعضها وحشيا نافرا من الناس (٥٥). كالذئاب ومنه مايحب العزلة(٥٦) مثل الأسد ومنه مايحب الاجتماع قطيعا قطيعا (٥٧) كالخيل ومنه مايجب الاجتماع زوجا زوجا كاللقالق، ومنها مايجمع الغذاء، ويعده لنفسه كالنحل والنمل(٥٨) ومنه مايكسب الغذاء يوما بيوم كالحمام، ومنه مايسرق ما لاينفع كالعقعق فإنه قد يسرق الفصوص والخواتم والدراهم والدنانير فيخبأها، ولهذا قالت الفلاسفة القدماء إن "الأخلاق لغير الناطقة" وقد تم حصر تشكيلة كبيرة من أخلاق الحيوان، وكان العمل المشترك فى كل المواقف التى تم رصدها هو حدوثها بدون تردد أو تفكير أو تعلم بل جاءت معبرة عن أخلاق دائمة .

ولاتتوافر بالنسبة لنا قائمة مشابهه لأخلاق الحيوان فى النصوص اليونانية المتوفرة لدينا، واستطيع أن أؤكد أن خلق الحيوان لم يستخدم فى أى مكان آخر فى موضوعات مشابهه، وعلى كل فإن هناك دليلاً وافياً على كل الصفات الفردية المذكورة والمتناثرة فى نصوص من أصل واحد

تعود إلى الفترة الهلنستيه[٥٩] فمراقبة الحيوانات تضرب بجذورها فى الأدب اليونانى[٦٠] ولكن مايهم بالنسبة لمفهوم الفقرة المقتبسة، والتى ذكرناها ونحن بصدد دراستها هو الاستخدام الموسع فى فلسفة الأخلاق، وعلى سبيل المثال لم يستخدم أرسطو فى الأخلاق الأودويمية والنيقوماخية كثيرا من الأمثلة المأخوذة من مملكة الحيوان[٦١] وهو لاينسق بين أبحاثه فى علم الحيوان وبين أعماله الأخلاقية[٦٢]. والمشاءون الأرسطاطاليو على العكس من ذلك فقد قطعوا شوطا بعيدا فى ذلك الاتجاه فهم قد اختصوا بالأهتمام بأخلاق الحيوانات والأطفال الصغار، وهذا نتعرف عليه من الكتب اللاحقة 'تاريخ الحيوان" والتى يعتقد الآن على نطاق واسع أن تلاميذ أرسطو هم الذين قاموا بتأليفها[٦٣]. من أخلاق ثيوفراسطس Theophrotus ومن عناوين رسالتيه المفقودتين . تاريخ وأخلاق الحيوان .

وبداية (تاريخ الحيوان، الكتاب الثامن، المقالة الأولى) بالإضافة إلى مجمل الكتاب التاسع، وهو ذو طبيعة تعليمية خاصة إذا ماقورن كتاب (تاريخ الحيوان١٨) وأخلاق المشائين أريوس ديدموس Arius Didumus فى ستيابوس Stobaeus ٢-١١٦-٢١ مابعدها Wachsmuth وشيشرون "الواجبات 541ff55 De fin [٦٤] وهذا الإهتمام بأخلاق الحيوان يزداد فى الأدب الفلسفى اللاحيوانى للعصر اليونانى، وبالتالى فإن الإشارة إلى الحيوان تكثر نسبيا فى النصوص الفلسفية مثل الأخلاق لبلوتارك، وكذلك فى الكتابات الفلسفية لسنيكا[٦٥]. ويتوقع المرء أن يجد اقرب التطابقات مع أطروحات جالينوس فى مقالات عن ذكاء الحيونات والتى بقى لدينا بعض منها، وربما أفادت المقارنة مع فيلون السكندرى[٦٦] وبلوتارك[٦٧] وفرفوريوس[٦٨] فى إبراز مدى تفرد جالينوس حيث أنه لايبحث عن أصول الذكاء والفضيلة فى الحيوانات كما يفعل أولئك المؤلفون، ولايستعمل مثل كروسبوس المادة الغنية المتاحة لديه ليثبت ببساطة أن الحيوانات كائنات غير عقلية بينما الإنسان كائن عقلى، يجب أن يستأصل

من نفسه كل مايشترك فيه مع الحيوان. إن مفهوم جالينوس للنفس الإنسانية أكثر ملاءمة ففى الوقت الذى يطالب بمجرد السيطرة وليس إلغاء كل العناصر اللاعقلية من النفس فإنه يستشهد بملاحظة الحيوان لتدعيم موقفه ووجهة نظره. ويمكن متابعة نفس الموقف تجاه الحيوانات لدى بوزيدونيوس(٦٩) وأنه لمن المشوق اجراء عملية ربط بين وجهة نظر جالينوس وبين تدريسه، وكما نعلم فقد قدر وتقبل إلى حد معقول أخلاق بوزيدونيوس، وربما أصبح من المنطقى الآن استخدام النص الحديث (الأخلاق) لإعادة صياغة آراء بوزيدونيوس عن الأخلاق بطريقة واعية، ولكن مما يزيد من صعوبة المهمة إهمال المختصر العربى كل الأسماء ماعدا أشهر الأسماء اليونانية بينما عرض عن المسرات De Placitis اقتباسات واضحة وصريحة من بوزيدونيوس.

(ب) ويبدأ الفصل الذى يتناول فيه جالينوس النمو الأخلاقى والعقلى للأطفال الصغار كما يلى:(٧٠) وحالات نفس الإنسان الممدوحة تسمى؛"فضيلة" والمذمومة تسمى "رذيلة" وهذه الحالات تنقسم إلى قسمين:[١] منها مايحدث للنفس من بعد الفكر والروية والتمييز فيقال لها "معرفة" أو "ظن" أو "رأى" . [٢] ومنها مايعرض للنفس من غير فكر فيقال لها الميل الأخلاقى .

ومن هنا فإن الشر والفضائل الأخلاقية تكون عادة نتيجة الميل الأخلاقىوالتفكير والتمييز، ومن الواضح أن اهتمام جالينوس فى هذا الفصل لاينصب على الجزء العقلى، ولكن على الجزء اللاعقلى من النفس. وجد فى بداية المقالة الرابعة من "الأخلاق"(٧١) ملخصاً موجزاً لسيكولوجية العقل تأثر فيه جالينوس إلى حد كبير بالرواقية: وتظهر بعض "الأخلاق" فى المواليد بمجرد ولادتهم، وقبل فترة التفكير، حيث يبدأ لديهم فى الحال الشعور بالألم فى الجسم وعدم الارتياح فى النفس. مما يسبب لهم البكاء، لأن كل مولود لديه المقدرة على التخيل لما يوافقه ومايعكس هواه أو ميوله، ونفس الشيء يوجد فطريا فى الحيوانات غير

العاقلة، وأنا أعنى أنهم يدركون بواسطة حواسهم مايحدث لأجسامهم، ويتصورون أن بعض مايحدث لهم أو تتعرض له أجسامهم مريح ومتفق معهم والبعض الآخر على العكس من ذلك وبالتالى فإنهم يرغبون فيما يريحهم ويتجنبون ماعاكسهم(٧٢). وغالبا مايحاول الأطفال فى عمر سنتين أن يضربوا بأيديهم وارجلهم كل من يعتقدون أنه يسبب لهم أذى. وهذا يدل على أنه قد تكون لهم فى هذه المرحلة بالإضافة إلى قدراتهم على تخيل ماهو مفضل لديهم وماهو معاكس لهم، قدرة على تخيل الأسباب الفعالة المسئولة عن ذلك والمسببة له. وبالإضافة لكل هذا تتكون لديهم الرغبة فى الانتقام من سبب أو مصدر آلامهم، والحب لكل من يزيل مصدر الأذى عنهم، لذلك نجدهم يبتسمون لمربياتهم بينما يضربون وربما يعضون المصدر الذى يسبب لهم الأذى وهذا الفعل يسمى بالغضب، ويحدث معه احمرار فى العين واحمرار شامل فى الوجه وسخونة واندفاع للدم. وبذلك يتضح جليا أن الرغبة فى الانتقام من المهاجم له تكتسب بالتعلم وأن كانت فطرية كالرغبة فى تجنب كل مايسبب الأذى وحب كل مايسبب اللذة والسرور، والرغبة فى انتقام الأطفال ممن يسبب لهم أذى إنما هى فطرية مثلها فى ذلك مثل الميل لكل ماهو سار وتجنب كل ماهو مؤذى ومؤلم .

فإذا صار الصبيان إلى السنة الثالثة تبينت فيهم آثار(٧٣) الحياء(٧٤) والقحة: فترى بعضهم يخجل ولايرفع نظره فى وجه من يلومه على فعل ماقد نهى عنه، ويسر بالمديح، وبعضهم على العكس، وهذا يظهر فى الذين لم يؤدبوا بعد بضرب وخوف ومن كان يحب الكرامة فإنه يحتمل المشقة فيما يرجو به المدح وإذا كان هذا يحب الكرامة حبا طبيعيا، لاخوفا من شيء محسوس ولاطلبا لشيء محسوس فهو يفلح " ومن كان بالعكس من هذا فلا يفلح ولايتعلم ولايقبل أدبا خلقياً ولاكتابياً، ومما يدل أيضا على أن بعض الصبيان يميلون بلا فكر ولاعزيمة رأى إلى الفضيلة، وبعضهم إلى الرذيلة أنا قد نرى أنه قد ينال أحدهم الأذى ممن

يلاعبه فيرى بعضهم يرحمه ويعينه[٧٥] وبعضهم يضحك عليه ويفرح به وربما ساعد وشارك فى اذيته[٧٦] وقد نرى بعضهم يستخلص بعضا من المصاعب، وبعضهم يدفعون بعضا إلى المواضع المهلكة ويبخسون ويعضون، وبعضهم يعطون بعضا مما فى أيديهم وبعضهم لايسمحون بشىء مما فى أيديهم ومنهم من يحسد ، ومنهم من لايحسد[٧٧]، وهذا كله قبل التعامل الأخلاقى".

وتظهر فى هذه المرحلة الأخلاق المختلفة وحتى المتناقضة ويصحب، ذلك ظهور محددات التربية المستقبلية ، ويمكننا أن نضيف إلى المختصر(الناقص فقرة مأخوذة من فصل فى "تعرف المرء على عيوبه" De offectum digntioe والذى لايشير على أى حال إلى أن النمو التدريجى لصفات الأطفال لايرقى إلى الشك أن تلك الفقرة تعتمد بالفعل على "الأخلاق" Demoribus[٧٨] (ودى بور 24-7.9.14P.25 .Cap):

"وحقيقة أن الأفراد يختلفون بالطبيعة، يمكن بوضوح تعلمها من مراقبة الأطفال الذين لايقدرون على المشى بعد "الأطفال المحمولين" ونلاحظ أن بعض الأطفال يتميز بالذكاء والنشاط أو الأبتهاج، والبعض الآخر يتميز بالاكتئاب ، والبعض حاضر الابتسامة دائما بينما البعض لآخر يبكى لاقل سبب، والبعض يسمحون بتداول ما فى حوزتهم مع رفقائهم بينما البعض الآخر يتصف بالجشع والاستبداد بعضهم يغضب بشراسة من التفاهات أى من أتفه الأسباب ويعضون ويرفسون وربما يتقاتلون مع رفاقهم بالعصى والأحجار عند اعتقادهم أنهم قد تعرضوا للأذى، بينما البعض الآخر يتميز باللطف والتحمل ولايغضب أو يبكى إلا إذا تعرض لأذى كبير وفضلا عن ذلك فإنه يمكن ملاحظة أن بعض الأطفال يتميز بالخجل والبعض على العكس من ذلك يتمتع بذاكرة قوية، بينما البعض الآخر ينسى بسهولة، كذلك هناك البعض ممن يتميز بالطيش والتهور، بينما البعض الأخر يتصف بالتروى والهدوء. كذلك نجد البعض مغرما بالتكريم والبعض الآخر ليسوا كذلك كما أن البعض مغرمون بالنبل وآخرين ليسوا

كذلك. ثم يعقب: وبنفس الأسلوب فإننا نلاحظ بعض الأطفال يميلون إلى الزيف أو التزييف بحكم الفطرة بينميا يمل آخرون إلى الحقيقة والواقع أن بعض الأطفال لديهم اختلافات أخرى كثيرة فى الخصائص والأخلاق. كما نلاحظ أن جالينوس يستخدم كلا من الخلق والأخلاق كمترادفين ونتسائل من هو أول عرف بتطابقهما؟ (٧٩).

ويشير جالينوس مرة أخرى فى فصل من الكتاب الثانى "الأخلاق" إلى الاختلافات الفطرية الطبيعية ؛ والتى تتفاوت بصورة بسيطة وتضيف عنصرا جديدا(٨٠) "تنقسم نفس الإنسان بحكم الفطرةا إلى ثلاثة أجزاء: النفس العقلية، والغضبية، والشهوانية" حيث ترتكز النفس الإنسانية على تلك الأقسام وهو تنمو تدريجيا وتختلف سمات الناس حيث أن شهوات النفوس الثلاثة تختلف من حيث القوة، والضعف، والقوة النسبية وتشكل الفردية: " كل الأجسام البشرية تتشابه فى أن لها نفس الأعضاء ولكنها تتفاوت من حيث القوة والضعف والحركات، فالبعض على سبيل المثال يسمع ويرى جيدا، والبعض الآخر لايسمع جيدا، أو ضعيف البصر، هناك أيضا البعض ممن يتميزون بوضوح وتدفق الكلام، بينما يتلعثم آخرون، ويعانون من عدم وضوح الصوت، وهناك البعض أيضا ممن هم سريعو العدو بينما الآخرون بطيئون، فالبشر يتفاوتون بعدا وقربا من الحدود القصوى للخصائص والقدرات، وبنفس الطريقة فإن الأطفال الصغار لهم ميول نفسية مختلفة منذ وقت ولادتهم مثل : الطمع، والغضب، والوقاحة، وخلق مختلفة مثل: الأخلاص، والزيف، والذكاء، والغباء، والذاكرة، والنسيان، وتبدو هذه الكلمات لجالينوس كما لو كانت صدى متأخر لأخلاق بنائيطوس أستاذ بوزيد نيوس والذى عالج بنجاح كل من الحياة الأخلاقية للفرد والكائن الإنسانى السوى، والمريد للفلسفة الرواقية وللأخلاق الأرسطية(٨١) واقتبس هنا من كتاب شيشرون "فى الواجبات" 157:(107-1): علينا أن ندرك أيضاً كما لو أن الطبيعة قد وهبتنا شخصيتنا الأولى. والتى تنجم من حقيقة كوننا جميعا قد منحنا

المنطق ومن ثم الأفضلية التى ترفعنا فوق سائر الوحوش، ومن هنا جاءت أسباب الأمانة والشرف، والتى عليها أيضاً يعتمد أسلوبنا العقلانى فى تحمل الواجب، أما الشخصية الثانية فهى تلك التى تمنح للأفراد كل على حدة. وبالنسبة للطبيعة الجسدية الممنوحة لنا، فإن هناك اختلافات كبيرة فالبعض كما نرى يتفوق فى سباق الجرى وآخرون يتفوقون فى المصارعة، وهكذا نفس الأمر بالنسبة للمظهر الشخصى، فالبعض يتسمون بوقار المظهر، والبعض الآخر لهم مظهر الرشاقة، اما الاختلافات فى طبائع الشخصيات(٨٢) فهى اكبر من ذلك بكثير. ويتابع القائمة للايثوس (الأخلاق) مثل المكر، والغضب والطموح بأمثله من التاريخ اليونانى والرومانى مثل: المنافقون، الباردون، البسطاء (السذج) المتفتحون" هناك اختلافات أخرى كثيرة فى الطبيعة والأخلاق، وهى مع ذلك لاتعاب إلا قليلاً جداً(٨٣). واعتقد أن المقارنة بين الفقرتين السابقتين ربما تتيح لنا البحث فى اسلاف جالينوس الروحيين أن نذهب إلى ماوراء بوزيد وينوس لنربط بينه وبين بناتيطوس الذى كان أول من ثار ضد الجمود الادراكى والمنطقى للرواقيين الأوائل وعلى كل حال فإنه ليس لدينا مايبرر نفى فكرة مشاركة بوزيدونيوس فى وجهة نظر استاذه(٨٤).

ولايقر جالينوس فى "مختصر الأخلاق" مبدأ التطابق بين الصفات الجسدية والأخلاقية، كما أنه لايأخذ بالتفسير الذى يربط القدرات النفسية بحالة الجسم التى تتأثر بدورها بالعوامل المناخية، ولكن من المحتمل جدا أن يكون جالينوس قد عالج هذا الجانب من المسألة فى العمل الكامل، ويمكن الرجوع إلى مقالة قوى النفس توابع لمزاج البدن والذى يلخص الفصل الذى شرحناه كما سبق من "الأخلاق" (٨٥) حيث لايسهب فقط فى شرح وجهة النظر التى ترى أن ليس لكل الكائنات البشرية نفس السمات الوراثية، ولكنه يؤكد ايضا على وجه الخصوص على حقيقة أننا غالبا ما نلاحظ أطفالا فى غاية الشر(٨٦).

(٤)

نبدأ الآن فى بحث استنتاجات ملاحظات جالينوس للأطفال الصغار والحيوانات، وأنا هنا استشهد بالجزء التالى للفصل الذى ناقشناه منذ قليل من "الأخلاق" (٨٧)، وكل هذا يعتبر تمهيد للتدريب الأخلاقى وبشكل عام فإنه لاتوجد على سبيل المثال الأفعال والتصرفات العواطف أو الانفعالات ولا الميول الأخلاقية فى الرجل الناضج إلا وكانت موجودة لديه فى مرحلة الطفولة، وهذا ينفى فكرة أن كل الأحداث أو الأفعال التى تحدث نتيجة للتفكير والتأمل لاتسمى فعلاً ولكن تسمى رأيا أو وهماً صادقاً أومعرفة. والفعل هو عبارة عن حركة تلقائية لها وجود مماثل عند الحيوانات أيضا، وبذلك فإن المذهب الرواقى يكون مرفوضا نهائياء والأخلاق برغم كونها غير عقلية إلا أنها ليست غرضية أكثر من كونها انفعالات أو عوطف، وهى موجودة لدى الحيوان أيضا، ومع كونها طبيعية فى الإنسان فإن لها القدرة على النمو والتطور من خلال التدريب والتعليم، فالعادة يمكن أن تولد طبيعية ثانية (٨٨).

فإذا كانت الأخلاق وراثية فإن ذلك يحد من قدرات وإمكانيات التعلم وقد ينطوى هذا على مزيد من الخلاف مع الرواقية الارثوذكسية ووجهة نظرها المتفائلة القائلة بأن التأثيرات المبكرة والتعليم وحدهما هما مايشكلا السمات الأخلاقية للإنسان، واستشهد مرة أخرى بالفصل الأفتتاحى من "الأخلاق" (نشرة كراوس ص ٣٠-٥١) قوله: إنه لمن الضرورى للشخص البالغ أن ينظر فى تصرفاته أو أفعاله واسبابها، حيث أننا نجد أن السبب فى بعض تلك التصرفات والأفعال هو الأخلاق وفى بعضها الآخر هو التفكير والسبب فى كل مايتولد عن الفطرة أو العادة هو الأخلاق، والسبب فيما ينشأ نتيجة للتأمل والتروى هو التفكير ويمكننا استئصال الآراء الشريرة من النفس بأن تثبت لأنفسنا زيف هذه الآراء باستخدام تفسير عقلى منطقى ولكن إذا ماكنت تلك الآراء الشريرة ناشئة عن فطرة أو عادة فإنه لايمكن بواسطة تلك البراهين استئصالها بصورة كلية، ولكن

يمكن إضعافها ، ولايقتصر ارتباط " الأخلاق" أولا تتقيد فقط بالفطرة بل بالعادات الثابتة وبما يرسخه الإنسان فى نفسه وبما يفعله فى حياته اليومية وتشترك العلاقة بين الشاب والشيخ الكبير مع الشجرة المزروعة حديثا ونفس الشجرة عند تمام نضجها، وذلك من حيث تصحيحها الخلق حيث أنه فى طورها الأول تتحنى فى الاتجاه الصحيح ولكن عند تمام نضجها فإنه من الصعب بل من المستحيل أن تعدل أو تغير اتجاها كما يعرفها جالينوس فى التعرف على الأخطاء Defectuum dignotine [٨٩] وهى نتاج الفطرة الطبيعية، ومحاكاة للبيئة كما أنها تكون لاحقة للتدريب أى تأتى بعد الرشد أو الإدراك[٩٠] وتناظر القابلية للتعلم مختلف أنواع الأخلاق التى نلاحظها فى الأطفال الصغار فالبعض منهم يستوعب بسهولة قدرا جيداً من التعليم أما البعض الآخر فلا يستفيد منه بشىء[٩١]، ومع ذلك فلايجب أن نيأس من جدوى التعليم[٩٢] وإذا كانت فطرة الأطفال تتشكل على أساس المزايا التى يتيحها لهم التعليم فإنهم فى هذه الحالة يمكن أن يصبحوا بشرا صالحين عند نضجهم، أما اذا لم يحدث ذلك فربما نكون قد قمنا بواجبنا على الأقل " فالعناية بالأطفال ، وتوجيههم تشبه إلى حد كبير العناية بالنبات[٩٣] فلايوجد زارع له القدرة على انبات العنب من اشجار العليق الشائكة[٩٤] لأن طبيعتها لاتتوافق أو تسمح بمثل هذا الإنجاز وعلى الجانب الآخر إذا أهملنا أشجار الكروم التى لديها القابلية لانبات العنب وتركناها للطبيعة وحدها فتحمل إما ثمار ضعيفة رديئة أو لن تنبت على الأطلاق وينطبق نفس الشىء على الدب حتى وإن بدا أنه قد اصبح اليفا ومروضا فإنه لن يكتسب الألفة ابدا كصفة دائمة اصيلة، وكذلك العقارب والأفاعى السامة تظل دائما بنفس الضراوة الشراسة غير قابلة للترويض تمام فليس هناك مايمكن سوى تدميرها مثلهم فى ذلك مثل الإنسان الشرير بطبيعته والغير قابل للاصلاح أو العلاج[٩٥].

ومرة أخرى نجد انفسنا أمام إغراء عقد المقارنة بين ذلك التقدير للتفرد وبين موقف بنائيطوس Panaetuis فى المقال الأول من كتاب

شيشرون De officiis حيث لايقتصر على معالجة برهان الأخلاق مثله فى ذلك مثل جالينوس، ونستطيع أن نلحظ فروقا جوهرية بين وجهة نظرها جالينوس وبنائيطوس، باستثناء تميز الأخير بغرابة الأطوار والمرواغة. (٩٦)

والقضية الرئيسية من وراء كل تلك الاسئلة هى حقيقة أصل الشر فى الإنسان، وحسب مايذكر كتاب مسكويه فى فلسفة الأخلاق(٩٧) والفصل الحادى عشر من مقال جالينوس "فى أن قوى النفس توابع لمزاج البدن" فإننا نعلم من كل ذلك أن جالينوس قد اهتم بهذه المسألة لدرجة كبيرة وربما كان فى حدود المسموح به أن نكمل المختصر (الناقص) للعملين المزعوم أن كلا منهما يمثل النص الكامل "للأخلاق" ويذكر مسكويه(٩٨) أولا بعض فلاسفة الرواقية الذين يعتقدون أن كل الكائنات البشرية خيرة وصالحة بالفطرة ولكنها تفسد بعد ذلك متأثرة بالبيئة والمحيط الفاسد وتسيطر عليهم الرغبات الشريرة التى لايفلح التعليم فى كبحها. وقد اعتقد الكثيرون فى مرحلة سابقة على الرواقيين إن الإنسان قد خلق من احقر مادة وهى بالتحديد الوحل أو الحمأة، ولذلك اعتبروا أن الإنسان شرير بالفطرة ولكنه بمكن أن يصلح بالتعليم، ولكن أولئك الذين هم فى غاية الشر لايمكن أن يتحولوا إلى الخير، أما اولئك الذين يؤمل فى علاج شرهم فإنهم يمكن أن يتغيروا من الشر للخير: بدءا من الطفولة إلى مابعد ذلك، من خلال الأصدقاء الصالحين المتميزين(٩٩) وطبقا لما يذكره مسكويه فإن رأى جالينوس هو " أن بعض الناس صالح، والبعض الآخر شرير بالفطرة، وآخرين بين الصنفين. ثم انقلب جالينوس بعد ذلك ورفض الرأيين المذكورين معا منتقداً الرأى الأول بالطريقة التالية: لو أن كل البشر صالحين بالفطرة ثم أصبحوا أشرار من خلال التعليم فإنهم بالضرورة يكونوا قد تعلموا الأشياء السيئة أما عن طريق انفسهم أو عن طريق آخرين فإذا كانوا قد تعلموا ذلك من آخريين كالمعلمين مثلا فإن هؤلاء المعلمين أشرار بالطبع، ومن هذا نخلص إلى أن ليس كل البشر

صالحين بالفطرة، أما إذا كانوا قد تعلموها بأنفسهم، ففى هذه الحالة إما أن يكون لديهم استعداد أو قدرة والتى بواسطتها يرغبون فى الشر، ومن ثم فهم اشرار بالفطرة، أو أن يكون لديهم بالاضافة لاستعدادهم للشر قدرة اخرى، وهى التى يرغبون بواسطتها فى الخير وتخضعها لسلطانها، وبذلك يمكن القول مرة أخرى بأنهم سيئون بالفطرة [١٠٠] أما وجهة النظر الثانية فقد هدمها بحجة مماثلة للسابقة حيث قال:" لو كان البشر اشرار بالفطرة فإنه يمكن لهم تعلم الخير من آخرين أو بأنفسهم، ويكرر نفس الحجة الأولى السابقة بنفس الأسلوب[١٠١]. وبدحض آراء هاتين المدرستين عزز جالينوس وجهة نظره بما هو واضح وبديهى لأن من الواضح أن قليل من الناس صالحين بالفطرة ولايمكن افسادهم بينما هناك اشرار كثيرون بالفطرة ولايمكن أن يصيرو من الأخيار، وهناك الآخرون بين هذا وذاك فهم ليسوا بالاشرار أو الأخيار، لكن يمكن أن يتحولوا إلى أخيار عن طريق صحبة الأخيار ومواعظهم، كما يمكن أن يتحولوا إلى الشر بارتباطهم بالاشرار وغوايتهم[١٠٢]. ومن الواضح أن جالينوس فى مقالته والكاتب العربى مسكويه فى القرن العاشر قد اشار إلى أنهما قد استقيا من نفس المصدر، فمسكويه احيانا يسهب اكثر من جالينوس، بينما نجد لدى جالينوس فى احيان اخرى موضوعات لم يشملها البيان العربى للعمل الأكبر[١٠٣] ويركز الأيضاح الاضافى فى مقالة جالينوس الصغيرة على المؤلف الذى يعتمد عيه كل من جالينوس ومسكويه: انه من الخطأ موافقة كروسبوس فى افتراضه بأن كل إنسان قادر على الفضيلة وأنه لمن المثير أن نعلم أن فلاسفة الرواقية يفسرون الشر بأنه فساد فى النفس ناتج من فساد البيئة، لأن هذا البرهان لايمكن تطبيقه على البشر الأوائل[١٠٤]، حيث لم يكن هناك محيط أو بيئة أو صحبة بعد، ان نقابل بينهم بعض الأشرار، ولايمكن تطبيقه كذلك على الأطفال الصغار الذين يمكن هناك أن نقابل بينهم بعض الأشرار محيط أو بيئة أو صحبة بعد، وقد عاب بوزيدونيوس وهو أعمق الرواقيين علماء، على اولئك الفلاسفة الرواقيين لأهمالهم تلك الحقائق الواضحة[١٠٥] ولم يشاركهم رأيهم فى أن

الشر يدخل نفس "الإنسان في مراحل تالية للطفولة المبكرة من خارج نفسه، يقول "أن للشر جذور متأصلة في النفوس ومنها تبدأ وتنمو وتكبر بذرة الشر في نفوسنا؛ وبدلا من تجنب الصحبة السيئة يجب علينا اتباع اولئك الذين لديهم القدرة على تطهيرنا حتى نتحقق من مدى نمو الشر فينا[١٠٦]، وقد أسهب في شرح اثنين من اعماله في الفلسفة الأخلاقية هما" عن العواطف" وبتفصيل اكبر عمله الثاني عن "الفروق بين الفضائل"[١٠٧].

(٥)

إنه من الواضح لنا الآن أن مجمل نظرية الأخلاق، واستنتاجاتها يبنى على التجديد الذى قام به بوزيدونيوس لسيكولوجيا أفلاطون في مواجهة أفكار كروسبوس على الجانب اللاعقلي في الإنسان، ونظريته متماثلة ذاتيا بموافقتها وتأكيدها على نقاط رئيسية في مؤلف بوزيدونيوس حتى ولو لم يكن هناك دليل مستقل على ذلك، ولكن بفضل عمل جالينوس المعروف عن "المسرات" Deplacitis يمكنناعمل مقارنة بين الملاحظات المتشابهة للأطفال، والتي ناقشها بوزيد ونيوس وطبقا لبيانه فإنه لم يكن معينا فقط بالتعبيرات الأولية للرغبة والطموح عند الحيوانات والأطفال ولكن أيضا بالتطور التدريجي للنفس البشرية[١٠٨] وقد اظهر اهتماما خاصا بتلك الاجزاء من "قوانين" أفلاطون، والتي تتناول المراحل المبكرة من الطفولة، وحتى مع الأطفال في مرحلة ماقبل الميلاد، والف ملخص لرؤى أفلاطون في الكتاب الأول من عمله عن العواطف[١٠٩] وفي نفس الفقرة فإن بوزيدونيوس يقرر أن الإنسان يصل للنضج في سن الأربعين وهذا التأكيد ليس مستغربا في حد ذاته ويمكن بالعودة للوراء تتبع مثل هذه الفكرة (النضج في الاربعين) في قصيدة سولون Solon الشهيرة[١١٠] وطبقا لرأى بوزيدونيوس فإنه في تلك السن تكون القوى الثلاثة للنفس قد تطورت ونمت تماما واصبحت في حالة جيدة من الاتزان[١١١]، ومن الأفضل هنا افتراض أن تلك السطور تعود إلى نفس

الفصل من عمل بوزيدونيوس الذى يبدأ بسيكولوجيا الطفولة المبكرة فى الثلاثة أعوام الأولى والذى نقرأه فى مختصر جالينوس "الأخلاق" .

ولذلك يمكننا استخدام مجمل الجزء الافتتاحي من "الأخلاق" لجالينوس رغم أنه قد يكون قد تعرض للتغيير والتبديل فى قضايا جديدة لما تبقى من أخلاق بوزيدونيوس، وقد نشعر بأننا مدفوعين للاعتقاد فى نسبية بعض قضايا أخرى متفرعة عن العمل الجديد لجالينوس إلى نفس المؤلف حتى وإذا لم يكن هناك دليل مقنع، وعلى كل حال علينا الحرص عند القول بأن كل من جالينوس وبوزيدنيوس فيلسوفين متقاربين إلى حد كبير، وبصفة عامة فإن هناك فرق كبير بين بوزيدونيوس رائد الأفلاطونية الحديثة وبين جالينوس العالم الشاك فى الميتافيزيقيا. فقد كان بوزيدونيوس فيلسوفا من طراز Cleombrotus the Iacedaemonian (١١٢) الذى وصفه بلوتارك فى النقض فى النبؤات De defectuora Culorum بينما كان جالينوس مثل سترابوا متأثرا اساساً بقدرته على الاستقصاء فى القضايا(١١٣) كما يوجد أيضا فارق زمني كبير بين جالينوس وبوزيدونيوس اكثر من قرنين ولاتتوفر لدينا معلومات كافية عن الفترة فيما بينهما ولا عن تطور مدارس معنية للأفلاطونية الوسطى، وهى الفلسفة الأخلاقية عند بوزيدونيوس ويمكن أن نؤكد واثقين أن أفلاطونية جالينوس فى الأخلاق وفى عمله تأثرت بقوة ببوزيدونيوس ولكن لايوجد مايبرر افتراض أنه يعيد تقديم واخراج كل مذهب ببوزيدونيوس (١١٤).

أنه لشيء يتجاوز قدرة جالينوس أن يحاول تجديد الروح الداخلية لفلسفة أفلاطون كما فعل أفلوطين فى القرن الثالث الميلادى لقد حافظ جالينوس على روح العلوم والطب، وكان ممثلا له على مدى الف سنة من الحضارة الأوربية وقد ظهرت اصالته فى انشطة أخرى للروح، ولكنه لم يحظى ابدا بتقدير كفيلسوف من الدرجة الأولى مثل أفلاطون وأرسطو وأفلوطين .

هوامش وملاحظات الدراسة

١ – قارن رسالــة Quod optimus medicus sit etiam philosophus المجلـد الأول ص ٥٣ – ٦٣ ,Kuhn Scripto minora ، المجلد الثـانى ليبـزج١٨٩١ ص ١ـ ٨ موللر .

٢ – كما يشير إليه Icop ، وعلى سبيل المثال فى النص المكتشف حديثا" الأخلاق" ص ١٢ س ٤٣ ، كراوس واقتباس من النص الكامل لجالينوس فى ابن ابى اصيبعه "عيون الأنباء فى طبقات الأطبـاء" تحقيق موللر ص ٤٣(=وص١٥-١٨ نشـرة كراوس)، قارن اراء أبقراط وافلاطون IP ص ١٣٣ وماليها هامش ٥ نشرة موللر.

٣ – II.Scr. min ص ٦هـ ٤ ومابعدهـا (= المجلـد الأول ص٥٩ س٦ ومابعدها Kuhm).

٤ – تفسير جديد لفلسفته فى ضوء معرفتنا المطورة بالفكر الهلنستى والأفلاطونى الجديد.

5 - Cop. 12 (Scripta minora ii PP. 121,51226 muiller = Vol. xix P. 49-46 Kuhin.).

٦ – طبعة دى بور الحديثة The corpus Medicorum المجلد الرابـع ٤,١,١ ليبـزج وبرلين ١٩٣٧، وتتميز هـذه النشرة للنـص، عـن طبعـات كوهـن (مجلد ٥ ص ١٠٣:١)marquardt(Scripto minora المجلد الأول ص١-٨١) وهذا العمل كان معروفا جيدا لدى العرب قارن، الترجمات العربية والسريانية التى قام بها حنين بن اسحق لجالينوس Uber die syrischen und arabischen Galen - Ubersetzungen, Xvii,2 Abhanlngen Fudr die Kundes Morgenlandes ليبزج ١٩٢٥ رقم ١١٨ براجستير Bergstrasser والنسبة للترجمات العربية، للرسـائل الأخلاقيـة الأخـرى لجالينوس قارن حنين، المرجع السابق ارقام ١٢٠،١٢١، وابن أبى أصيبعه، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، نشرة موللر، المجلد الأول ص ٨٧ وابو بكر الرازى، الرسائل الفلسفية نشرة كراوس القاهرة ١٩٣٩ ص ٣٥، وبراجيستر: حنين بن اسحق ومدرسته ليدن ١٩١٣ ص ٢٤، ٧٠ وماكس مايرهوف، ص ٨٥ ومابعدها.

٧ – قارن فرانز روزنتال: جريدة المجتمع الشرقى الأمريكى، العدد ٦٥ عام١٩٤٥ ص ٦٨ ومابعدها .

٨ – مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية، المجلد الخامس، الجـزء الأول عام ١٩٣٧ القسم العربى.نشر بالقاهرة١٩٣٩.

9 - Die libr propr. P.121, 10 M = Vol xixi P. 45 - 12 k .

١٠ - مخطوط تيمور باشا ٢٠٠ ، ٦ أخلاق الأوراق من ١٩١ ـ ٢٣٥ بالاضافة إلى بعض من الأشارات والاقتباسات من النص الكامل لكتاب العرب اللاحقين خاصة مسكويه (ت ٣٠. ١م) فى تهذيب الأخلاق ، وهو عمل هام عن الفلسفة الأخلاقية يستحق تحليلا خاصا، (قارن دائرة المعارف الإسلامية ٤٢٩,٢)

١١ - لم يكن من المستغرب عمل ملخصات للترجمات العربية والسريانية للأعمال اليونانية راجع حنين بن اسحق ، المصدر السابق ارقام (١٠،٥٧،٧٢،٩٢،٩٥،١٠٢،١٠٤) ٥ـ ريتر، فالترز.

١٢ - قارن حنين المصدر السابق رقم ١١٩، ودائرة المعارف الإسلامية Musa, banu. S.v وللعمل الذى لايوجد له اثر فى الادب اليونانى اللاحق له شيوع أكبر إلى حد مافى العالم الشرقى .

١٣ - Cop 6.1-9 (كوهن المجلد الخامس ص ٢٧-٦،٣٠،٣ ودى بور ص ١٩-٨ وما بعدها) .

١٤ - Cop 7.7.172 (كوهن، المجلد الخامس ٤٠،٤،٢٧ دى بور ٢٥-١٥ ومابعدها الأخلاق ج ١ص ٢٨ - ١٥-٦,٣ - كراوس انظر ص ١٥٥ وما بعدها.

١٥ - كوهن، المجلد الرابع ص ٧٦٨ ، ١٤٠٦ Scripto minora ، مولر (٢) ص ١٤،٣٢ ، ٣٣ بالنسبة Cop (٢)، كوهن المجلد الرابع ص ٨١٤، ٨٢٢,٨ Scrpto mimaro (٢) ص ٧٣ ، ٧٩,٣ ، قارن ص ١٦٠.

١٦- كراوس ٢٦: "لقد اوضحت فى كتابى آراء أبقراط وأفلاطون، أنه يوجد شىء مافى الإنسان يشغل التفكير جزءا منه، وشيئا آخر هو مصدر الغضب، وشىء ثالث هو مصدر الشهرة"، هذا العمل يعتبر واحد من اهم مصادرنا الأساسية للفلسفة الأخلاقية عند الفيلسوف الرواقى بوزدنيوس، قارن L,Edelstein مذهب بوزيديونوس الفلسفى، وراجع الجريدة الأمريكية للفيلولوجيا العدد ٦٧ عام ١٩٣٦ ص ٢٨٦ ومايليها وص ٣٠٥ ومابعدها .

17 - S. Vogt: De Galeni in libellum ١٩١ تعليق ونقاس ماريوج ص ٢

١٨ - كراوس ص ٧٠٢٣ ابن ابى أصيبعه المرجع السابق المجلد الأول ص ٧٦ س ١٩-٢٣ مولر Zur Geshishte des commodus Hermes ١٨ عام ١٨٨٣ ص ٦٢٣ ومايليها . وأيضا Mommeseng The

المجلد الرابع ض ٥١٤ ومايليها -Pauly **Gesammelte Schften**
Wissowa Kroll انظر اعلاه **S.V. Tigidus** وبذلك يمكننا تحديد التاريخ
النسبى الغير مؤكد حتى الآن لمقال **De affectuum et Peccatorum**
dignotione والتى قال أن نشر "الأخلاق" قد جاء فيها وتعزز الموقف بالنسبة
لتاريخ لاحق ١٩٣ بعد الميلاد لمقاله' قوى النفس توابع لمزاج البدن" قارن المصدر
السابق العدد ٤٧ عام ١٨٩٢ ص ٥١٠. ٦١و١٨٩٦ ص ١٨٩ .

١٩ - كما هو مشار إليه رقم ١١٩ .

20 - Seneca . Epist. 95-65 .

٢١ - الإنسان حر، وهو سيد ارادته، وليس هناك ماهو أجدر به من أن يضع نفسه فى أعلى مراتب الشرف، وليس هناك شرفا أعظم من التشبه بالله حسب القدرة الإنسانية وهذا الهدف يمكن تحقيقه بإهمال المتع، واللذات واستبدالها بالخير : كراوس الجزء الثانى، ص ٤١ .

٢٢ - قارن على سبيل المثال كراوس ج ٢ ص ٣٥" كل إنسان يمدح ويعجب" .. واولئك الذين يعتقدون فى تكريس حياتهم لنشاطات الحياة العقلية مثل سقراط وأفلاطون واخرون قارن **N.H.Baynes, Byzantine Empire** (لندن ١٩٢٥) ص ٧٠ أو العمل السياسى والتشريعى مثل سولون واخرين الذين عملوا من اجل نفع البشرية ومن أجل الفلسفة والحكومة على حد سواء فإن أولئك هم افضل الناس ولم يسجل ممثلين عن الصنف الثالث فى المختصر وللمرءان يتشكك عما اذا كان جالينوس قد ذكر اى "فيلسوف ملك على وجه التحديد فى النص الكامل لعمله، وأنا لأكاد اجد نظيرا لهذا البيان، واستطيع أن اؤكد تقريبا أنه لايمثل وجهة نظر جالينوس الأصلية، ولكنها ربما تعود إلى مصدر أكثر قدما، راجع هـ.أ. ولفسون: فيلون، الجزء الثانى، مطبعة كمبردج ١٩٤٧، ص ٢١٨ ومايليها ، ص ١٦٥.

٢٣ - ونجد المثال الأكثر تأثيرا ص ٣٩س ٢٠ ومايليها، كراوس، حيث يرتفع الجدل الفلسفى للأسلوب المشائى إلى مستوى النثر الأدبى، وسوف اتعامل مع هذا القسم فى دراسة خاصة، (قارن ص ١٦٤ ومايليها).

٢٤ - فى طبعة كراوس للمختصر، توجد عشرة صفحات فى المقالة الأولى، وسبع صفحات فى المقالة الثانية، وثلاثة صفحات فى المقالة

الثالثة، وسبعة للرابعة.

٢٥ - كما تم شرحه فى : الجمهورية ، وفايدروس، وطيماوس .

26 - Philodemos, ed. A. Olivieri Leipzig 1914 P. Philodemi, De ira liber, ed , C. Wilke, Leizig 1914.

٢٧ - قارن أرسطو، الخطابة 11.2 وعمل جالينوس لايشترك فى أى شىء مع ثيوفراسطس.

٢٨ - وعلى سبيل المثال، فإننا نعلم من هذا الكتاب أن انطوخوس Antiochus كان مهتما أيضا بالقوى اللاعقلية للنفس، وكان يفضل البراهين المبنية على الحقائق والملاحظة التجريبية، لكن انطوخوس زعم أنه أحيا الفكر الأصلى لأرسطو، حيث اعتمد جالينوس على وجهة نظر أفلاطون عن الأخلاق، أو ماعتقده أنه أفكار أفلاطون، قارن أيضا فالتزر، الأخلاق الكبرى، والأخلاق الأرسطية، برلين ١٩٢٩ ص ١٨٨، ومابعدها ٢٠١،٢١٩،٢٤٤ هـ. H.Dirlmeier: die oikeiosis - lehretheophrasts. philoilgus, suppl Bd. 30. ليبزنج ١٩٣٧ .

٢٩ - وقد سلم بلوتارك بالدراسة المحددة لسلسلة محاضرات أرسطو، والتى تم البدء فيها فى حياة شيشرون، وقد نشرها اندرنيقوس الروديسى، المؤلف الذى اعتمد عليه جالينوس لم يهتم بأرسطو اكثر من شيشرون ، وربما يكون قد عاش قبل الفترة التى عاش فيها اندرنيقوس والشراح الذين جاءوا بعده .

٣٠ - مسكويه (قارن ماسبق ص ١٤٣هـ ٦) قد اشار إلى نفس العبارة، فهو يقول (ص٢٥ س ١٧ ومايليها، طبعة القاهرة) "الأخلاق هى حالة أو ظرف نفسى يحفز الإنسان ويدفعه لأفعال بلاروية وتفكير ، وهذا الميل يمكن تقسيمه إلى جزئين : احدهما فطرى ويعتمد على حالة الإنسان ويدفعه لافعال بلاروية ولاتفكير، ويعتمد على حالة الإنسان الجسدية (قارن عمل جالينوس المشار إليه سابقاً صفحة ١٤٤) مثل ذلك الإنسان الذى يتحفز للغضب ويمكن اثارته لاتفه الاسباب، أو الإنسان الذى يصاب بهبوط فى القلب نتيجة شىء بسيط كالذى يصيبه الرعب لأى صوت ولو ضعيف، و الذى يرتعد إذا ماسمع أى خبر، مثال آخر الإنسان الذى يضحك بإفراط على شىء تافة أو غير هام لمجرد أنه أثار اعجابه أو كذلك الإنسان الذى يفجع ويحزن لاتفه الأشياء التى تصيبه".

31 - Wachsmuth ١٥ المجلد الثانى ص ٣٨س٣ـ Stobaeus .

32 - **De Virt. mor** ص ٤٤٣ ح ، ٤٤ ب

٣٢- قارن ماسبق وصفحة ١٤٦ هـ ٤ .

34 - **Stoicorum Veterum Fragmemto II Coll, H.V.Armim** المجلد الثالث رقم ٤٦٦.

٣٥ – بالنسبـة لفترة حياة بوزيدونيوس قارن F. Jacoly ١٥٤، ٢ برلين١٩٢٦ ص ١٥٤ ، ٢ .

٣٧ – قارن Edelstein كما هو مشار إليه ، صفحات ٣٠٥ ومابعدها ، وماسبق ص ١٤٤ هـ ٥ .

٣٨ – وهذا النزاع لم يكن بأى حال من الأحوال مجرد نزاع يعود تاريخه إلى ماقبل عام ٢٠٠ عندما شرع جالينوس فيه واستغرقه لأسباب كلية، فالعداء بين الأفلاطونيه الحديثة والفكر الرواقى كان مازال محتدما وقد ساعد النزاع القديم القضية المعاصرة .

٣٩ – جالينوس عن المسرات الرابع، موللر ص ٤٠١س ١١ـ١٥ كوهن ص ٤٢٥ س ١٣ـ١٧ .

٤٠ – كراوس ص ٢٦ س ١ـ٥ .

٤١ – ٧ ص ٤٤٧ أ س ١٠ ص ٤٤٩ د .

٤٢ – قارن جالينوس "عن المسرات" موللر٤ ص ٣٩٧ س ١ـ٣ وكوهن ص ٤٢١ س ٧ـ٩ كما هو مشار إليه الخامس ، موللر صفحة ٥ـ١٤، كوهن ص ٤٢٩ س ١٠، ٤٣٠ س ٢ .

٤٤- قارن ماسبق ص ١٤٤ هـ ٥ و ص ١٤٥ .

٤٤ – فى فقرة حفظها ابو سليما السجستانى، قارن كراوس ص ٢٢ س ٢ ومايليها والفارابى ، الجمع بين رأيى الحكميين أفلاطون وأرسطو (قارن كراوس أفلاطون عند العرب، نشرة المعهد المصرى ١٩٤٢ العدد، ٢٣ ،ص ٢٦٩ ومابعدها) . Philosophische Abhandlungen ص ١٦ـ٢٠ (الترجمة ص ٢٧) ديتريشى الفارابى استبدال ببساطة أفلاطون بجالينوس.

– اندرنيقوس السكندرى (القرن الأول قبل الميلاد) Op. Stob. Anthol المجلد الثانى صفحة ٤٩ س ٨، ٥٠ س ١٠ Wchsmuth .

٤٦- قارن H. Dorrie : Der plotoaniker Von Alexandria, Hermes. IXXiX

اندرنيقوس السكندرى١٩٤٤ ص٣١ وما بعدها .

٤٧- قارن الجمهورية٦ و ٣٧٥ وما يليها ، وعلى سبيل المثال الجمهورية ٤٩٠،٦ د ٤٩٦ب ، وقارن فيدون ٨٢د .الأخلاق ص٢٨ كراوس "ليس كل كلب أو حصان يمكن تدريبه" .

48- Leges 12,963 e: cf laches 196eff, Rep. 4.430b; Epin 975e and R.Walzer, Magna Moralia und aristatelische Ethik, Berlin, 1929 p. 207f .

٤٩- راجع **E.R. Dodds** : أفلاطون واللاعقل، جريدة الدراسات اليونانية، العدد٦٥ عام١٩٤٥-١٩٤٧ صفحات١٦ وما بعدها، خاصة١٨ وما يليها.

٥٠- قارن. **Regenbogen** فى **Kroll, Pauly-wissowa**
Altrtumswissenschoft Klassischen der Realenocyclopadie
supplementband. v iii s. v ثيوفراسطس **1488 Cal** ، (لكن قارن الآن د.ج. الآن جريدة الدراسات الهلينية ، العدد٧٧ عام١٩٥٧ ص٧ وما بعدها) .

٥١- قارن : فالتزر المصدر السابق ص٧ .

٥٢- راجع كراوس ، الرابع ،ص٤٥ ، وما يليها .

٥٣- ويبدو ان المختصر قد اغفل الفصول الخاصة بالاطفال، وبدأ مباشرة بأخلاق الحيوانات .

٥٤- فرفوريوس **De abstinentia** ٩،٣ (ص١٩٩ ،٨ **Nauck**) .

٥٥- فرفوريوس : المرجع السابق (ص١٩٩ ،٤ **Nauck**) .

٥٦- جالينوس : **2,1 De usu port** (كوهن، المجلد الثالث صفحة٢س٥، وما يليها و **Helm reich** مجلد١ ص١ س١٣ ومايليها) .

٥٧- فرفوريوس : المصدر المشار إليه (ص٢٠٠ س٢٣ **Nauck**) .

٥٨- راجع جالينوس : **Quod on. Virt** ٧ (المجلد الرابع ص٧٩٢ س١٧-٧٩٣ س٢ كوهين **Scripta minora** (٢) صفحة٥٢ س١٩-٥٣،**Mc**) .

59- Much relevant material has been collected by C. Toppe, De philonis libro qui inscribitur ..... quaestiones selectae, dissertation Gottingen 1912.

60- Cf. Clemens Alex. Strom. II P.P.1104 ff.173-17 Stahim -Olympiodarus, in phaed. P.45. 18ff. Norvin Elias, Cat P.1934 Busse. 60

Cf B. Snell : Die Entdeckung des Geistes studien zur Entstehlung des europaischen Denkens bei den Griechen, (Hamburg 1946) P.P. 173-180.

٦١- راجع ما سبق ص١٥٠ هـ٤ .

٦٢- ويمكن للمرء ان يذكر وصفا لسمات حيوانات معينة من خلال اشارة جالينوس إليها فى كتاباته الحيوانية : برلين١٨٧٠ ص٤٢٩ ، الارنب البرى، المصدر السابق ص٤٢١ ، الابل ، نفس المصدر ص٢٣٥ ، الكلب ص٤١٨، وبصفة عامة فإن عمل جالينوس يكاد يكون اشمل بكثير، راجع فالترز، المصدر السابق، ص٢٠٠ .

٦٣- راجع ييجر : أرسطو، اكسفورد١٩٣٤ ص٣٥٢ و O.Regenbogen المصدر السابق، عمود١٤٢٣.

٦٤- راجع شيشرون de fin مجلد ٣٩،٥ وما يليها . راجع هـ دالمير، حول أخلاق ثيوفراسطس، جريدة الفيلوجيا ٩٠عام١٩٣٥ ص٢٤٨ وما بعدها، عن اشارات جالينوس للنبات، راجع ما سبق ص١٥٩، والقصيدة الكوميديا فيلمون تأثرت بمذهب مشابه، راجع Stob Anthol المجلد الثالث ٢٦،٢ (ص١٨٣ س١٣ هانز) فالترز : Fab inc fr 3 Com iv P.32 M.Zum Hautontimo rumenos Des teremz Hermes العدد٧. ١٩٣٥ ص١٠٧ وما بعدها .

٦٥- راجع على سبيل المثال بلوتارك : De tranquillitale animee 13, De invidia et otio 4 .

٦٦- فيلون السكندرى طبعة Richter [١٨٢٨-١٨٣٠] المجلد الثامن، ترجمة من الارمينية راجع H. leisegang ، الفيلوجيا العدد٩٢ عام١٩٣٧ ص١٥٢ وما يليها، أ.د. نوك، المجلة الكلاسيكية، العدد٥٧ عام١٩٤٣ ص٧٨.

67- De sollertia amimalium أنواع الحيوان

68- De abstinentia

٦٩- جالينوس: عن المسرات المجلد السادس (ص٤٥٧ س٢_٦ مولر، ص٤٧٦ س١١ ، ٤٧٧ س٢ كوهن) راجع ايضا المرجع السابق (ص٤٣٨ س١ مولر ، ص٤٥٩ س٧ كوهن الرابع ص٤٠٠ ، ٥ (ص٤٢٤ س٧ كوهن) السادس ص٤٩٠ وما بعدها مولر ، ٥٠٥ أو ما بعدها كوهن الخ ص١٣٣ وما يليها مولر .

٧٠- كراوس ص٢٨ س١٥ .

٧١- كراوس ص٤٥ س٣ وما يليها .

٧٢- راجع ايضا بوزيدونيوس، ملحق جالنيوس فى المسرات، الخامس ص٤٣٨ س١٢ ص٤٣٩ س٣ مولــلر ، ص٤٦٠ س١٠-١٧ كوهــر) شيشرون De off (I) ١٠٥ ، راجع ما سبق ص١٦٢ هـ١ .

٧٣- راجع أرسطو : تاريخ الحيوان ٥٨٨،١،٨ a ، د١٨ ص١٥٥ هـ١.

٧٤- كتب جالينوس رسالة خاصة عن الخجل فى كتابين (De libr. proprus Scr-minII) ص١٢١ س١٢ موللر، المجلد التاسع ص٤٦ س٤ كوهن) .

75- **Quod on Virt. ii (Scr.min.ii,P. 75.B=P. 817.4k.**

٧٦- مرجع سابق ص٧٥ س١٣ موللر ، ص٨١٧ س٤ كوهن .

٧٧- مرجع سبق الاشارة إليه٧٥ س١٢ موللر . ص٨١٧ س٣ كوهن.

٧٨- راجع ما سبق ص١٤٣ أرقام٦،٧ .

٧٩- من المحتمل ان هذا الفيلسوف كان ثيوافرسطس .

٨٠- كراوس ص٢٣٨ س١٠ .

٨١- راجع على سبيل المثال شيشرون عن الواجبات (I) ٤٦ .

٨٢- راجع لوبوفسكى : **panaition des Ethik Die** ليبزج١٩٣٤ ص٣٧ وما بعدها، ١١٥ وما بعدها .

٨٣- راجع ص١٥٥ رقم (1) .

٨٤- راجع شيشرون عن الواجبات **L.Edelstein 8 iii** سبق الاشارة إليه ص٩٧-١٠٠ .

٨٥- جالينوس : **Quod on. Virt** ٧-٨ بالنسبة لبوزيدونيوس، راجع عن المسرات، الرابع ص٤٤٢-٤٤٣-١ مولــلر= و ص٤٦٤-٤٠٨ **L.Edelstein** مرجع سابق ارقام ٨٣،٨٦ ، قارن اعلاه ص١٤٧ هـ٢ .

86- Scr. min. ii, p.75 6M=iv p.816 14k .

٨٧- كرواس ، ص٣٠ (I) .

٨٨- ويمكن ان نجد فى فصل عن الأخلاق من النفس الناطقة (كرواس ص٣٣) : تتركز الشجاعة في تجنب ما هو وضيع وشائن، اكثر من كونها تتجنب ما هو مضر، ومؤذى، ومثال على ذلك الرجل الذى يفضل الموت عن الهزيمة فى الحرب، أو الذى يتحمل العذاب نظير عدم شهادة الزور ضد صديقه ، ويلاحظ هذا فى حالة عبيد Perennis ، راجع ص١٤٤ رقم٧ وموقفهم من سيدهم الرجل وبرغم عدم تلقيهم اى تعليم، الا أنهم تصرفوا

كما لو كانوا رجالاً ولدوا احرارا حيث انهم احرار بالفطرة . وهذا يدل على تواجد حب الأخلاق النبيلة عند بعض الناس فطريا، ويدحض ما يؤكده بعض الناس من ان النبل ينشأ فقط بالتعليم الصحيح " وفي العصر الهليني فقد اصبح من الاقل أو الاكثر شيوعا اعتبار العبد كائنا بشريا وليس مجرد اله حية، ولكي تستخدم وجهة نظر كهذه كبرهان لمذهب الأخلاق فإن هذا قد يبدو شاذا وليس له مثيل في عرفنا . هل ينبغي ان نعزو تلك البدعة المثيرة إلى بوزيدونيوس ؟

٨٩- دى بور ٧،٨ ص٢٥ س٢٢=٤ كوهن ص٣٧ س١٢ .

٩٠- راجع .Scr.min ii ص٧٤ س١١ موللر المجلد الرابع ص٨١٥ س١٧ كوهن، راجع أيضا الاقتباس Eupolis الكوميدى فى القرن الخامس فى نفس سياق جالينوس١٠،٧ (ص٢٦ س٦ دى بور=الخامس ص٣٨) وقد تم ادخالها إلى المناقشة الفلسفية عن طريق بعض الفلاسفة الاسبق (ثيوفراسطس) راجع Com, Graec, Meinek (ii) I ص٤٥٧ ، شذرة٩١ س٢٨ Kock راجع ما سبق ص١٥٣ (I) n .

٩١- ٧-١٤ دى بور (ص٢٧ س٧ ، الخامس س٣٩ س١٣ كوهن) .

٩٢- ٧-١٥ دى بور (ص٢٧ س٧ . الخامس ص٣٩ س١٤،٤٠ كوهن)

٩٣- قارن أفلاطون، الجمهورية ٦-٩٤١د ؛ شيشرون عن الواجبات ٣٩،٥-٤٠.

٩٤- راجع بلوتارك **De tranq. an** ١٣ (٤٧ E2) القديس لوقا السادس٤٤ **.B** **Snell. Gnomon 13'1937'P. 578** .

٩٥ - راجع .Scr.mii ii ص ١٠٧٤- ١٥ موللر = الرابع ص ٨١٥ س٧ ومايليها كوهن.

٩٦ - راجع شيشرون de off (I) ١١٠ - ١١٢ .

٩٧- راجع ماسبق ص ١٤٣ هـ ٦ وص ١٤٧ ٢.

٩٨ - ص ٢٦س ٨ ص ٢٧ س ١٨ طبعة القاهرة . ولا يعد كرواس أن هذا الفصل فى عمل مسكويه وهو يشير إلى الأخلاق " ؟

٩٩ - هذا يناظر تقريبا عبارات فى min ,ii . Quod.on virt.Scr ص ٧٣ س٦.

١٢= الرابع ص ٨١٤ س ١٠-١٤ كوهن ص ٧٤ س ٧٥،١٢ - ١ موللر = الرابع ٨١٦ س ٧ ١٠٠ كوهن وبالنسبة إلى أولئك الفلاسفة الذين يعتقدون فى أصل الشر فى الإنسان، راجع ص ٧٦ س ٧-١٦ - الرابع ص ٨١٨ س ١-١٠كوهن).

١٠٠ – يقرر جالينوس فى مقاله الأخير أنه لايقدم كل الدلائل والبراهين المستخدمة ضد النظرية الرواقية .min. – Scrip ص ٧٥ س١ موللر، الرابع ص٨١٦س١٠ كوهن البرهان المشار إليه من قبل مسكويه لايوجد فى أى مكان آخر لكن راجع Scrip (ii) Ae min ص٧٧–٥ ومايليها موللر=الرابع ص٨١٩ –٢ ومايليها كوهن.

١٠١ – ولايوجد برهان ضد هذه المدرسة تم الاحتفاظ به فى quodan. Vert

١٠٢–وهذا تقرير مهم وأود أن أنسبه إلى بوزيدونيوس، راجع ما سبق وجهة نظر افلاطون كما عبر عنها فى فيدون ٩٠ وهى أقل تشاؤما.

١٠٣ – راجع رقم (I) ،وص ١٦٠هـ ٢–٤ .

١٠٤ – Scrip. Min (ii) ص٧٥س٢ـ٥ موللر،الرابع ص ٨١٦ س١٠ـ١٣ طوهن،راجع ص٧٧ س ١٥موللر=٨١٩ س٢ كوهن.

١٠٥ – المصدر السابق ص٧٧س١٧موللر=الرابع ص٨١٩س ١٣كوهن.

١٠٦ – المصدر السابق ص٧٨س١٥٨، راجع ماسبق ص ١٥٥ رقم[٤] (I) .

١٠٧ – المصدر السابق ص٢٠٦٨ديوجين اللايرسى، والمصدر السابق٧٨.

١٠٨ – De placitis، الرابع ص٤٣٧ س[٣] ، ٤٣٨ س ١٢موللر=الخامس ص٤٥٩س[٣] ، ٤٦٠ س ١٠ كوهن .

١٠٩ – De placitis الرابع ص٤٤٥ س ١٢٠٨ موللر = الخامس ص ٤٦٦ س١٢كوهن.

وبالنسبة إلى اهتمامه بقوانين أفلاطون، راجع أيضا Edelstein كما هو مشار إليه رقم ١٠٩، ١٠٦ ـ هـ ص ١٦٢ .

١١١ – De placitis الرابع ص ٤٤٥ س[٣] ، ٤٤٦ س[٧]موللر= الخامس ص ٤٤٦س[١٧] ٤٦٧ س[٨]كوهن ١٠٨ س[٢]ص ٤١٠ .

112 – 2,P. 410 a .

113 - Strabo 2.3.8 Cf . above p, 148 n 3 .

١١٤ – تم نشر مقاطع جديدة من "الأخلاق" ومناقشتها من قبل س.م ستيرن الحوليات الكلاسيكية n.s.vi ١٩٥٦ ص٩١–١٠٤ ويذكر أيضا باستشهادات مختصرى فى عمل جوزيف ابن اقنين وكان أول من اكتشفها شتيشيدر Gesammelte Schriften، برلين ١٩٢٥ص٥٦ والتى نشرها H alkim . فى حوليات الأكاديمية الأمريكية للأبحاث اليهودية، العدد ١٤ عام ١٩٤٤ ص ٦٨،٦٩،٧٢،٧٣ .

المصادر والمراجع

أولاً : كتب جالينوس

١- كتاب جالينوس إلى طوثرن فى النبض للمتعلمين، نقل أبى زيد حنين بن إسحق العبادى المتطبب، تحقيق د. محمد سليم سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦.

٢- كتاب جالينوس فى فرق الطب للمتعلمين ، نقل أبى زيد حنين بن إسحق العبادى المتطبب، تحقيق وتعليق د. محمد سليم سالم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٨.

٣- كتاب جالينوس إلى إغلوقن نقل أبى زيد حنين بن إسحق، تحقيق د. محمد سليم سالم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة.

٤- كتاب جالينوس فى التجربة الطبية، نقل حنين من اليونانى إلى السريانى، وترجمة جبيش من السريانى إلى العربى (النص العربى).
Galen on Medical Experience. The Arabic version with English trans. and Notes by R. Walzer. Oxford Uni, London

٥- كتاب جالينوس فى الأسطقسات على رأى أبقراط: نقل أبى زيد حنين بن إسحق العبادى المتطبب، تحقيق الدكتور محمد سليم سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧.

٦- كتاب جالينوس إلى فيس فى الترياق، ترجمةحنين بن إسحق
، Eine arabische version Vorgelegt von butz Richter Bernburg Gattingen 1969'.،aus Berlin

٧- مختصر كتاب جالينوس في المولودين لسبعة أشهر لثابت بن قرة الحرانى، اورسولا فاير، مجلة تاريخ العلوم عند العرب، معهد التراث العلمى العربى، حلب، المجلد السابع، العددان ١، ٢ عام ١٩٨٣.

٨- مقالة جالينوس في العادات F. Klein Franke: the Arabic version of Galen's Llepieowv، JSAI (1) 1979 p. 125-150.

٩- جالينوس تلخيص طيماوس Plato Arabus : Galeni Compendium Ti-
in A Edbus‹maei platonis, Esiserunt: P. Kraus et R. Walzer
intituti Warburgiani. Lonodon. ويضم هذا المجلد : منتخبات من جوامع كتاب أفلاطون فى السياسة وجوامع كتاب النواميس.

١٠- جالينوس : مختصر من كتاب الأخلاق، مخطوطة مصورة عن معهد المخطوطات العربية رقم ٢٨ فلسفة غير مفهرس . ونشرة كل من كراوس مجلة كلية الآداب ، الجامعة المصرية الجزء الأول من المجلد الخامس مايو ١٩٣٧ ونقل عنها د. ماجد فخرى فى كتابه الفكر الاخلاقى العربى ، الأهلية للنشر والتوزيع ط٢ بيروت ١٩٨٦ . ونشرة د. عبد الرحمن بدوى فى كتابه: دراسات ونصوص فى الفلسفة وتاريخ العلوم عند العرب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١.

١١- من مقالة جالينوس فى أن قوى النفس توابع لمزاج البدن، فى بدوى دراسات ونصوص ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١.

ثانياً : دراسات عن جالينوس فى العربية

١- ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت د . ت.

٢- ابن باجة : تعليقات على كتاب العبارة للفارابى، تحقيق د. محمد سليم سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦.

٣- ابن البيطار : تفسير كتاب دياسقوريدوس فى الأدوية المفردة، تحقيق ابراهيم بن مراد . المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات (بيت المحكمة)، تونس، ١٩٩٠.

٤- ابن الجزار القيروانى . كتاب فى المعدة وأمراضها ومداواتها، تحقيق سليمان قطاية : دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠.

٥- ابن جلجل : طبقات الأطباء، تحقيق فؤاد سيد، مؤسسة، الرسالة ط٢ ١٩٨٥.

٦- ابن خلكان : وفيات الأعيان وأبناء الزمان، تحقيق د. إحسان عباس ج٢ دار الثقافة، بيروت د . ت..

٧- ابن رشد: تفسير ما بعد الطبيعة ، تحقيق موريس بويج، دار المشرق، بيروت، ١٩٦٧.

٨- ابن رشد: تهافت التهافت ، تحقيق موريس بويج، دار المشرق، بيروت ط٢ ١٩٨٦.

٩- ابن رشد : تلخيصات ابن رشد إلى جالينوس، حققه وعلق عليه م. كونثيبثيون بانكيث دى بنينو ، النص العربى تحرير سالبادور غوميث توغاليس، المعهد الأسبانى العربى، طبعة مدريد ١٩٨٤ . ونشرت الرسائل نفسها بتحقيق آخر هو :

- ابن رشد : رسائل ابن رشد الطبية، تحقيق جورج قنواتى وسعيد زايد، مركز تحقيق التراث والاتحاد الدولى للأكاديميات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧.

١٠- ابن رشد : تلخيص ابن رشد للقياس تحقيق د. محمود قاسم أكمله تشارلز بترورث وأحمد هريدى - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٨٣، وكذلك تحقيق عبد الرحمن بدوى، الكويت ١٩٨٤.

١١- ابن رشد : تلخيص البرهان، تحقيق عبد الرحمن بدوى، مع شرح البرهان الكويت، ١٩٨٤.

١٢- ابن رشد : شرح ابن رشد للبرهان، تحقيق عبد الرحمن بدوى، الكويت، ١٩٨٤.

١٣- ابن رشد : فى المزاج، تحقيق جمال الدين العلوى ، فى كتابه رسائل فلسفية: مقالات فى المنطق والعلم الطبيعى، دار النشر المغربية، الدار البيضاء ١٩٨٣.

١٤- ابن رشد : كتاب الكليات، وحدة البحث العلمى لكنهو، نيودلهى ١٩٨٤.
- وتحقيق اخر قام به : خ . م . فورتياس . ك البـاريث دى موراليس، المعهد الأعلى للبحوث العلمية فى مدريد ١٩٨٧.
- وتحقيق ثالث قام به، سعيد شيبان - عمار الطالبى، المجلس الأعلى للثقافة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٩.
- التحقيق الذى اصدره مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت باشراف د. محمد عابد الجابرى ١٩٨٨.

١٥- ابن رشد : تلخيص السياسة، ترجمة عن الانجليزية د. حسن مجيد العبيدى، د. فاطمة كاظم الذهبى، دار الطليعة، ١٩٩٨ وترجمة أخرى عن العبرية للدكتور أحمد شحلان ضمن مشروع الأعمال الكاملة لابن رشد اشراف د. محمد عابد الجابرى، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٨.

١٦- ابن رشد : منطق ابن رشد، تحقيق وتقديم جيرار الجهامى، منشورات الجامعة اللبنانية فى ثلاث اجزاء، بيروت ١٩٨٢.

١٧- ابن زهر (أبو مروان عبد المللك) : كتاب التيسير فى المداواة والتدبير، تحقيق د. ميشيل الخورى، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دمشق، ١٩٨٣.

١٨- ابن سينا : الشفاء، المنطق ٣- العبارة، تحقيق محمود الخضيرى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٠.

١٩- ابن سينا : الشفاء ، المنطق ٤- القياس، تحقيق سعيد زايد، الهيئة المصرية لشئون المطابع الاميرية، القاهرة، ١٩٦٤.

٢٠- ابن سينا الشفاء ، الطبيعيات، الحيوان، تحقيق د. عبد الحليم منتصر وزميله، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٠.

٢١- ابن سينا : رسالة فى السياسة فى كتاب لويس شيخو : مقالات فلسفية، مطبعة البستانى ، القاهرة د. ت .

٢٢- ابن سينا : القانون في الطب، تحقيق د. على زيعور وآخرون، مؤسسة عزالدين للنشر، بيروت، ١٩٩٤.

٢٣- ابن فاتك (المبشر) : مختار الحكم ومحاسن الكلم ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوى . ط٢ المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٠.

٢٤- ابن ميمون (موسى) : رد موسى ابن ميمون القرطبى على جالينوس فى الفلسفة والعلم الطبيعى، تحقيق شاخت وماكس مايرهوف ، مجلة كلية الآداب، الجامعة المصرية، الجزء الأول من المجلد الخامس مايو ١٩٣٧.

٢٥- ابن ميمون (موسى) : دلالة الحائرين : تحقيق الدكتور حسين آتاى نشرة كلية الإلهيات جامعة انقرة ١٩٧٢.

٢٦- ابن النديم : الفهرست : تحقيق الدكتور شعبان خليفة وزميله (فى جزئين) العربى للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩١.

٢٧- أبو بكر الرازي: الشكوك على جالينوس، حققه وقدم له بالفارسية والعربية والإنجليزية د، مهدى محقق، معهد الدراسات الإسلامية جامعة طهران ١٣٧٢هـ.

٢٨- أبو بكر الرازى : الفروق بين الأمراض، تحقيق د. سليمان قطاية معهد التراث العلمى العربى، حلب ١٩٧٨.

٢٩- أبو بكر الرازى : كتاب القولنج، تحقيق د. صبحى محمود جمال، منشورات معهد التراث العلمى العربى، بحلب ومعهد المخطوطات العربية ١٩٨٣.

٣٠- إبو سعيد بن بختشيوع : رسالة فى الطب والأحداث النفسانية، تحقيق وتقديم فليكس كلاين فرانكه، دار المشرق، بيروت، ١٩٧٧.

٣١- أبو ريان (الدكتور محمد على) وزميليه: مقدمة تحقيق كتاب حنين بن إسحق، المسائل فى الطب، دار الجامعات، الإسكندرية د. ت .

٣٢- أبو الحسن العامرى : السعادة والاسعاد فى السيرة الإنسانية، تحقيق د. أحمد عبد الحليم عطية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩١.

٣٣- أحمد عبد الحليم عطية (الدكتور): علم الببليوجرافيا عند العرب ، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة ١٩٩١.

٣٤- احمد عبد الحليم عطية (الدكتور): دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩١.

٣٥- د. أحمد عرفة القاضى : الفيلسوف المصرى على بن رضوان فى جزءين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٨.

٣٦- د. أحمد صبحى ود. محمود زيدان: في فلسفة الطب، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥.

٣٧- أحمد عتمان نصر (الدكتور) : من اليونانية إلى اللاتينية عبر العربية، مجلة أوراق كلاسيكية، العدد الثانى، القاهرة، ١٩٩٢.

٣٨- إسرائيل ولفنسون : موسى بن ميمون ومصنفاته، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٣٦.

٣٩- إسحق بن حنين : تاريخ الأطباء والفلاسفة، تحقيق فؤاد سيد مع كتاب ابن جلجل طبقات الاطباء والفلاسفة، مؤسسة الرسالة، ١٩٩١.

٤٠- ادوارجى بروان : الطب العربى، ترجمة داود سليمان، مطبعة العانى، بغداد، ١٩٦٤.

٤١- بدوى (الدكتور عبد الرحمن): أفلاطون فى الإسلام، تحقيق ودراسة، دار الاندلس ط٣ ، بيروت ١٩٨١.

٤٢- بدوى (الدكتور عبد الرحمن) دراسات ونصوص فى الفلسفة وتاريخ العلوم عند العرب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،١٩٨١.

٤٣- بدوى (الدكتور عبد الرحمن): رسائل فلسفية، بنغازى، ١٩٧٣.

٤٤- بلدى (الدكتور نجيب): تمهيد لتاريخ مدرسة الإسكندرية وفلسفتها، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٢.

٤٥- البيهقى: تاريخ الحكماء، تحقيق محمد كرد على ، المجمع العلمى العربى، دمشق، ١٩٧٦.

٤٦- بينس: مذهب الذرة عند المسلمين ترجمة د. أبو ريدة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٦.

٤٧- تيسير شيخ الأرض : المدخل إلى فلسفة ابن سينا، دار الانوار، بيروت د. ت.

٤٨- جمال الدين العلوى : المتن الرشدى ، مدخل لقراءة جديدة ، دار توبقال، المغرب، ١٩٨٦.

٤٩- جيرار الجهامى : مقدمة تحقيق منطق أرسطو، الجزء الأول، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٨٢.

٥٠- حسام الدين الألوسى (الدكتور) : حوار بين الفلاسفة والمتكلمين، دار الشئون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦.

٥١- حربى عباس عطيتو (الدكتور) ملامح الفكر الفلسفي والديني في مدرسة الإسكندرية القديمة، دارالعلوم العربية، بيروت، ١٩٩٢.

٥٢- حنين (بن إسحق) : المسائل فى الطب . تحقيق د. محمد على أبو ريان وآخرين، دار الجامعات، الإسكندرية د. ت.

٥٣- حنين بن إسحق: العشر مقالات فى العين، تحقيق ماكس مايرهوف، المطبعة الاميرية، القاهرة، ١٩٢٨.

٥٤- حنين بن إسحق : رسالة إلى على بن يحيى فى ذكر ما ترجم من كتب جالينوس بعلمه وما لم يترجم، د. عبد الرحمن بدوى : دراسات ونصوص فى الفلسفة وتاريخ العلوم عند العرب، بيروت، ١٩٨١.

٥٥- دونالد كامبل : جالينوس وازدهار مدرسة الإسكندرية، مع مراجع خاصة لكتاباته التى ترجمت إلى العربية واليونانية واللاتينية والعبرية : المجلد الخامس من سلسلة تاريخ العلوم إشراف : فؤاد سيزكين.

٥٦- دى بور : تاريخ الفلسفة فى الإسلام، ترجمة الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.

٥٧- رشيد الجميلى (الدكتور) : حركة الترجمة والنقل فى المشرق الاسلامى في القرنين الاول والثانى للهجرة، منشورات جامعة قاريونس ليبيا د.ت.

٥٨- رشيد الجميلى (الدكتور) : حركة الترجمة والنقل فى المشرق الإسلامى فى القرنين الثالث والرابع عشر، دار الشئون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦.

٥٩- روسل ج . م . : تشريح العين : ابن الهيثم وتقاليد جالينوس، أبحاث المؤتمر الثانى للطب الإسلامى، المجلد الثالث، مؤسسة الكويت للتقدم العلمى، الكويت.

٦٠- روزنتال (فرنز) : مناهج العلماء المسلمين فى البحث العلمى، ترجمة د. أنيس فريحه، ط٤ الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨٣.

٦١- ريشر، نيقولا : تطور المنطق العربى، ترجمة الدكتور محمد مهران، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦.

٦٢- ريشر، نيقولا : جالينوس والقياس، ترجمة د. إسماعيل عبد العزيز، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩١.

٦٣- سانتلانا دفيد : تاريخ المذاهب الفلسفية، مخطوط جامعة القاهرة.

٦٤- سلمان قطايه (الدكتور) : الطبيب العربى على بن رضوان، المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، تونس، ١٩٨٤.

٦٥- سارتون (جورج): تاريخ العلم، إشراف د. إبراهيم مدكور، الجزء الثانى، ط٣ دار المعارف، القاهرة ١٩٧٨.

٦٦- السجستانى : صوان الحكمة : تحقيق عبد الرحمن بدوى، طهران ١٩٧٤.

٦٧- سعيد شيبان ، د. عمار الطالبى : مقدمة تحقيق كتاب ابن رشد الكليات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩.

٦٨- الشهرزورى : تاريخ الحكماء (نزهة الارواح وروضة الافراح) تحقيق الدكتور محمد على أبو ريان، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.

٦٩- صاعد الأندلسى : طبقات الأمم، تحقيق ودراسة، حياة العيد بو علوان، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٥.

٧٠- عبد العزيز عزت (الدكتور) مسكويه وفلسفته الأخلاقية، وطبعه الحلبى، القاهرة، ١٩٤٧.

٧١- عبداللطيف البغدادى: الإفادة والاعتبار، المنشور في بول غليونجى عن عبداللطيف البغدادى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥.

٧٢- عثمان أمين (الدكتور) : الفلسفة الرواقيه ، النهضه المصريه ، القاهرة ١٩٥٩.

٧٣- على بن رضوان : رسالة فى الحيلة فى دفع مضار الابدان بارض مصر، تحقيق رمزية الإطرقجى، مركز إحياء التراث العلمى العربى، جامعة بغداد . د . ت.

٧٤- على بن رضوان : كتاب الكفاية فى الطب (كفاية الطبيب أو فيما يصح من التجارب) المنسوب إلى على بن رضوان، تحقيق د. سليمان قطاية، دار الرشيد بغداد ١٩٨١ .

٧٥- على بن رضوان المصرى : الكتاب النافع فى كيفية تعلم صناعة الطب، حققه وعلق عليه د. كمال السامرائى، مركز إحياء التراث العلمى العربى، جامعة بغداد، ١٩٨٦.

٧٦- على القيم : ابن النفيس الدمشقى، دار دمشق، ١٩٨٨.

٧٧- الفارابى : كتاب فى المنطق (الخطابة) تحقيق د. محمد سليم سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦.

٧٨- الفارابى : شرح كتاب العبارة تحقيق ولهلم كوتش اليسوعى وستانلى مارو اليسوعى، ط٢، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٢.

٧٩- الفارابى : فى الرد على جالينوس فيما ناقض فيه أرسطو لأعضاء الإنسان، تحقيق د. بدوى فى رسائل فلسفية. بنغازى ١٩٧٣.

٨٠- فارنجتون (بنيامين) : العلم الإغريقى، ترجمة أحمد شكرى سالم، النهضة العربية، القاهرة، ١٩٥٩.

٨١- القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء دار الإرشاد، بيروت د. ت .

٨٢- قنواتي: مؤلفات ابن رشد ، المنظمة العربية للتربية والثقافة، ١٩٧٨.

٨٣- قنواتي: تاريخ الصيدلة والعقاقير فى العهد القديم والعصر الوسيط، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩.

٨٤- كمال السامرائى (الدكتور) : مختصر تاريخ الطب العربى، دائرة الشئون الثقافية والنشر، بغداد، ١٩٨٤.

٨٥- ماكس مايرهوف : من الإسكندرية إلى بغداد، بحث فى تاريخ التعليم الفلسفى والطبى عند العرب في بدوى : التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٥.

٨٦- ماكس مايرهوف : مقتطفات من السيرة الذاتية لجالينوس فى المصادر العربية . المجلد السادس من تاريخ العلوم إشراف فؤاد سيزكين.

٨٧- ماكس مايرهوف : حول مصادر أصيلة ومزيفة لجالينوس تبعا للمصادر العربية، المجلد الخامس، نشرة فؤاد سيزكين.

٨٨- ماكس مايرهوف : الصيغة السريانية والعربية لكتب جالينوس، المجلد الخامس، تاريخ العلوم، إشراف سيزكين.

٨٩- ماكس مايرهوف : الصيغة العربية لرسالة مفقودة لجالينوس، نشرة فؤاد سيزكين.

٩٠- ماكس مايرهوف : حول فقرة بقيت من كتاب جالينوس فى الأسماء الطبية، المجلد الخامس، نشرة فؤاد سيزكين.

٩١- ماهر عبد القادر (الدكتور): حنين بن إسحق، العصر الذهبى للترجمة، دار النهضة العربية، بيروت، د . ت.

٩٢- مبارك قاسم صالح البطاطى : أثر الفكر الرواقى المنطقى والأخلاقى فى الفكر الإسلامى، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة القاهرة ١٩٨٨.

٩٣- مجموعة من الباحثين : ابن أبى أصيبعه كتاب تذكارى مركز إحياء التراث العلمى العربى، جامعة بغداد، ١٩٨٩.

٩٤- مجموعة من الباحثين : أبو بكر الرازى وأثره فى الطب العربى ، مركز إحياء التراث العلمى العربى، بغداد، ١٩٨٨.

٩٥- محمد منصف المرزوقى (الدكتور) الطب الإسلامى وجالينوس، أبحاث وأعمال المؤتمر الأول عن الطب الإسلامى، الكويت ١٩٨١.

٩٦- محمود فهمى زيدان (الدكتور) المنطق الرمزى ، نشأته وتطوره، ط ٣ مؤسسة شباب الجامعات، الإسكندرية، ١٩٧٩.

٩٧- مسكويه : تهذيب الأخلاق، تحقيق قسطنطين زريق ، الجامعة الأمريكية، بيروت، ١٩٦٦.

٩٨- مسكويه : الفوز الأصغر، تحقيق د. صالح عضية، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨٧.

٩٩- مهدى محقق : كتاب الشكوك على جالينوس للرازى، مجلة تاريخ العلوم عند العرب ، جامعة حلب ، المجلد ٩ العدد الاول ١٩٩١.

١٠٠- ناجى التكريتى (الدكتور) : الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكرى الإسلام ، دار الاندلس، بيروت.

١٠١- نشأت حمارنة (الدكتور): الجديد حول الرازى في طب العيون، أبحاث المؤتمر السنوى الثاني للجمعية السورية لتاريخ العلوم، معهد التراث العلمى العربى، حلب، ١٩٧٩.

١٠٢- نينا بيغوليفسكايا : ثقافة السريان فى القرون الوسطى، ترجمة د. خلف الجراد ، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق ١٩٩٠.

١٠٣- وينبراج : تشريح الدماغ فى أعمال جالينوس وعلى بن عباس المجوسى، المجلد الرابع من أبحاث تاريخ العلوم، نشرة سيزكين.

١٠٤- يحيى بن عدى : مقالات يحيى بن عدى ، دراسة وتحقيق د. سحبان خليفات ، منشورات الجامعة الاردنية، عمان، ١٩٨٨.

١٠٥- يوسف حبى (الدكتور) حنين بن إسحق ، مطبوعات مجمع اللغة السريانية، بغداد، ١٩٧٤.

١٠٦- يوسف زيدان (الدكتور) مقدمة تحقيق رسالة فى الأعضاء لابن النفيس، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩١.

١٠٧- يوسف زيدان (الدكتور) مقدمة تحقيق كتاب ابن النفيس ، المختار من الاغذية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٢.

ثالثا : موسوعات ورسائل جامعية:

١- البستاني : دائرة معارف البستانى، بيروت، ١٩٨٢.

٢- بدوى (د. عبدالرحمن) موسوعة الفلسفة، الملحق جزء ثالث، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٩٤.

٣- فالتزر : مادة جالينوس، دائرة المعارف الإسلامية، المجلد العاشر، طبعة دار الشعب، القاهرة.

٤- إكرام فهمى حسين: التقليد الطبى المنطقى في مدرسة، الإسكندرية، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب القاهرة، ١٩٩١.

٥- إيمان محمد حامد عبدالقادر : دراسة مقارنة لفكر جالنيوس الأخلاقى فى المصادر اليونانية والترجمات العربية، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب القاهرة، ١٩٩٧.

رابعاً : المراجع غير العربية :

1- Walzer R. : New light on Galen's Moral philosophy, The classical quarterly, vol. 43 1949 p. 82 ff ., Greek into 1970 Arabic, University of South Carolina . Columbia S.C.

2- Walzer R. : A Diatribe of Galen. The Harvard Theological Review, vol. 47, 1954 , p. 243 ff Greek into Arabic, Co 1970'lumbia S.C.

3- Reasher, R. M. Marnger : The Refutation of Alexander of A phrodisias of Galen's, Islamic Research Institute Islamabad, pakista

4 - Sarton, G: Introduction to the history of science, Baltimore.

فهرس

هذا الكتاب

أن تأثير الطبيب والعالم الموسوعي والفيلسوف جالينوس على الفكر العربي الإسلامي يمتد من الطب إلى الفلسفة إلى الإسلام ممثلاً رافداً من أهم الروافد اليونانية الوافدة التي أسهمت في تشكيل فكرنا في القرون الأولى، في فترة التلاقي الحضاري فهو أحد العناصر الأساسية التي مهدت السبيل أمام الأفلاطونية والأفلاطونية المحدثة للتواجد مع الفلسفة الأرسطية والتمكين لها في تراثنا.

ومهمة هذا العمل بيان صورة جالينوس الموسوعية سواء في العلم أو الفلسفة، فهو كما يتمثل في وعينا القديم ليس فقط الطبيب ولا فاضل الأطباء ولكنه صاحب القول والرسالة أن على الطبيب الفاضل أن يكون فيلسوفاً. لذا يسعى هذا العمل إلى توضيح جوانب فلسفته المختلفة والعلاقة بين الأسس الفلسفية والأفكار الميتافيزيقية من جانب والنظريات العلمية والطبية من جانب آخر. وإلى أي مدى كان الاتحاد بين هذين المجالين من العوامل المهمة التي ساعدت على قبول أعماله وكانت مصدر اهتمام الفلاسفة اللاحقين بهذه الأعمال سواء لدى الاسكندريين أو السريان أو العرب المسلمين.

إننا لا نهدف إلى توضيح صورة جالينوس الفيلسوف فقط بل أيضاً مناقشة إلى أي مدى كان الكندي وابن سينا والرازي ومكسوية والعامري وابن رشد متأثرين بجالينوس أو متجاوزين لأعماله العلمية مضيفين إليهما الجديد في رصيد تراثنا الحضاري.

أحمد غريب